الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٢٤- جمادي الآخرة ١٤٢٤هـ - أغسطس ٢٠٠٣م

ALFAISAL MAGAZINE - No. 324 - AUg. 2003



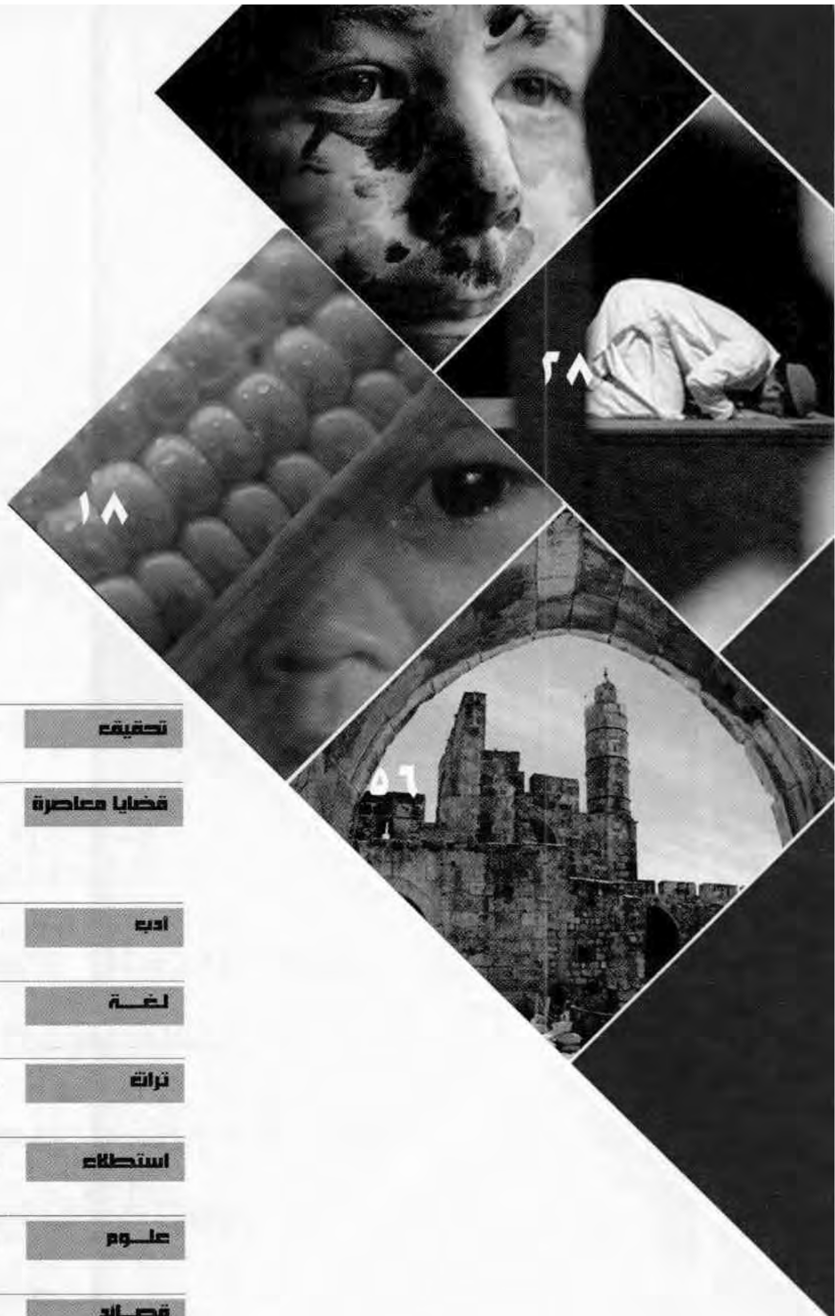
- المساكن التقليدية في عمان
- الكاف مدينة عريقة لم تبح بكل أسرارها
- المنحى النفسي لثقافة الطفل

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد ٣٢٤ ـ جمادى الأخرة ١٤٢٤ هـ ـ أغسطس ٢٠٠٣م

ALFAISAL MAGAZINE - No. 324 - AUg. 2003



ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف
- اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٧٠ دينارًا ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ٨٠ دينارًا ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ـ هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢.. سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨ـ فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١ـ ٠٠٩٦٣، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ ص.ب ٧١٩ـ فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ٧١ ـ ٠٠٢١٦، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ـ ٠٠٩٦٢، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٠٠٩٦٥، المغرب ، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ ـ ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ ـ ٣ ـ ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

Alwatania Distribution الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع



المساكن التقليدية في عُمان

للتراث المعماري في سلطنة عُمان سمات وخصائص عامة تتميز بها سائر الفنون الإسلامية، كما أن له خصوصيات تميزه من طرز العمارة الإسلامية.

ومع أن المساكن التقليدية أقل شهرة من المباني الدفاعية، إلا أن هذه العمارة تتمتع بالتنوع والاختلاف في أساليب التصميم والمعالجات البيئية والمناخية حسب اختلاف المناطق سواء أكانت حضرية أم تقليدية ساحلية أم مناطق جبلية.. فكيف أسهمت المؤثرات البيئية في تشكيل تلك العمارة؟

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨

رسائلكم

إشراقة

مجلةُ الفيصل إشراقةٌ
يبدو لها من اسمها شاهدُ
آثارها مشهورةٌ لم تزل
يرتادها الشارد والواردُ
وقد رعتها أسرةٌ قد سمت
بها وهذا عزُّها التَّالدُ
وكيف لا يسمو بكم مجدُها
وأرضكم يسعى لها القاصدُ
وأنتمُ جاورتُمُ أعظمًا
لفضلها باهي بها الواحدُ
هذي ظنوني فيكمُ فاعلموا
بأنَّني من طيبكم ناشدُ

حسين عبدالعالي اللهيبي
النجف الأشرف ـ العراق

التحرير:

نشكر لك مشاعرك التي حملتها قصيدتك، ونأمل أن نكون عند حسن ظنك دومًا، وقبلنا الخلل في عجز البيت الثالث كما أشرت، مع التحيات لك بالتوفيق.

❖ ❖ ❖

عتاب

لست أدري كيف أشكر لإدارة المجلة حرصها على مخاطبة كل القراء العرب الذين يعتزون باقتناء أجمل وأكمل مجلة عربية، والحمد لله لا أزال أحرص على اقتناء جميع أعدادها منذ عام ١٩٧٥م حتى الآن. أما بالنسبة إلى جوائزها فليس لدي أي اعتراض على النتيجة لأننا جميعًا نثق في إدارة المجلة ولكن هناك عتاب مني وممن يواظبون على حل الأسئلة ١٠٠٪ ، بأن يكون لنا تقدير ولو بسيطًا جدًا من المجلة. وأخيرًا أشكر كل ادارة المجلة وأطمع أن تعيد المجلة باب: دائرة المعارف وأوائل المخترعات. ولسيادتكم جزيل الشكر.

كمال أبو اليزيد شبارة
كفر الزيات ـ مصر

التحرير:

نقدر لك مشاعرك الفياضة ونشير إلى أنه يصعب وضع معايير لتحديد الفائزين في المسابقة غير لعبة الحظ التي نراها الأفضل والأسلم.

وجميع اقتراحات الإخوة القراء بخصوص الموضوعات والأبواب نضعها نصب أعيننا عند التقويم ورسم خطط التطوير وتطبيقها.

❖ ❖ ❖

علماء العرب

فقد تم التنويه في الملف الخاص بالعدد ٢٩٧ بكتاب «ابن الهيثم الحسن /الرياضيات التحليلية بين القرن الثالث والقرن الخامس» تحقيق : رشدي راشد، الذي صدر في لندن عن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م. مج ٣ (١ـ٤١ص).

إن لدي رغبة في الحصول على هذا الكتاب، كما أود أن يكتب فصل خاص حول «علماء العرب» في مجلة الفيصل .. حياتهم، آثارهم، ومقالاتهم، وما كتبوه في خصوص البحث العلمي ـ نظريًا وتجريبيًا ـ حتى يطلع شباب الأمة العربية على هذا التراث الزاخر. وإني مهتم بدراسة التراث العلمي عند العرب، وماكتبوه في الرياضيات من حساب وجبر وهندسة وكيمياء وفيزياء، إلى غير ذلك، وهو بحث علمي جدير بالاهتمام ولابأس أن تنشر بعض

الصفحات في مجلة الفيصل.

ولكم جزيل الشكر ،،.

عبد الفتاح يحيى

حي المنار الثالث ـ تونس

التحرير:

نعتذر لك وللإخوة الذين يطلبون كتبًا تنوه بها المجلة في باب إصدارات، ونفيدكم بعدم قدرتنا على تلبية الطلبات التي ترد إلينا في هذا الخصوص لكثرتها، ولعدم وجود نسخ من هذه الكتب لدى المجلة.

وبخصوص اقتراحك حول تخصيص باب للحديث عن علماء العرب، فإن المجلة تهتم بالتراث العلمي العربي، وتضم أعدادها مقالات كثيرة تتناول إسهامات علماء المسلمين في تطور العلوم على اختلافها.

❖ ❖ ❖

أول مئذنة

يسرني ويشرفني وجميع زملائي بالمؤسسة العامة للموصلات السلكية، واللاسلكية بأن نكون من متابعي مجلتكم الغراء، وتعقيبًا على الموضوع المنشور في العدد ٣١٩ حول «المئذنة بين مطرقة الاستشراق وسندان القومية»، فإنني أقول: إن أول مئذنة في الإسلام بنيت في سنة ١٧هـ في مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في دومة الجندل بالمملكة العربية السعودية، وذلك في أثناء ذهابه رضي الله عنه إلى فلسطين لاستلام مفاتيح القدس.

ختامًا استودعكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أحمد بن عبدالوهاب الإبراهيم

حلب ـ سورية

التحرير:

نشكر لك هذا التعقيب، ونأمل أن نتلقى البحث الذي أشرت إليه لنشره، لتعميم الفائدة.

ردود سريعة

الأخ عطفاوي إبراهيم ـ قسنطينة ـ الجزائر:

يسعدنا حرصكم على وصول المجلة إلى الجزائر، ونحن ساعون في هذا الاتجاه، وما تبذله المجلة من جهود للوصول إلى قرائها على امتداد الوطن العربي لا تستحق عليه الشكر لأنه واجب يفرضه دور المملكة العربية السعودية الريادي المرتبط بموقعها ومكانتها في محيطها العربي والإسلامي.

الأخ الباقر عبد الرحمن المسفر ـ كازابلانكا ـ المغرب:

نشكر لك إطراءك، ونأمل أن نكون عند حسن ظن أمثالك من القراء، لنظل نفاخر بها في المجالس كما تشير في رسالتك.

الأخ بلقاسم بن المولد بين بلقاسم ـ برهومي ـ ولاية قفصة ـ تونس:

لقد أشرنا من قبل إلى أن المجلة سوف تراعي ما حدث من تأخير في وصولها إلى أماكن التوزيع في المرحلة الفائتة وسنمد فترة تلقي إجابات المسابقة لنتيح المشاركة لأكبر عدد من القراء الكرام، ونتمنى لك حظًا سعيدًا لتنال إحدى الجوائز.

الأخوان هيثم أحمد محمد عبدالمجيد ـ الإسكندرية، محمد كامل أحمد ـ البحيرة ـ مصر:

ليس هناك سبب يدعو إلى اليأس من الفوز بإحدى جوائز المسابقة، كما أنه لا داعي للزعل لأن الأمر يخضع للقرعة من دون أي نوع من التدخل، ونطمئنكما أن رسائلكما وصلت إلى المجلة، مع التمنيات لكما بالتوفيق.

الأخ عبوط عبدالقادر بن علي ـ الجزائر:

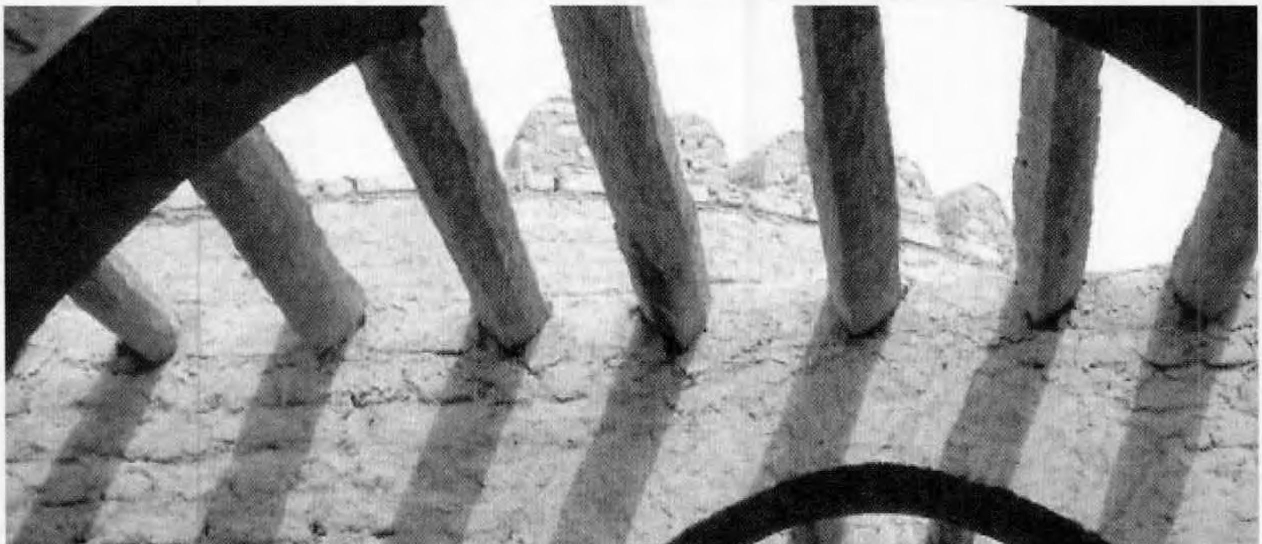
نعتذر لك عن الإجابة عن أسئلتك التي تتطلب إجابات تشتمل على جوانب فقهية ، ويمكنك إرسال هذه الأسئلة إلى دار الإفتاء ببلدكم أو في المملكة على العنوان الآتي:

رئاسة البحوث العلمية والافتاء

الرياض ـ الرمز البريد ١١١٣١

هاتف: ٤٥٩٥٥٥٥

المساكن التقليدي



...ة في عمان

يحيى وزيري

القاهرة ــ مصر

يعدّ التراث المعماري العماني جزءًا لا يتجزأ من تراث الحضارة العربية الإسلامية، فله السمات والخصائص العامة نفسها التي تتميز بها سائر الفنون الإسلامية. كما أن له خصوصيات تميزه من مختلف طرز العمارة الإسلامية، ومن جانب آخر يدعمه إرث حضاري ضخم تمتد جذوره ضاربة في الأعماق إلى ماقبل التاريخ الميلادي. ويشكل المعمار العماني التقليدي تراثًا معماريًا ذا طابع متميز، ينبع من البيئة الجغرافية والمناخية والثقافية لعمان. كما تأثر أيضًا باتصاله بفنون بعض الحضارات الأخرى التي كان لها اتصال حضاري أو تعامل تجاري مع أهل عمان على مر التاريخ.

وسنحاول هنا أن نلقي الضوء على أحد جوانب التراث المعماري العماني المتمثل بأساليب الاستيطان وعمارة المساكن التقليدية، فأغلب الباحثين عادة يتناولون في أبحاثهم وكتاباتهم عن المعمار التقليدي مناطق أخرى من العالم العربي والإسلامي.

نظرة على البيئة العمانية

تقع سلطنة عمان في أقصى الجنوب الشرقي لشبه الجزيرة العربية، وتمتد بين خطي عرض ١٦,٤٠ و ٢٦,٢٠ درجة شمالاً، وبين خطي طول ٥١,٥٠ و ٥٩,٤٠ درجة شرقًا، وعلى ذلك فإن عمان تقع شمال مدار السرطان وجنوبه، فتنتمي بذلك إلى المناطق الحارة الجافة للكرة الأرضية إلا أن بجنوبها امتدادات للمناخ الاستوائي. وتبلغ مساحة عمان ٣٠٩ آلاف كيلومتر مربع وتطل على ساحل يمتد أكثر من ١٧٠٠ كيلومتر يبدأ من أقصى الجنوب الشرقي حيث بحر العرب ومدخل المحيط الهندي ممتدًا إلى خليج عمان حتى ينتهي عند مسندم شمالاً ليطل على مضيق هرمز مدخل الخليج العربي (١).

وتعدّ عمان من أكثر بلاد العالم تنوعًا في التضاريس، فهناك الجبال الشامخة، والسهول المنبسطة الفسيحة الممتدة، والواحات الجميلة، وتترامى وراء ذلك صحراء الربع الخالي ذلك البحر الخضم من الرمال الفسيحة، كما تختلف طبيعة الشواطئ والسواحل العمانية، فبينما نجد في بعض الأحيان مئات من الأميال من الشاطئ الرملي المنبسط والمستوي إذ نجد أيضًا مناطق صخرية عند مشارف «مسندم» و«مسقط»، وهناك منطقة ظفار التي تهب على جبالها الرياح الموسمية من الجنوب الغربي في أثناء الصيف فتلبس الأرض حلة من الخضرة اليانعة التي لا تضاهيها خضرة في أي مكان آخر من الجزيرة العربية (٢).

وتتميز جغرافية عمان بوجود سلسلة جبال الحجر التي تمتد من منطقة رؤوس الجبال في رأس مسندم حيث يقع مضيق هرمز إلى رأس الحد أقصى امتداد للجزيرة العربية من جنوبها الشرقي في المحيط الهندي على شكل قوس عظيم يتجه من الشمال الشرقي للبلاد إلى جنوبها الغربي، ويصل إلى أقصى ارتفاع له ٣٠٠٠م في منطقة الجبل الأخضر، ويشبه العمانيون هذه



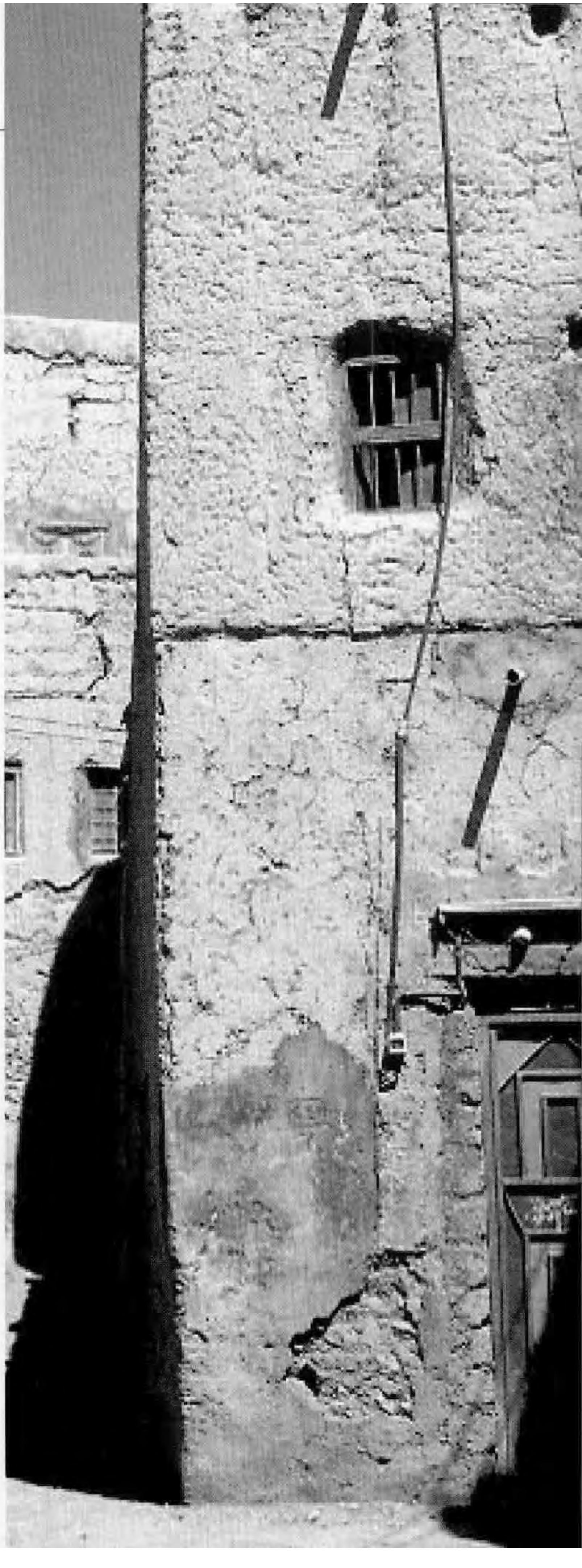
السلسلة من الجبال بالعمود الفقري للإنسان فيسمون المنطقة التي تقع على خليج عمان بالباطنة وهي الشاطئ الساحلي الذي شكلته الأودية الهابطة من الجبال، ويُراوح اتساعه بين ١٥ و ٨٠ كم كما يتجاوز طوله ٣٠٠كم، وهي المنطقة الزراعية الرئيسة بالبلاد، وتمتد شمالاً من مسقط حتى حدود دولة الإمارات. أما المنطقة التي تقع إلى الغرب من منطقة الجبال فتسمى بالظاهرة، وهي أيضًا سهول تكونت من طمي الأودية تمتد غربًا حتى تتلاشى في الصحراء (٣).

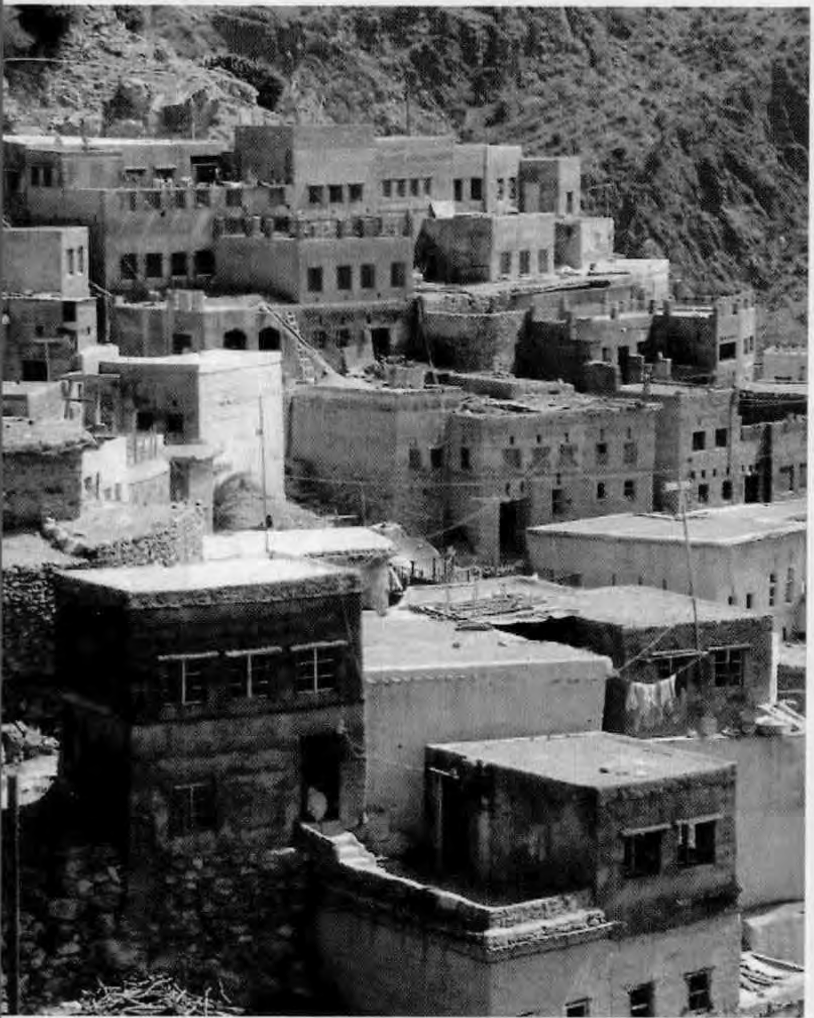
وتختلف الظروف المناخية في عمان من منطقة إلى أخرى، ففي المناطق الساحلية (كسهل الباطنة) نجد الطقس حارًا رطبًا في الصيف بينما نجده حارًا جافًا في الداخل باستثناء بعض الأماكن المرتفعة (كالجبل الأخضر) حيث إن الجو معتدل على مدار العام، أما في المنطقة الجنوبية (ظفار) فنجد المناخ أكثر اعتدالاً.

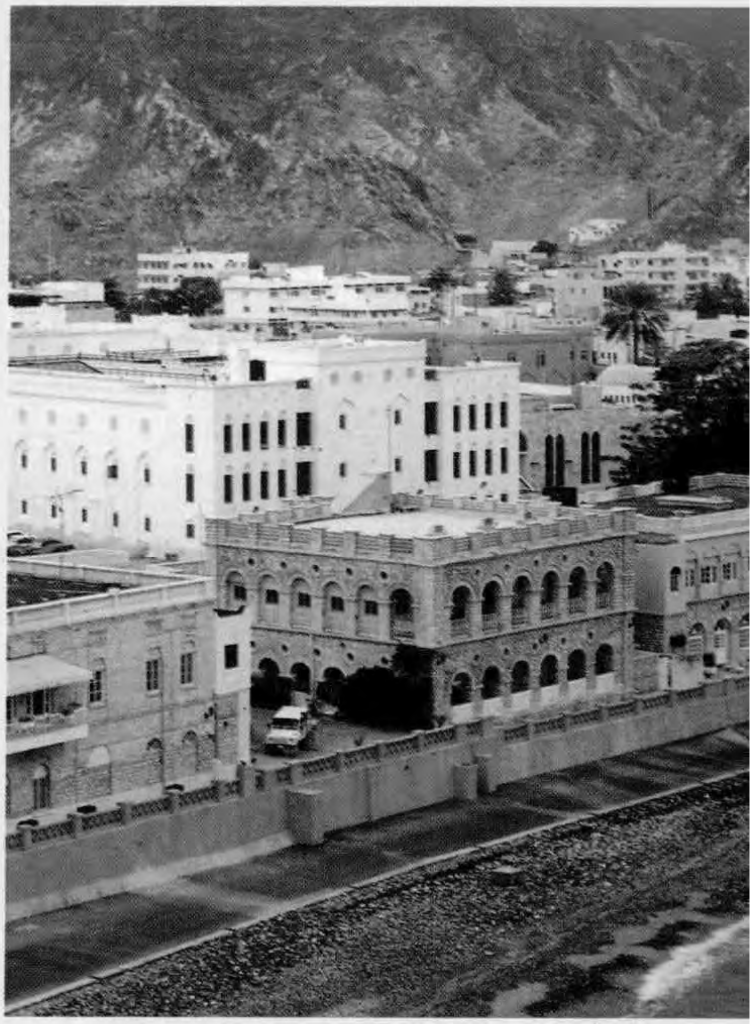
ومن ذلك فإن البيئات في عمان تتنوع تنوعًا كبيرًا وتتمثل أساسًا بثلاثة أنواع من البيئات هي: البيئة الساحلية، والبيئة الجبلية، والبيئة الصحراوية، وقد كان للخصائص الطبيعية والمناخية لكل بيئة التأثير المباشر في أسلوب العمران العماني التقليدي ونمطه، وهو ما يتضح أيضًا في اختيار أماكن المستوطنات والتجمعات العمرانية واختلاف أساليب التصميم والبناء بين المناطق الساحلية ذات المناخ الحار الرطب والمناطق الداخلية ذات المناخ الحار الجاف (٤).

أماكن المدن والمستوطنات وأنماطها

المدن الرئيسة أو المستوطنات في عمان إما أن تقع على الساحل وإما في داخل البلاد، والسبب واضح في كلتا الحالتين، فالمدن الساحلية توفر سبل العيش للصيادين والبحارة والتجار المشتغلين بالاستيراد والتصدير وصناعة اللؤلؤ، ونجد من الناحية الأخرى أن







المناطق الجبلية تتطلب إتقان اساليب بناء المنازل من الحجر المتوافر في البيئة

المدن الرئيسة في الداخل تعتمد على المناطق الزراعية وتكون بمنزلة مراكز لتوصيل الإنتاج الزراعي إلى الساحل ولاستلام البضائع من الساحل وتوزيعها في داخل البلاد.

وقد استأثرت البيئة الساحلية بقسط كبير من توجهات الإنسان العماني فأدت الشواطئ والسواحل دورًا كبيرًا في أنشطته منذ القدم؛ ولأن هذه البيئة الساحلية تمتاز بكثرة الألسنة المائية الضحلة المتعمقة في اليابسة عدة كيلومترات والتي تعرف بالأخوار، فقد كانت هذه الأخوار مواقع مناسبة قامت عليها مستوطنات شكلت آنذاك قواعد انطلاق الصيادين في صراعهم مع البحر (٥).

وإذا انتقلنا من البيئة البحرية إلى اليابس حيث السهول الساحلية الضيقة والمناطق الجبلية المرتفعة المشرفة عليها بسفوح تقطعها الأودية السيلية، وخلف هذه المناطق المرتفعة وباتجاه الداخل تمتد البيئة الصحراوية القاحلة، نجد أن ظروف الجفاف ونقص الموارد المائية قد تحكمت بصورة كبيرة في تحديد مناطق العمران، فنجد عمرانًا كثيفًا ومستقرًا في الواحات ومناطق ينابيع المياه الباطنية وفي أطراف





المرتفعات والهضاب التي تستقبل كميات لا بأس بها من الأمطار، وفي المقابل يفرض نمط السكن المخلخل والمتنقل في المناطق القاحلة (٦).

إن الناظر إلى خريطة عمان يلمح انتشار الكثير من المدن والحواضر العمانية في أقصى الشمال مرورًا بالشرق وانتهاء بالجنوب، وهذه المدن تعدّ ثغور عمان من جهة البحر، ومن ضمن هذه المدن على سبيل المثال لا الحصر صحار وصور وقريات وخصب ومسقط ومرباط وصلالة وغيرها، أما الثغور الأخرى فتوجد من الجانب الغربي والشمال الغربي وهي ثغور برية وأهمها على الإطلاق البريمي وعبري، لذا فإن ثغور الساحل أكبر عددًا من ثغور الداخل؛ وذلك لطول ساحل عمان الكبير، ولأنه مصدر الاتصالات مع الحضارات الأخرى منذ القدم، كما أن الجانبين الغربي والشمال الغربي من حدود عمان تغلب عليها الصحراء، وتقل فيها مظاهر الاستيطان (٧).

لقد كان لكل من المدن الساحلية والمدن أو المستوطنات الداخلية شخصية متميزة فرضتها الظروف البيئية لكل منطقة، فعلى سبيل المثال فإنه يتحتم في منازل منطقة ظفار أن تستطيع الصمود للأمطار الموسمية، كما أن تميز المساكن التقليدية باستخدام الألوان الزاهية في دهان الشبابيك والأبواب ربما يكون أصله علاقة ظفار الطويلة بزنجبار الواقعة على مقربة من شاطئ إفريقية الشرقية حيث كانت الأقمشة الصارخة بألوانها مادة رئيسة في التجارة بين العمانيين والأفارقة.

أما في المناطق الجبلية فإن اتخاذ المنازل فيها يتطلب إتقان أساليب بناء المنازل من الحجر المتوافر بالبيئة إلى جانب توفير الماء عن طريق الأفلاج مع تدريج الحقول من أجل زراعتها، أما بالنسبة إلى البدو فقسم لا يزال يعيش حياة البداوة الخالصة، وقسم يتخذ بعض بساتين النخيل المستقرة فيأتونها في موسم جمع التمر، وهذا القسم الأخير من البدو يمكن أن يسمى «بالأسرة ذات المنزلين» أحدهما خيمة بدوية يعيش فيها معظم شهور السنة، والمنزل الآخر مبني من الطين أو من سعف النخل يعيش فيه في الصيف (٨).

جوانب التصميم البيئي في عمارة المساكن

ربما تكون عمارة المساكن التقليدية في عمان أقل شهرة من المباني الدفاعية، وعلى الرغم من ذلك فإن الدارس لنماذج العمارة السكنية يلمح مدى التنوع والاختلاف في أساليب التصميم والمعالجات البيئية والمناخية حسب اختلاف المناطق سواء أكانت حضرية (كما في سور مطرح) أم تقليدية ساحلية (كما في مساكن النخيل التقليدية) أم مناطق جبلية (كما في مساكن مسفاة) وغيرها، فكيف أسهمت المؤثرات البيئية والمناخية في تشكيل عمارة المسكن التقليدي العماني وتصميمه في بعض المناطق المختلفة من السلطنة؟

أ- المساكن الساحلية بسور مطرح:

يوجد سور مطرح في مدينة مسقط عاصمة سلطنة





توجد الفتحات لالتقاط نسيم البحر والحماية من الرياح

عمان، ويقع في قبالة خليج عمان مباشرة، والمباني القائمة في منطقة السور يغلب عليها الطابع السكني وعددها يزيد على ٢١٨ منزلاً منها ٧٠ منزلاً تتميز بأهمية أثرية نابعة من التراث والتاريخ العمانيين، كما يضم السور في داخله مسجدين، ويعدّ سور مطرح أحسن مجمع معماري ذي طابع معماري إسلامي لا في سلطنة عمان فحسب بل على مستوى الخليج العربي.

ويرجع بناء سور مطرح إلى جماعة «اللواتيا»؛ إذ بني بواسطتهم قبل نحو ٤٠٠ سنة على شكل مستطيل أبعاده ١٠٠× ٦٠م تقريبًا، وأقدم المباني التقليدية عمرها زهاء ١٥٠ عامًا، وتم تصميم المباني وفقًا للنمط العربي الإسلامي، وهناك ٣٠ منزلاً شيدت وفقًا للنظم الحديثة، وواجهات السور الخارجية تكونها واجهات المنازل المغطاة بالمشربيات والمقرنصات والزخارف الفريدة الرائعة إلى جانب وجود الشرفات التي تطل على البحر ومصممة بأسلوب يتيح استقبال أكبر كم من نسيم الهواء الآتي من جهة البحر، وللسور بوابتان رئيستان تؤديان إلى أزقة متعرجة ضيقة لا تسمح بمرور السيارات (٩).

إن موقع سور مطرح وإطلالته على ساحل خليج عمان فرضتهما علاقة جماعة اللواتيا التجارية مع الدول

المجاورة وإيران وشبه الجزيرة الهندية، فركوب البحر حينذاك كان وسيلة الاتصال الوحيدة المتوافرة بالإضافة إلى رخص تكلفتها، وهذه العلاقة التجارية اتسعت لتشمل الجوانب الثقافية والاجتماعية؛ لذلك يوجد الكثير من الزخارف المعمارية المستعملة في هذا السور في أماكن متفرقة من شبه الجزيرة الهندية، كما يرى بعض الباحثين أن عددًا من المباني القديمة المتواجدة في حي مطرح القديم مزج بين العمارة العمانية التقليدية وعمارة حوض البحر الأبيض المتوسط (١٠).

إن سور وحي مطرح يعدّان أحد الأمثلة المعمارية الحضرية التي تعد انعكاسًا وإفرازًا تلقائيًا للموقع الجغرافي المتميز لعمان، إذ جعلها من ناحية ملتقى للكثير من الحضارات المختلفة، وكان على أهلها بحكم ميلهم الطبيعي إلى التجارة أن يستوعبوا هذه الحضارات مع الاحتفاظ في الوقت نفسه بالهوية والطابع العربيين الإسلاميين لسلطنة عمان.

ب ـ المساكن ذات الأفنية الداخلية بمسقط ومسندم:

المسكن ذو الفناء الداخلي هو أحد أنماط المساكن التي وجدت في عمان سواء في المناطق الحضرية كمسقط أو المناطق غير الحضرية كما في «بخا» و«كمزار» بمنطقة مسندم، ويأتي استخدام الفناء الداخلي في مختلف عمائر الشرق منذ القدم حلاً يوفر الخصوصية لأهل المسكن وردًا منطقيًا على الظروف البيئية القاسية بحرارتها أو ببرودتها.

ويرى بعض الدارسين أن البيوت العمانية ذات الأفنية تختلف عن مثيلاتها التي في المنطقة الشمالية من الخليج العربي، فهي أقرب إلى أشكال البيوت التي في زنجبار أو شرق إفريقية (١١)، وإن كان النمط الشرقي العربي له بصمة واضحة على المنازل العمانية التاريخية، ولا يزال في مسقط نفسها نحو اثني عشر بيتًا تم بناؤها بين أوائل القرن الثامن عشر وأواخره، وكل هذه البيوت ذات المظهر الخلاب المتناسق لها أفنية في وسطها تحيط بها المباني، وهو ما ذكرته الدكتورة سعاد ماهر من أن بيوت مسقط الأثرية التي لا تزال باقية من غرب مسقط إلى شرقها هي اثنتا عشرة دارًا (١٢)، وتوجد منها ستة منازل بديعة بنيت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر يملكها آل بوسعيد، ولكل منها فناؤه الداخلي، ومن أشهر هذه البيوت بيت جريزة، وبيت فرنسا، وبيت السيد شهاب، وغيرها(١٣).



بيت نخيل تقليدي



وقد كانت هذه البيوت حتى أوائل القرن العشرين تعدّ ضمن العمارات الحربية؛ لأن تصميمها المعماري كان يلاحظ فيه أن يكون القصر أو الدار قلعة حربية يمكن أن تحمي نفسها وقت الحاجة.

أما إذا أخذنا فكرة عن المنازل ذات الأفنية الداخلية في محافظة مسندم فسنركز في منطقة «بخا» التي تعدّ أكبر مستوطنة عمانية تقع في الجهة الغربية من شبه جزيرة مسندم، أما كمزار فتقع في أقصى شمال سلطنة عمان إلى اليمين من منتصف رأس شبه جزيرة مسندم.

والمسكن المتوسط الحجم في بخا يحتوي على فناء داخلي بالنمط نفسه الموجود في منطقة الخليج العربي، ولكن بشكل مبسط، ويمثل الفناء الداخلي غرفة المعيشة الرئيسة، وهو محاط بعدة غرف بارتفاع طابق واحد مما يوفر له الخصوصية، وجميع هذه الغرف تطل على الفناء ما عدا غرفة المجلس التي تحتوي على نوافذ ومدخل رئيس يطل على الطريق الخارجي، أما باقي الغرف فلا تحتوي على نوافذ خارجية مما يخلق جوًّا خاصًا للطرقات والشوارع الضيقة وتخطيط القرية العام، وتوجد مجموعة قليلة جدًا من البيوت تحتوي على فراغ خارجي مسقوف (لوجيا)، أما الجناح الرئيس بالمسكن فيطل على الفناء الداخلي، وفي بعض الأمثلة، كما في بيت الشيخ بحارة الشرقية، فإن المسكن يتكون من طابقين كل منهما يحتوي على فراغ خارجي مسقوف يطل على الفناء(١٤).

ج- المساكن المبنية بالنخيل في سهل الباطنة:

كان للظروف البيئية أثرها في بناء المسكن الريفي التقليدي في بعض المناطق بعمان، ومن هذه المناطق سهل الباطنة الذي يتميز بدرجة حرارة مرتفعة على مدار العام، ويتخلل فترات الرطوبة العالية المستمرة بعض العواصف الرملية والأمطار الغزيرة في بعض الأحيان.

ومعظم الأسر في القرى الصغيرة أسر ممتدة تعيش في مسكن واحد ذي فناء، وتحتل كل أسرة حجرة خاصة بها إلا أنهم يشتركون في المطبخ والحمام وغرفة الضيافة إن وجدت، والوحدة الأساسية في المسكن بهذه المنطقة من عمان هي غرفة متعددة الأغراض ذات سقف مائل مبنية من شجر السنط وجذوع النخيل وسعفها، تلحق بها وحدتان أخريان تجاه الحائط الشمالي، وهما غرفة معيشة صيفية ذات سقف مستوٍ وجاليري مفتوح مغطى بالجريد، وتضم المجمعات

على الساحل الشمالي لعمان، أهمها التظليل وتوجيه الفتحات لالتقاط نسيم البحر والحماية من الرياح الشديدة المحملة بالأتربة من الغرب، لذلك فإنه يناسب البيئة الساحلية في عمان أسلوب البناء باستخدام سعف النخيل بحيث تستغل مواد البناء المحلية بأقصى طاقة، أما في المناطق الداخلية حيث تنخفض درجة الرطوبة، ويزيد فرق درجات الحرارة بين الليل والنهار، فتستخدم الحوائط السميكة المبنية من الحجر أو الطين، ويتكون الهيكل الأساسي من سقف مستو مبني من الكمرات المثبتة في أعمدة رأسية، أما الحوائط فوحدات من سعف النخيل المجدولة في طبقات متوازية أو في صورة شبكة، ويوفر السقف المزدوج المائل الحماية من مياه الأمطار، أما الحماية من تأثير الرياح فتتم عن طريق تدعيم الأركان بالحجر أو الطين وتوجيه المباني والأفنية (١٥).

د ـ المساكن الجبلية بالجبل الأخضر ومسندم:

تعدّ عمارة المساكن في «مسفاة» مثالاً للعمارة المحلية الشعبية في منطقة الجبل الأخضر بعمان التي تتكامل مع طبيعة المنطقة الجبلية الوعرة بالجبل الأخضر والتي تتميز في الوقت نفسه بالخصب الشديد، ففيها أشجار التمر والليمون بكثرة، ويعيش أهل المنطقة على زراعة هذه المحاصيل وتجفيفها.

ويبدو للزائر من الوهلة الأولى أن أهل المنطقة يسكنون الكهوف داخل الجبل، لكن يتضح له بعد التدقيق أن مساكنهم مقامة من شقفات الصخور من لون الجبل وتكوينه نفسيهما، حيث تتسلق البيوت سفح الجبل الواحد تلو الآخر حتى تكسوه عن آخره فتلتحم المساكن مع الطبيعة ومع البيئة المزروعة فتأتي جميعها كتلة واحدة متجاورة (١٦).

وفي منطقة مسندم توجد بعض الأمثلة لمساكن جبلية لقبائل الشحوح توضح مدى التوافق بين تصميم المسكن والظروف البيئية والمعيشية في المناطق الجبلية،



عمارة حديثة مستوحاة من التراث

السكنية الكبيرة بعض المخازن، وعادة يتم طهي الطعام بالخارج إلا أنه في بعض الأحيان يلحق بالمسكن مطبخ مستقل، وتوجد أجزاء المعيشة في جنوب الفناء لتجنب الرياح الجنوبية الغربية، ويتم الحصول على المياه للأغراض المنزلية من بئر خاص بكل مسكن، وتحيط به بعض الفراغات الصغيرة كأماكن الاستحمام، ويتم اختيار مكان غرفة الضيافة بحيث يتم الوصول إليها من الخارج مباشرة وتضاف كآخر مرحلة في بناء المسكن بعد استيفاء جميع المتطلبات الأخرى.

وهناك بعض المحددات المنظمة لعملية تصميم المسكن



عمارات حديثة في حضن الجبال

ولتوضيح ذلك سوف نأخذ أحد المساكن الجبلية في منطقة «روبي» وهي بليدة صغيرة تتألف من ١٢ مسكنًا تقع في جنوب خصب بسبعة كيلو مترات في منطقة جبلية منخفضة ومحاطة بالحقول الزراعية المسورة، والمسكن المختار يتكون من ثلاثة مبانٍ مبنية بالحجر المتوافر بالمنطقة الجبلية وبعض التراسات المكشوفة، أحد هذه المباني «الصفة» هو غرفة صيفية بسيطة مسقوفة ببعض جذوع النخيل. وفي حالات أخرى يمكن أن تكون بلا سقف، وهي محاطة بحيطان بها بعض الفتحات الصغيرة المربعة توجد على مستويات وارتفاعات مختلفة بالحائط، أما الغرفة الرئيسة بالمسكن فهي تمثل الشكل التقليدي للمسكن الجبلي بهذه المناطق وهي تسمى «بيت القفل» وهو غرفة مستطيلة أبعادها ٥ × ٨ م يقع ١,٥٠م منها تحت مستوى الأرض و١,٢٠م فوق سطح الأرض.

ويستخدم بيت القفل للمبيت ليلاً في ليالي الشتاء الباردة حيث الدفء الذي يتوافر بالغرفة خاصة مع وجود موقد نار داخلها.

ويأخذ بيت القفل تسميته نتيجة تصميم مدخل الغرفة بأسلوب يكفل لها الحماية التامة والكاملة،



ففتحة الغرفة صغيرة ٦٠×٨٠سم والباب نفسه يمتد ١م أسفل فتحة الباب مع وجود قفل بالقرب من أعلى الباب ومزلاج في المنطقة السفلية من الباب(١٧).

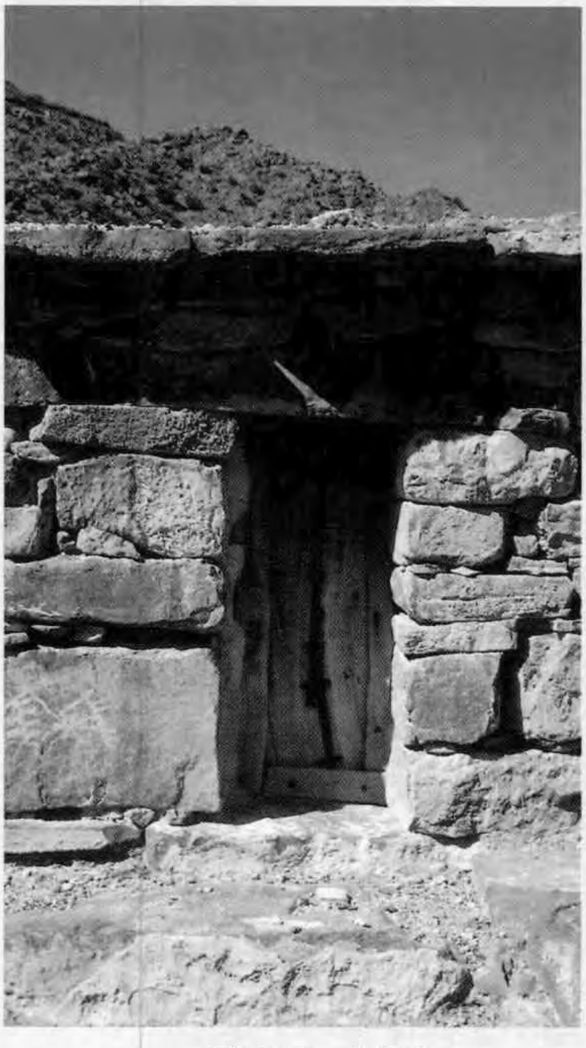
الخلاصة

على الرغم من وجود أنماط من أشكال الاستيطان البشري، ومن المباني التي تختلف باختلاف البيئات، فإن الخط العام الذي يربط التراث المعماري العماني يتجلى في كيفية الاستفادة القصوى من الموارد الطبيعية لخدمة التجمعات العمرانية والاستيطان البشري مهما كانت الظروف الطبيعية أو المناخية قاسية.

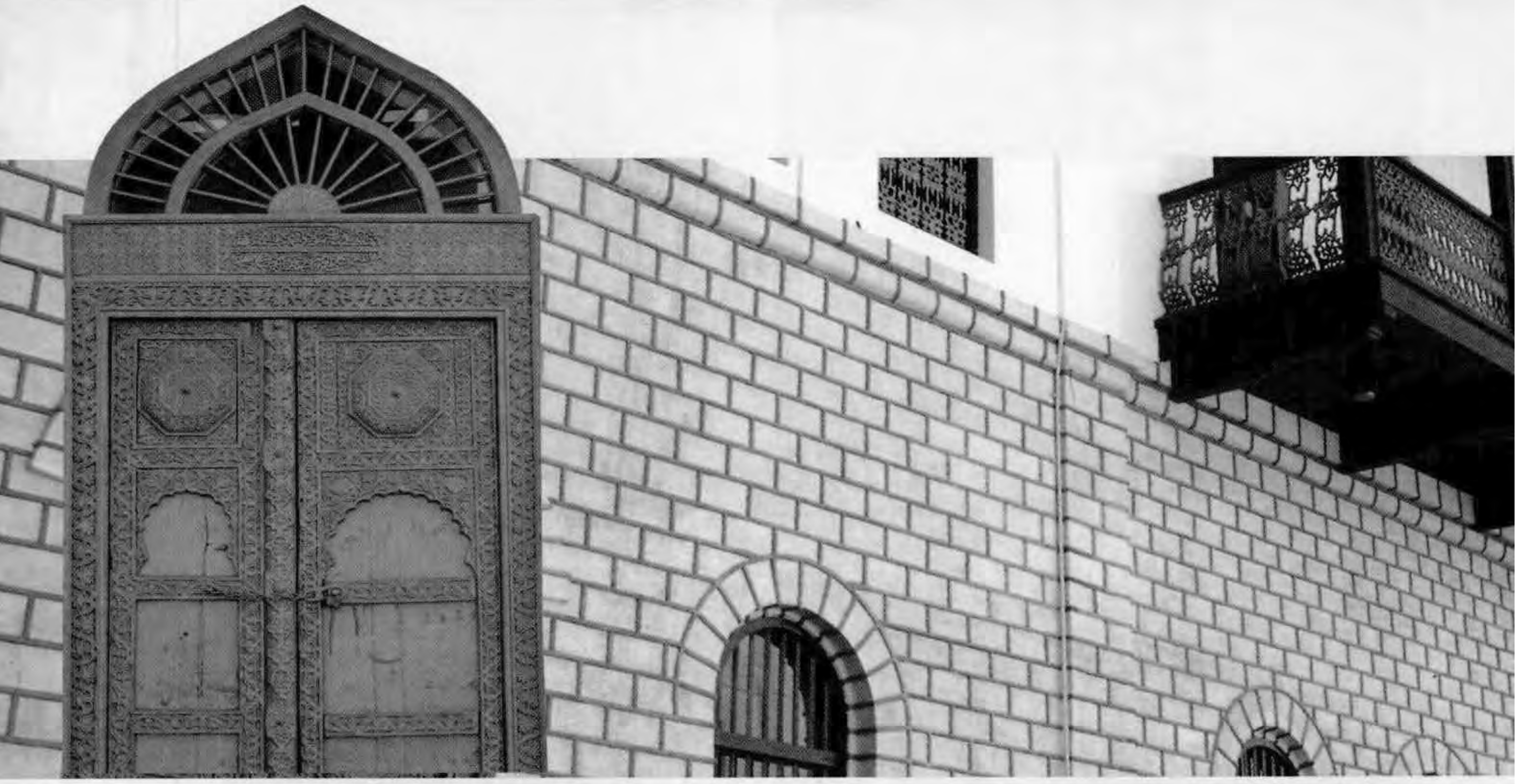
فقد تعامل المعمار العماني مع الموارد الأرضية والتضاريس بكفاءة كبيرة تظهر - على سبيل المثال - في المناطق الجبلية حيث تم تدريج الجبال على هيئة مساطب سواء للزراعة كمصدر أساسي للمعيشة والرزق، أو للبناء على هذه المساطب باستخدام الأحجار المتواجدة أصلا في البيئة الجبلية، كما أظهر الإنسان العماني إبداعًا حقيقيًا في تعامله مع الموارد النباتية المتواجدة في بيئته، ويظهر ذلك في استخدام أشجار النخيل في بناء بعض المساكن التقليدية في المناطق الساحلية كسهل الباطنة أو خصب.

أما بالنسبة إلى الموارد الجوية التي تتمثل بصورة أساسية بالعناصر المناخية فقد حاول العماني القديم أن يتغلب على قسوتها من جانب، مع محاولة الاستفادة من عناصرها بقدر المستطاع من جانب آخر، ويتمثل ذلك في التصميمات والحلول والأفكار المعمارية التي تبلورت في صورة عناصر معمارية مستخدمة في المعمار العماني التقليدي كالأفنية الداخلية وأبراج الرياح واستخدام المشربيات، أو استخدام الحوائط السميكة من الحجر أو الطين في المناطق الحارة الجافة واستخدام الحوائط والأسقف من النخيل في المناطق الحارة الرطبة.

إن الاستعراض السابق لبعض نماذج عمارة المساكن التقليدية يوضح مدى الارتباط العميق بين هذه المباني والبيئة العمانية، وتحقق ذلك من خلال فهم الإنسان العماني ومعايشته لأنماط متعددة من البيئات المتباينة في طبيعتها ومناخها، وهي حالة ليست خاصة بسلطنة عمان فقط، ولكن لها شواهد معمارية في الكثير من بلاد العالم العربي والإسلامي.



استخدام الحجر في إبداع المنازل



إتقان الصنعة يبدو في زخرفة الأبواب والشبابيك

الهـــوامش

١- عمان ٩٨/٩٩ (١٩٩٨)، وزارة الإعلام، مسقط - سلطنة عمان، ص٤١.
٢- عمان ونهضتها الحديثة، هولي، دونالد (١٩٧٧). مؤسسة ستايسي الدولية، لندن، ص٥٢.
٣- المرجع نفسه، ص٥٤، ٥٥.
٤- لمزيد من التفاصيل انظر: التراث المعماري العماني.. رؤى بيئية معاصرة، وزيري، يحيى (٢٠٠٢)، البحث الفائز بجائزة السلطان قابوس المعمارية - الدورة الثانية (٢٠٠٢م)، بلدية مسقط، سلطنة عمان.
٥- عمان في التاريخ، مجموعة من الباحثين (١٩٩٥م). وزارة الإعلام العمانية ودار أميل للنشر بلندن، ص٥٠.
٦- المرجع نفسه: ص٥٢.
٧- المرجع نفسه: ص٢٩١ وما بعدها.
٨- هولي: مرجع سابق، ص١٢٤.
٩- تأثير المنهج الإسلامي على الطابع والشخصية في تخطيط المدينة ، ساجواني، عماد جعفر (١٩٩٢)، ، من أبحاث الحلقة الدراسية الرابعة لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية - الرباط - المملكة المغربية (١٩٩١)، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، جدة، ص٢٩ - ٥٠.
١٠- عالم البناء في سلطنة عمان، إبراهيم، حازم محمد (١٩٨٧) ، مجلة عالم البناء - عدد (٨٦)، القاهرة.
11- Michell, G. (1978). Architecture of the Islamic World. William Morrow & Company, New York. pp. 209.
١٢- سندباد في عمان، الشاروني، يوسف (١٩٨٦م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص٧٠.
١٣- لمزيد من التفاصيل انظر: مسقط رائعة الحاضر والحضارة (١٩٩٢)، مجلة مسقط - بلدية مسقط، سلطنة عمان.
14- Costa, P. (1991). Musandam - Architecture and material Culture of a little Known region of Oman. Immel Publishing, Lon don, pp. 66 - 76.
١٥- لمزيد من التفاصيل انظر: أنماط الإسكان الريفي في العالم الإسلامي (١٩٨٦)، مجلة عالم البناء - عدد (٦٥)، القاهرة.
Horne, L, (1981). Rural habitats and habitations. Proceedings of Seminar Six in the series Architectural Transformation in the Islamic World Beijin, 1981. Age Khan Award for Architecture. Concept Media Pte Ltd, Singapora.
١٦- العمارة التاريخية والتقليدية في عمان، عمر، هالة، مجلة عالم البناء، (١٩٨٥). - عدد (١٢): ٣٧ - ٤٠، القاهرة.
17- Costa: Previours Reference, pp. 108 - 115.

التنمية والأمن الإنسـ



ـاني العـالمي

ترجمة: نعيم الغول

عمان – الأردن

كتب الدكتور محبوب الحق هذا المقال قبل ما يقارب خمس سنوات. وعرض فيه مفهومًا جديدًا تمامًا هو مفهوم الأمن الإنساني من حيث تركيزه في الأفراد والشعوب لا في الدول والحدود. ولأن المقال يبحث في كثير من الأمور ذات المساس الشديد بقضايانا بصفتنا من شعوب العالم الثالث. ولما يتضمنه من قضايا هي أس المشكلات والحروب التي حلت وتوشك أن تحل من إرهاب واحتلال لأراضي الآخرين بالقوة وفقر ومخدرات. والسباق على شراء السلاح بدلاً من إنفاق ثمنه على التنمية؛ فقد وجدت أن من الواجب نقله إلى العربية ليطلع عليه كل من يتطلع إلى غد أفضل بغض النظر عن موقعه وحجم مسؤولياته.[المترجم]

مفهوم جديد للأمن

من الواضح أن مفهوم الأمن يمرّ عبر تحولات جوهريّة، إذ يتقدّم أمن الناس نحو أن يصبح الهمّ المسيطر، ويفسر الأمن بصورة متزايدة من حيث كونه:

- أمن الناس وليس أمن الأراضي والمناطق فحسب.
- أمن الأفراد وليس أمن الأمم فحسب.
- الأمن من خلال التنمية وليس من خلال الأسلحة.
- الأمن لكل الناس في كل مكان - في مساكنهم، وفي وظائفهم، وفي شوارعهم، وفي مجتمعاتهم وفي بيئاتهم.

وقد أزف الوقت لأن نفتح أعيننا على حقيقة أن أغلب الصراعات الآن إنما تدور في داخل الأمم وليس بين الأمم. ومن بين الصراعات الاثنين والثمانين التي التهبت في العقد الماضي كان تسعة وسبعون منها داخل الأمم و ٩٠٪ من الخسائر كانت من نصيب المدنيين وليس الجنود. وحين يكون جلّ الصراع بين الشعوب، وليس بين الدول، ويكون مناط هذا الصراع - على نحو متكرر - حول تآكّل الدخول وفرص العمل، وليس النزاع على الأراضي، فلِمَ إذن لا تزال الأمم المتحدة ترسي قوات حفظ السلام في هذه البلدان؟ أما كان خيرًا لو أرست التنمية اليوم بدلاً من القوات غدًا؟

أمن لا يتجزأ

ويتطلب هذا التفسير الجديد منا أن ننظر إلى الأمن الإنساني بوصفه عامًا، وعالميًا، ولا يتجزأ. والسرعة ذاتها التي جلبت الكثير من السلع والخدمات الحديثة إلى أعتاب منازلنا جلبت قدرًا أكبر من الشقاء إلى فنائنا الخلفي. إن الأمن الإنساني العالمي أوثق صلة اليوم. إن كل مخدر يقتل بشكل غير ملحوظ، وكل مرض ينتقل خلسةً، وكل عمل إرهابي يحطم الحياة بغير ما معنى - تصور لحظةً أن هذه كلها تحمل ملصقة تعريفية Label ببلدالمنشأ بذلك القدر الذي تحمله البضائع التجارية. حينذاك سندرك وقد أخذتنا الصعقة فجأة أن هموم الأمن الإنساني أكثر عالمية اليوم حتى من التجارة العالمية. لن يكون بمقدور أي أمة أن تحمي أمن شعبها دون تفاهم واتفاقات عالمية.

وإننا لفي حاجة أيضًا إلى أن نفتح عيوننا على حقيقة أن الفقر لا يمكن له أن يقبع ضمن حدود الدولة.



٩٠ ٪ من ضحايا الصراعات والحروب من المدنيين وليس الجنود

قد يوقف الفقراء لكن العواقب المأساوية لفقرهم لن توقف على الحدود بين الدول، بل تنتقل هذه العواقب دون جواز سفر - وبأشكال كثيرة غير سارة. واليوم لا تتوقف المخدرات والإيدز والتلوث والإرهاب عند أي حدود وطنية. إنها تملك القدرة على الوصول والضرب بسرعة مدمرة في أي ركن من أركان المعمورة.

وأخيرًا نحن بحاجة إلى إدراك أنه من الأسهل علينا أن نتعامل مع القضايا الجديدة للأمن الإنساني ذات الكلفة الأقل والدرجة الإنسانية الأعلى، ولو كنا ضد التيار، من أن نواجه عواقبها المأساوية ولو كنا مع التيار.

هل كان معقولاً أن نتكبد كلفة مذهلة مقدارها ٢٤٠ بليون دولار أمريكي في العقد المنصرم بسبب الإيدز؟ على حين أن كسرًا بسيطًا من هذا المبلغ لو استثمر في الرعاية الصحية الأولية، وتعليم التخطيط الأسري في العالم النامي، لكان قد منع الانتشار السريع لهذا المرض القاتل؟ وهل كان مصدر ثناءٍ عظيمٍ على الدبلوماسية أن تنفق بليوني دولار في سنة واحدة على جنود الأمم المتحدة لتقديم المساعدة الإنسانية في الصومال قبل سنوات قليلة. لو بكّرنا في استثمار هذا المبلغ منذ عقد في زيادة إنتاج الغذاء لربما تفادينا المأساة النهائية ليس

لسنة واحدة بل ربما على الدوام.

نحن بحاجة إلى مفهوم جديد للأمن في الوقت الحاضر. ينعكس على حياة الناس، ولكن ليس على أسلحة بلادهم. علينا أن نبتعد عن أمن السلاح إلى أمن الإنسان، وأن نستعمل العائد المتحقق من السلام في تمويل البرنامج الاجتماعي المطول للجنس البشري.

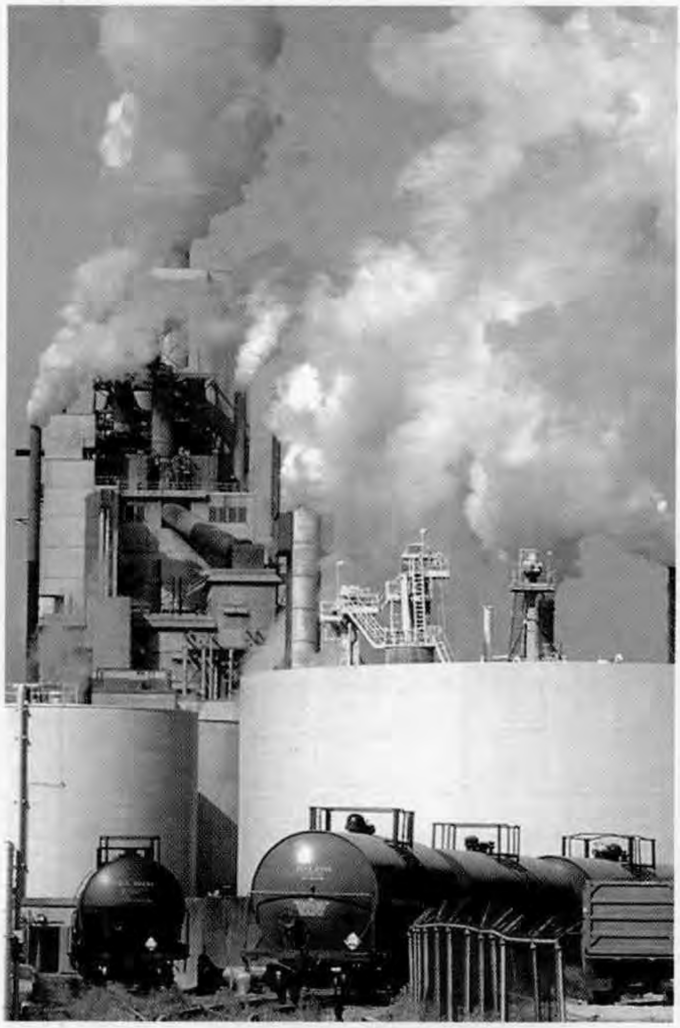
ضحايا العالم الثالث

علينا أن نواجه الواقع، فالحرب الباردة لم تنته بعد، ولم ينجز من المهمة إلا نصفها. لقد تخطينا مرحلة الحرب الباردة في علاقات الشرق بالغرب وليس في العالم الثالث. لم يشترك أي زعيم من العالم الثالث في محادثات نزع السلاح في جنيف، على الرغم من أن ٢٢ مليون نسمة في المناطق الفقيرة ماتوا في أكثر من ١٢٠ صراعًا منذ الحرب العالمية الثانية. وكان القسم الأكبر من الخسائر الناجمة عن الحرب الباردة في العالم الثالث. ومع ذلك تم نسيان ٨٠٪ من مجمل الإنسانية عندما حلّ السلام أخيرًا بين الشرق والغرب. لا يوجد اليوم منتدىً للأمم المتحدة أو منتدىً للعالم الثالث يناقش قضايا السلام ونزع السلاح في العالم النامي.

ألم يحن الوقت بعد لكي نسأل قادة العالم الثالث:

- لِمَ يصرون على أن ينفقوا على الأسلحة ضعفي أو ثلاثة أضعاف ما ينفقونه على تعليم شعوبهم وصحتهم؟
- لِمَ عدد الجنود لديهم ١٨ ضعفًا لعدد الأطباء؟
- كيف استطاعوا أن يوفروا سيارات الجيب المكيفة لجنرالاتهم العسكريين حين لا تتوافر الشبابيك في غرف صفوف مدارس أطفالهم؟

أولم يئن لنا أن نسأل قادة الأمم الغنية أن يوقفوا حساب الموت والدمار المستمر في العالم الثالث، وأن يحددوا جدولاً زمنيًا متماسكًا - لنقل للسنوات الثلاث المقبلة - لكي:



التلوث وغيره من الآثار السلبية لا تتوقف عند حدود

- يغلقوا القواعد العسكرية الأجنبية كافة في البلدان النامية.
- ويحولوا المساعدات العسكرية الحالية كافة إلى مساعدات اقتصادية.
- ويقبلوا عرفًا جديدًا للسلوك المتعلق بنقل الأسلحة، وعلى وجه الخصوص إلى مناطق الأزمات والأنظمة الاستبدادية المتسلطة.
- ويشطبوا المعونات عن مصدّري السلاح، وأن يعيدوا تدريب العاملين لديهم على أداء وظائف في صناعات مدنية.
- ويقبلوا شفافية أكبر في كشف المعلومات المتعلقة بتجارة السلاح والديون العسكرية.



ضحايا الصراعات والحروب

إن التحدي الرئيس التالي يتمثل في تخفيض الإنفاق الضخم لما يزيد على ١٧٠ بليون دولار أمريكي في العام في الأمم الفقيرة، وأن تنفق هذه الأموال بدلاً من ذلك في رفاه شعوبهم.

ماذا لو؟

ومن الممكن للعائد المتأتي من تخفيف التوترات السياسية والإنفاق العسكري أن يكون مجزيًا في جنوب آسيا. وبخاصة في الهند وباكستان. فلو قامت جنوب آسيا بتخفيض انفاقها العسكري في حدود ٥٪ سنويًا على غرار ما كان يحدث في باقي أنحاء العالم في السنوات العشر الأخيرة؛ لتمكنت من قطف ثمار سلام تتمثل في نحو ١٢٥ بليون دولار أمريكي على مدى الـ ١٥ سنة القادمة. وقد يكون هذا كافيًا لتأمين تعليم أساسي شامل، ورعاية صحية أولية، ومياه شرب سليمة للجميع، وتغذية مناسبة لمن يشكون من سوء التغذية، وخدمات تخطيط الأسرة لجميع الأزواج الراغبين، وتسهيلات ائتمانية للفقراء والمحرومين للحصول على مصادر رزق مُستديمة. بعبارة أخرى، إن التخفيض في الإنفاق العسكري بنسبة ٥٪ سنويًا يمكن أن يمول برنامج جنوب آسيا برمته من الخدمات الاجتماعية الأساسية، والائتمان للفقراء، كما يعمل على دفع هذه الأمم نحو التقدم المتسارع في القرن الحادي والعشرين.

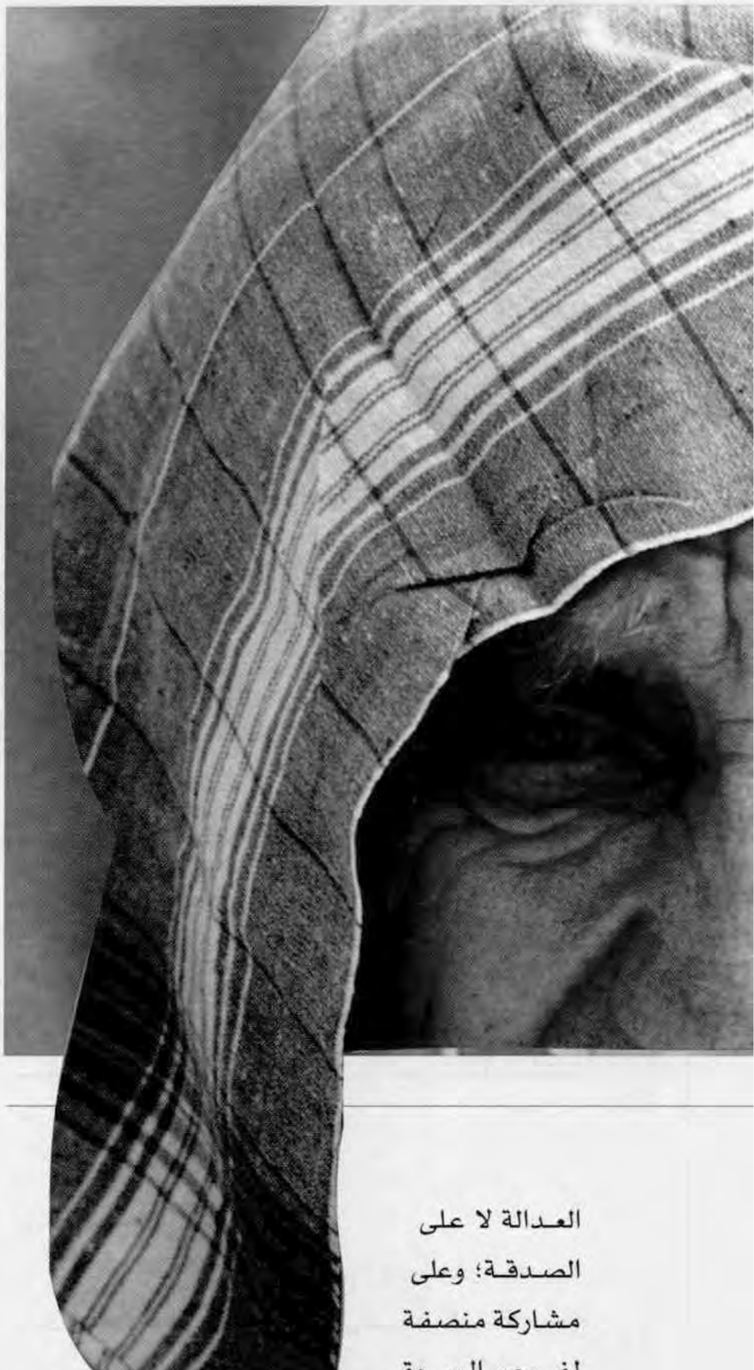
إن الأمن الإنساني لفكرة قوية وثورية تفرض أخلاقية جديدة علينا جميعًا من خلال إدراك التهديدات المشتركة لوجودنا عينه.

إن الأمن الإنساني مفهوم لا ينشأ من كتابات الدارسين المفعمة بالعلم؛ بل من الهموم اليومية للناس. إنه ينعكس كل يوم على الوجوه المتجعدة للأطفال الأبرياء، في الوجود المكروب للمشردين، في الخوف المستوطن في قلوب العاطلين، وفي صرخات المقهورين المكظومة، في اليأس غير الملحوظ لضحايا المخدرات والإيدز والإرهاب وانتشار التلوث.

يتطلب الأمن الإنساني نمطًا جديدًا من التنمية الإنسانية ـ تنمية تغلف بنسيجها طموحات الناس، رجالاً ونساءً سواء بسواء. وإنه يتطلب كذلك نمطًا جديدًا من التعاون التنموي والحكم العالمي.

إطار جديد لتعاون تنموي

يتطلب مفهوم الأمن الإنساني شراكة جديدة بين الشمال والجنوب، ويجب أن تقوم هذه الشراكة على



ولقد حكمت المساعدة الأجنبية غالبًا علاقات الشمال والجنوب منذ الحرب العالمية الثانية، على الرغم من أن هذه المساعدات هامشية وموجهة إلى الجهة الخطأ.

أمعنوا النظر في أحد الأمثلة الواقعية: تخصص الأمم الغنية ما معدله ١٥٪ من ناتجها القومي الإجمالي لمساعدة ١٠٠ مليون فقير من فقرائها الذين يرزحون تحت خط الفقر الذي قدر بخمسة آلاف دولار سنويًا للفرد الواحد. لكنهم يخصصون ٠,٣٪ فقط من ناتجها القومي الإجمالي للأمم الفقيرة التي تضم بليون فقير ذوي دخول تقل عن ٣٠٠ دولار سنويًا للفرد الواحد.

ويا للمفارقة الصارخة بين شبكات الأمان الاجتماعي الوطنية والدولية. ومع ذلك هناك مفهوم عام لدى الأمم الغنية يصر على أن الأولى استخدام هذه المساعدات في بلادها. وقد لا تدرك الأمم الغنية بأنه حتى لو توقف كل مساعداتها إليهم، فإن شبكات الأمان الاجتماعي المحلية عندهم ستزداد من ١٥٪ إلى ١٥,٣٪ من الناتج القومي الإجمالي، ولعلها ليست الصفقة الأسخى في التاريخ.

على أي حال، ليس المهم من الزاوية العالمية الدور الهامشي فقط للمساعدة بل إن توزيعها يخلف أيضًا الكثير مما هو غير مرغوب فيه. تحمل المساعدة اليوم ندوب حقبة الحرب الباردة. فكثيرًا ما قدمت المساعدات إلى الدول الحليفة أكثر منها إلى الدول الفقيرة. وانظر إلى ربط المساعدة بالهدف المكرر دومًا حول محو الفقر العالمي. ولا يخصص لعشر دول تضم ثلثي عدد الفقراء الذين يعانون فقرًا مدقعًا في العالم إلا ثلث المساعدات التنموية الرسمية.

أما ضعف قيمة المساعدات الرسمية للفرد الواحد فيذهب إلى ٤٠٪ من الدول الأغنى من بين الدول النامية وليس إلى ٤٠٪ من الدول الأفقر. وأقل من ٧٪ من المساعدات التنموية الرسمية الثنائية توجه إلى مناحي الاهتمام الإنساني ذات الأولوية - الرعاية الصحية

العدالة لا على الصدقة؛ وعلى مشاركة منصفة لفرص السوق العالمية لا على المساعدة؛ وعلى دمج ذي اتجاهين لا عمليات نقل باتجاه واحد: على تعاون متبادل وليس على اشتراطات ومواجهة أحادية الجانب.



التعاون التنموي ضرورة لمقاومة التهديد المتنامي الصادر عن الفقر

الأولية، التعليم الأساسي و مياه الشرب الصحية، برامج التغذية وخدمات التخطيط الأسري.

وهناك أيضًا صلة محسوسة بين المساعدة الفنية والتركيز في بناء القدرة الوطنية. بعد ٤٠ عامًا من المساعدة الفنية لا تزال ٩٥٪ من هذه الأموال (أكثر من ١٥ بليون دولار سنويًا الآن) تذهب إلى المستشارين الأجانب، على الرغم من الخبرات الوطنية الفائقة المتوافرة في الدول النامية. تتلقى إفريقية ٦ بلايين دولار سنويًا من المساعدات الفنية، ومع ذلك فإن مؤشرات التنمية الإنسانية لديها هي الأقل في العالم. وكان معدل الاستشارة غير المجدية لكل فرد أكثر من معدلها في أي قارة أخرى. وليس هناك من شكل من أشكال العون يستحق جراحة جذرية كما تستحقها المساعدة الفنية اليوم.

رؤية للتعاون

ويجب أن نحاول بكل عزم أن نحسن نوعية المساعدة، وأن نضم إطار عمل جديد إلى التعاون التنموي يتناسب مع ما تحقق بعد الحرب الباردة، وضرورات الأمن الإنساني الجديدة. إن المقترحات الآتية تعرض من باب المساهمة في هذا الهدف:

أولاً: لنجد دافعًا جديدًا للتعاون التنموي يبنى على مقاومة التهديد المتنامي الصادر عن الفقر العالمي أكثر من التهديد المتقهقر للحرب الباردة. فما عاد الأمن مهددًا

بكارثة نووية محتملة لكنه مهدد بالتأكيد بانتقال الفقر العالمي عبر الحدود الدولية على شكل مخدرات، إيدز، وتلوث، وهجرة غير شرعية وإرهاب. وفي حين أن فرص الانتحار النووي كانت دائمًا ضئيلة، إلا أن فرص كل عائلة في أن تتأثر بهذه التهديدات الجديدة عظيمة. هل تستطيع الدول الغنية أن تقنع شعوبها بهذا التهديد الذي يلوح في الأفق لأمنهم الإنساني الخاص بهم؟

ثانيًا: دعونا نبين للمتشككين أن برنامج التنمية الإنسانية اللازمة يمكن أن يمول بإعادة تخصيص الأولويات في الموازنات الموجودة. لنفكر في تصور جديد ذي نسبة ٢٠:٢٠ ينبغي أن تلتزم الدول النامية معدل ٢٠٪ من موازناتها للاهتمامات ذات الأولوية الإنسانية لا نسبة الـ ١٠٪ الحالية - وذلك بتخفيض إنفاقها العسكري، وبخصخصة المشروعات العامة غير الكفؤة، وبشطب الإنفاق على التنمية المتدنية. كما ينبغي على الدول الغنية أن ترفع مخصصاتها المالية ذات الأولوية الإنسانية من النسبة الحالية البالغة ٧٪ لتصل إلى ٢٠٪، ويمكن للميثاق الإنساني العالمي الجديد الذي صودق عليه من حيث المبدأ من قبل قمة الأرض الاجتماعية في كوبنهاغن في مارس/ آذار ١٩٩٥م أن يخول بإعادة صياغة أولويات المخصصات الحالية. وهي لا تتطلب موارد جديدة لكنها تتطلب شجاعة ومهارة عظيمتين، وسوف تقدم من ٣٠ بليون دولار إلى ٤٠ بليون دولار على شكل مخصصات لبرنامج التنمية الإنسانية الطارئ للأمم الفقيرة، ثلاثة أرباع هذا المبلغ من خلال قراراتهم هم والربع الآخر من المجتمع الدولي. إن العائد الإنساني المتأتي من مثل هذا الميثاق يمكن أن يكون كبيرًا جدًا، فخلال عشر سنوات يمكن أن يكون جميع الأطفال في المدارس. ويمكن أن تتوافر الرعاية الصحية الأولية ومياه الشرب النظيفة لجميع الناس، كما يمكن أن تقدم خدمات تخطيط الأسرة لكل الأزواج الراغبين، إضافة إلى إمكانية القضاء



إرساء التنمية أفضل من إرساء قوى حفظ السلام

على سوء التغذية الحاد عند الأطفال.

ثالثًا: دعونا نقوّم الاختلال المتزايد بين المعونة الطارئة القصيرة الأجل والدعم التنموي الطويل الأجل. في الوقت الذي أنفقت فيه الأمم المتحدة أقل من ٤ بلايين دولار أمريكي على مهمات حفظ السلام خلال السنوات الثماني والأربعين الأولى من وجودها، فإنها أنفقت وحدها أكثر من ٤ بلايين دولار أمريكي على هذه المهمات عام ١٩٩٤م، ومقابل كل دولار من المعونة الإنسانية فإن نحو ١٠ أضعافها يذهب إلى الجنود - كما حدث في الصومال. وقد آن الأوان لمراجعة هذا

الاختلال الغريب والمزعج. كما حان الوقت أيضًا لإدراك أنه إذا كانت هناك أموال للتنمية الاقتصادية ـ الاجتماعية فمن المحتمل أن تكون هناك حالات طارئة أكثر بكثير في المستقبل.

إن للاختلال على الأقل معنيين متضمنين متعلقين بالسياسة. أولهما: أن من الواجب على المتبرعين أن يكونوا مقتنعين أن المخصصات لعمليات حفظ السلام للأمم المتحدة يجب أن تأتي من موازناتهم الدفاعية، وليس من موازنات المساعدات التنموية الرسمية المحدودة. فعمليات حفظ السلام في المحصلة امتداد لمتطلباتهم الأمنية، وليست هبة إلى الأمم الفقيرة.

ثانيهما: أن من الواجب تقوية الدور التنموي الذي تضطلع به الأمم المتحدة. وهذا يعني أن الأمم المتحدة يجب أن تعطى تفويضًا من أجل تنمية إنسانية مستديمة، وأن تزود بمصادر تمويل تنموي عالية الضمانة، وأن يتم لها منتدى لقرارات اقتصادية عالمية على أرفع المستويات، وهو ما كنت سأقترحه باسم مجلس للأمن الإنساني.

رابعًا: لنبحث عن نموذج تعاون تنموي أكثر إبداعًا قائم على الأمن الإنساني لا على أفكار مهجورة من الصدقة.

وسيشتمل ذلك النموذج على آليات ثلاث:

ـ آلية لتسهيل الدفعات من قبل دولة إلى أخرى مقابل الخدمات الممنوحة ـ مثل الخدمات البيئية، والرقابة على العقاقير المخدرة والرقابة على الأمراض المعدية.

ـ آلية لتسهيل التعويض عن الأضرار الاقتصادية ـ أضرار ناتجة من تشجيع هجرة الأدمغة من الأمم الفقيرة، وتقييد هجرة العمالة المنخفضة المهارة، وتقييد



شراكة من أجل تنمية مستديمة


الأمن من خلال التنمية لا من خلال الأسلحة

الصادرات من البلدان الفقيرة.

- آلية لتحويل تلقائي للموارد من أجل الأهداف العالمية التي تشمل البقاء الإنساني العام - وخصوصًا الحماية البيئية، وقد يتطلب الأمر جمع مبالغ طائلة من خلال التصاريح القابلة للمتاجرة لانبعاث الكربون، أو من فرض ضريبة دولية على انبعاث غاز الكربون لكي يصبح الالتفات إلى الشؤون المتعلقة بالبقاء الإنساني تلقائيًا، وليس عرضة لموافقات تشريعية وطنية.

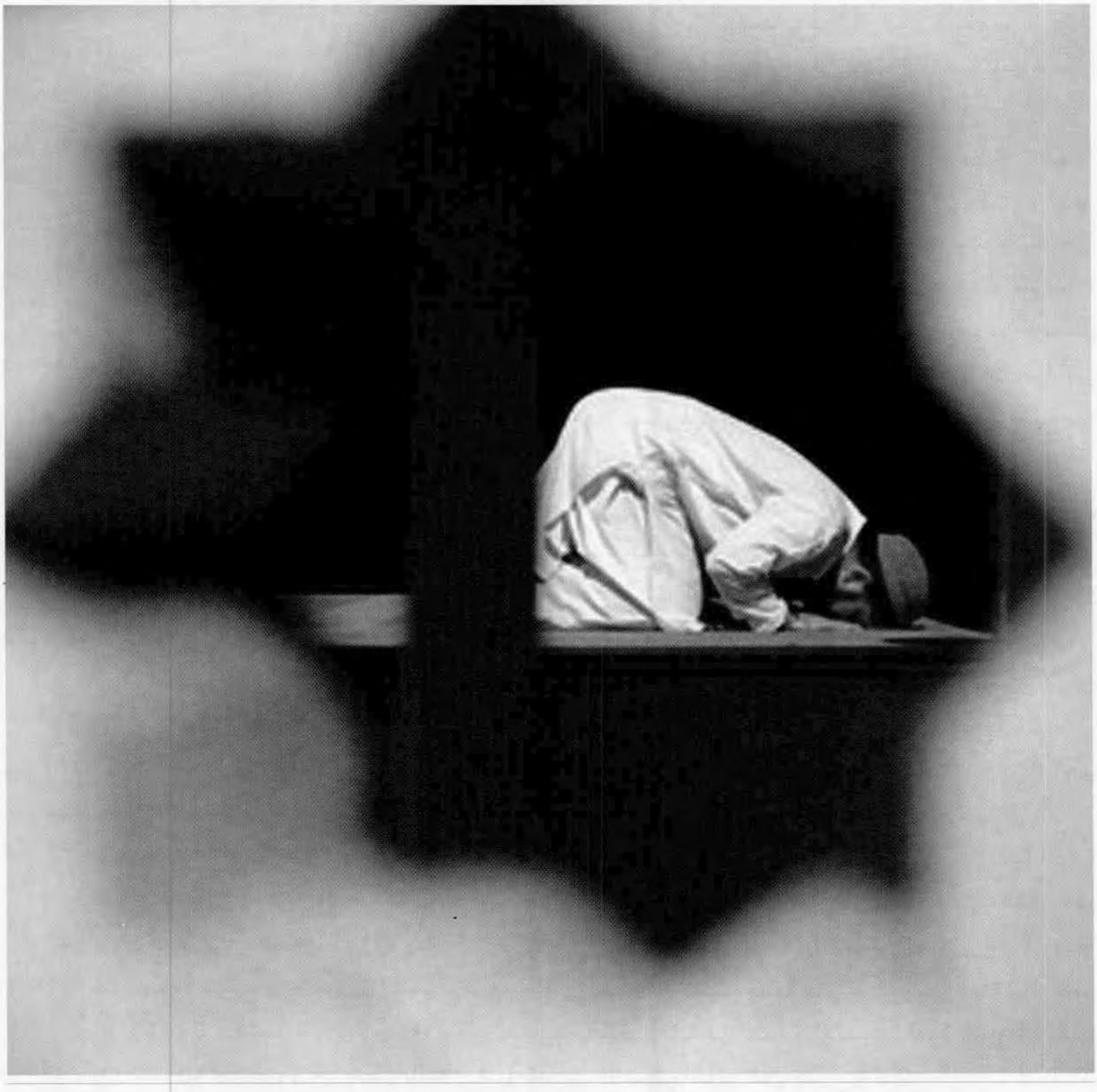
خامسًا : التوسع في التعاون التنموي كي يشمل التجارة وتقنية الاستثمار وتدفق العمالة، ويجب إعداد حسابات شاملة لضمان أن ما يعطى باليمين لا يؤخذ بالشمال، وأن تركز جهود مستمرة لإفساح المجال أمام فرص السوق العالمية. تذكروا الاستنتاج المروع الذي خرج به تقرير التنمية البشرية عام ١٩٩٢م، وهو أن الدول النامية محرومة مما قيمته ٥٠٠ بليون دولار أمريكي من فرص السوق العالمية سنويًا في حين تتلقى مساعدة بقيمة ٥٠ بليون دولار أمريكي. ولربما كانت السياسة الأكثر مبادرة اليوم، والمطلوب هو إطار عمل موسع من التعاون التنموي - التحرك بأحوال الشمال والجنوب من المعونة والإحسان إلى شراكة أكثر نضجًا.

سادسًا : لنربط بين الحوار المتعلق بسياسة المعونات بالمسائل الجديدة المتعلقة بتخفيض الإنفاق العسكري، وحكم وطني أفضل، وتركيز في التنمية البشرية الدائمة. الإقناع خير من الإكراه. والتحالفات البناءة مع صناع سياسة محليين من أجل التغيير خير من التدخل الخارجي. وحوار مستنير حول السياسات خير من الاشتراطية الجامدة، وتركيب ذو اتجاهين خير من ضغط أحادي الجانب.

ولكن الأهم من ذلك تغيير جوهر الحوار حول السياسات، ولم تكن المعونة شعبية عند كلا الطرفين؛ لأن الحوار حول السياسات كان يجري كليًا بين الحكومات - لا بين الشعوب - دون أهداف منظورة محددة أو موفى بها. ومن المؤكد صعوبة تسويق رسالة المعونة لجماهير متشككة إن لم تكن روابطها بالأهداف العالمية مذكورة بوضوح ومراقبة بانتظام. ومن الواجب تقديم شفافية أكبر في البيانات عن المعونات.

ومن غير الممكن في الوقت الحاضر مراقبة المعونة على أساس ارتباطها بأهداف عالمية جديرة بالثناء. هذه القضايا خلافية لكن الحوار المخلص يجب أن يبدأ حولها. وتتطلب حقبة ما بعد الحرب الباردة إطار عمل جديد كليًا من التعاون التنموي لتلبية ضرورات الأمن الإنساني العالمي التي تطل برؤوسها.

هوية الأمة الإسلامية بين الاس



...ـتقلال والتبعية

مازن مطبقاني

الرياض ـ السعودية

هوية أي أمة هي ذاتها ووجودها، وقد تحددت هوية الأمة الإسلامية منذ بدأت آيات القرآن الكريم تتنزل على سيد الخلق صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى: ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾. [العلق:١]. إلى قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا ﴾ [المائدة:٣]. تحددت هذه الهوية بالأسوة التي كان يقدمها الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه الأمة، حتى قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يصف دعوة الإسلام بقوله: "كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام والأوثان، ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منّا الضعيف، حتى جاءنا من نعرف صدقه وأمانته، فدعانا إلى عبادة الواحد الأحد، وإكرام الجار، والأخلاق الفاضلة".

واتضحت صورة الهوية الإسلامية في قول ربعي بن عامر أمام كسرى: «إن الله جاء بنا وابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة»، وعرفنا الهوية الإسلامية من موقف بلال بن رباح رضي الله عنه من صناديد قريش وهم يعذبونه في رمضاء مكة وشمسها المحرقة بأن أصر على الرد عليهم بكلمة واحدة «أحدٌ أحد».

هوية إسلامية

هذه الهوية هي التي جعلت الأمة الإسلامية تنشر العدل والرحمة في العالمين، كما وصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾. [الأنبياء:١٠٧]. وفي قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾. [البقرة: ١٤٣]. وفي هذه الآية يقول الإمام القرطبي في تفسيره: «نحن وإن كنّا الأخيرين زمنًا لكنّا الأوَلون مكانًا»، هذه الأمة التي وصفها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾. [آل عمران:١١٠]. هذه الأمة حين مكّنها الله سبحانه وتعالى كانت كما وصفها: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾. [الحج:٤١]. ومن الهوية الإسلامية التعامل مع أهل الكتاب وفقًا لآيات الكتاب الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم﴾. [الممتحنة:٨]. وانظر كيف قدم (البر) على (القسط) والبر كما عرفه العلماء: هو جماع الخير كله، وجعل معاملة الوالدين أساسها البر، فهكذا نحن مع غيرنا من الأمم التي لم تعادينا، وأضيف أيضًا أنه صلى الله عليه وسلم قد بعث رحمة للعالمين، ألا نكون نحن - الأمة الإسلامية - أيضًا رحمة للعالمين؟

إن الذين يملكون هذه الهوية يعرفون الهويات الأخرى التي تحيط بهم، فهم يعرفون الجاهلية العربية التي عاصرتهم، وعرفوا من خبرتهم وتجاربهم الأمم الأخرى من يهود ونصارى. كما عرفوا هذه الأمم من خلال وصف القرآن الكريم لليهود والنصارى وللعرب الجاهلين.

الهوية الإسلامية هي التي دعت إلى الصدق والأمانة والوفاء بالعهود والوعود وجعلت الوفاء بالعهد دينًا، وجعلت الصدق من البر الذي يهدي إلى الجنة والكذب من الفجور الذي يهدي إلى النار. ولله ما أعظم حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم حين وصف الكذب بالفجور، وجعله علامة من علامات النفاق. إنه لم يصف الكذب بالذنب فقط، أو الخطأ ولكنه وصفه بالفجور.

ولقد أحاطت آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم المسلم بسياج متين من



المحافظة على استقلالية الهوية تقتضي معرفة تفاصيلها

استقلالية الهوية أمر مهم وخطير ينبغي أن نغرسها في نفوس أبنائنا وبناتنا مع حليب أمهاتهم. بل قبل ذلك نغرسها في نفوس الآباء والأمهات لينقلوها إلى الأبناء

أن يندمج بغيره أو يفقد هويته، هذا ما أطلق عليه الدكتور طه جابر العلواني (الحاجز النفسي)، حين ذكر أن النصرانية تضع حول أتباعها حاجزًا نفسيًا حتى لا يندمجوا بغيرهم، ويفقدوا هويتهم. وصاح بعض كبار قساوستهم عندما رأى شباب أمته يقلدون المسلمين في ملبسهم ومأكلهم ولغتهم حتى إن بعض أبناء النصارى أصبح يكتب الشعر باللغة العربية، ولا يحسن اللاتينية لغة قومه، وقال غاضبًا: لئن لم يرعو هؤلاء عن تقليد المسلمين إن الكنيسة ستنزل بهم العقاب. وليس كاليهود في منع أتباع ديانتهم من الذوبان في الأمم الأخرى فهم يزعمون أنهم (شعب الله المختار)، بل مضوا أبعد من ذلك، فعاشوا في أحياء خاصة بهم أطلق عليها (الجيتو)، وأصروا على ارتداء ملابس خاصة وقص شعرهم بطريقة خاصة، حتى أصبح تطويل السوالف من الأمور التي ميزت اليهود.

استقلالية

استقلالية الهوية أمر مهم وخطير ينبغي أن نغرسها في نفوس أبنائنا وبناتنا مع حليب أمهاتهم، بل قبل ذلك نغرسها في نفوس الآباء والأمهات لينقلوها إلى الأبناء. لا يمكن المحافظة على استقلالية الهوية دون معرفة هذه الهوية بالتفصيل من أصغر سلوك إلى أكبر قضية في الأمة، وهي الحكم الذي يعيشون في ظله.



الهوية الإسلامية جعلت المسلمين ينشرون العدل والرحمة في العالمين

وأصغر الأشياء التي لا تبدو مهمة، ولكنها جزء من الهوية أن يبدأ الإنسان ارتداء النعلين باليمين، وعندما يخلعهما يبدأ بالشمال. وفي دخول المسجد وفي الخروج منه، وعندما يطفئ المصباح في الليل أو يبقي باب بيت الخلاء مغلقاً.

بعد المعرفة يأتي الاعتزاز، والاعتزاز يقود إلى المحافظة والاستقلال، بل إن ذلك يقود إلى دعوة الآخرين إلى هذه الهوية.

ولكن مرت بالأمة الإسلامية أزمنة بدأت فيها تفقد هويتها ويرجعها الدكتور طه جابر العلواني إلى التنازلات التي بدأ تقديمها بعض السلاطين العثمانيين بدعوى التسامح مع الكفار. وكان تسامحًا حقًا، ولكن في غير محله؛ وذلك حين تركوا للقناصل الأجنبية أن تعيث في بلادهم، وأن تستوطن وتؤثر. ثم جاءت الطامة الكبرى في فتح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين، وظهور هذه المدارس بأنها الأرقى، وأن المدارس الإسلامية متخلفة. وقد صرح كرومر حاكم مصر في عهد الاحتلال بأن أبناء مدرسة فيكتوريا سيكونون جسرًا بين الثقافة الإسلامية والثقافة الأجنبية. وهي عبارة مخففة، إن هؤلاء سيكونون أتباعًا للغرب ينادون بالهوية الغربية، ويحاربون الإسلام والمسلمين. وكما قال الشيخ محمود شاكر - رحمه الله -: جاء نابليون إلى مصر، وأراد أن يأخذ عددًا من الأشراف وشيوخ القبائل ورؤساء الناس ليعيشوا في فرنسا فترة من الزمن فيتشبعوا بالحضارة الفرنسية حتى إذا عادوا إلى بلادهم كانوا أعوانًا لفرنسا، ولمّا لم يتم ذلك تفتقت عبقرية مستشاري محمد علي باشا - سرششمه - عن فكرة إرسال عدد من أبناء مصر النابهين للدراسة في فرنسا، وهناك يعيشون بين ظهراني الفرنسيين فيتأثرون بهم. وقد وردت في المراسلات الخاصة بالمبتعثين المغاربة أن المشرف على

التبعية اليوم في الهوية إنما هي جزء من الروح الانهزامية التي انتشرت في هذه الأمة بسبب جهلها بحقيقة هويتها وبانهيار الحاجز النفسي

البعثة لما أكمل الطلاب مدة ابتعاثهم طلب أن يبقوا في فرنسا بعض الوقت ليتشبعوا بالحياة الفرنسية والحضارة الفرنسية.

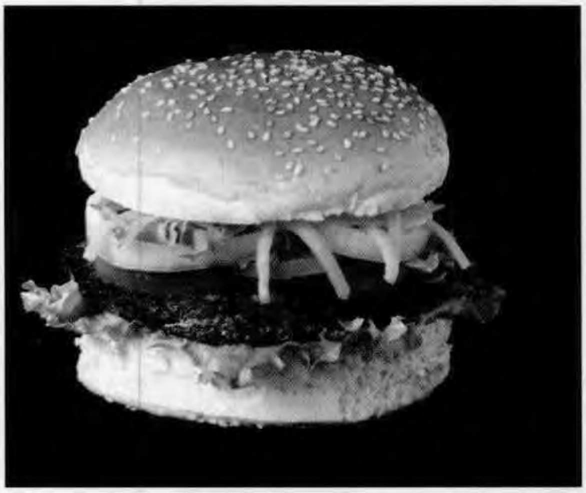
غـــزو

وغزينا في عقر دارنا بالإعلام صحافة وإذاعة وتلفازًا وقنوات فضائية. فكان من أوائل من عمل في الصحافة النصارى، وبخاصة نصارى لبنان، فبثوا من خلالها السموم لمحاربة الهوية الإسلامية. واستمرت سيطرتهم على الإعلام حتى إن السينما المصرية، وهي رائدة السينما في العالم الإسلامي بدأها أناس من اليهود، فكانت أداة لمحاربة الهوية الإسلامية، وكذلك كان المسرح، وظهرت الفرق المختلفة، منها - على سبيل المثال - فرقة (فاطمة رشدي) التي كانت تقدم قصص جورجي زيدان، وتسيء إلى التاريخ الإسلامي والهوية الإسلامية، حتى إن بعض علماء الجزائر قال لها: إنك امرأة مسلمة، واسمك فاطمة، فما هذا السفور والاختلاط؟ ولماذا تؤدين مسرحيات جورجي زيدان التي تفتري على التاريخ الإسلامي؟ فأجابت إجابات غير شافية بأنها عفيفة وشريفة، وإن أسفرت عن وجهها وشعرها.

التبعية اليوم في الهوية إنما هي جزء من الروح الانهزامية التي انتشرت في هذه الأمة بسبب جهلها بحقيقة هويتها وبانهيار الحاجز النفسي، وأذكر في هذا المجال ما قاله وزير خارجية دولة العدو الصهيوني حينما أسقطت بعض دول الخليج المقاطعة الاقتصادية من الدرجة الثالثة، قال: ليس المهم ما نحققه من مكاسب اقتصادية بقدر ما حققناه من بداية انهيار الحاجز النفسي.

نعم نحن بحاجة إلى حملة كبيرة لاستعادة الهوية





العولمة وهوية الهامبورغر والتفكك الأسري



العولمة .. ومحاولة لإذابة الهويات

الإسلامية وتأكيد استقلاليتها، وأود أن أذكر كلمة عن برنامج لممثل مشهور (عالم الصغار) حيث سأل دريد الطفل أنت تريد أن تكون «مدير» إذن سيكون لك سكرتيرة فقال الطفل، وإذا كانت جميلة فسأتزوجها. فقلت أين العالم المسلم أو الفنان المسلم الذي يعلم الأطفال ويحاورهم ليؤكد في نفوسهم الهوية الإسلامية وليس الهوية التي تقوم على وجود سكرتيرة تكون بينها وبين المدير ما لا يرضي الله ولا رسوله.

عولمة وأمركة

إن العولمة أو ما يطلق عليه بعضهم الأمركة تريد أن تذيب الهويات كلها في هوية واحدة هي هوية الجينز وهوية الهامبورجر والموسيقا الصاخبة. إنها لا تخيف الأمة الإسلامية، بل إنها تحد لهم ليقدموا للعالم أن يعرفوا هويتهم أولاً، ثم ينتقلوا إلى العيش بهذه الهوية وتطبيقها في شؤون حياتهم كلها. وبعد ذلك ينطلقون ليقدموها للعالم، وأذكر لقاءً جمعني بالشيخ أحمد ديدات حين طلبت منه أن يزور قسم الاستشراق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة قبل أكثر من خمس عشرة سنة حيث قال لي: لعلكم في هذا القسم تنتظرون الغربيين أن ينتقدوا الإسلام ويشوهوه ثم تردون عليهم بما يسمى الدفاع التسويغي (التبريري)، عليكم أن تخرجوا إليهم لتقولوا لهم: إنكم بحاجة إلى الإسلام؛ لأنكم تعيشون حياة تعيسة، انظر إلى مدينة نيويورك مثلاً كم عدد الشواذ جنسيًا فيها؟ كم عدد المدمنين على المخدرات أو الكحول؟ كم عدد حالات الطلاق؟ كم عدد حالات الشواذ أو السرقة؟ إنكم بحاجة إلى الإسلام ليصلح لكم أحوالكم وأموركم. فهل نحافظ على استقلال الهوية الإسلامية؟

التفسير النفسي لقصـ



ـــة السندباد

شريف موسى عبد القادر

تلمسان – الجزائر

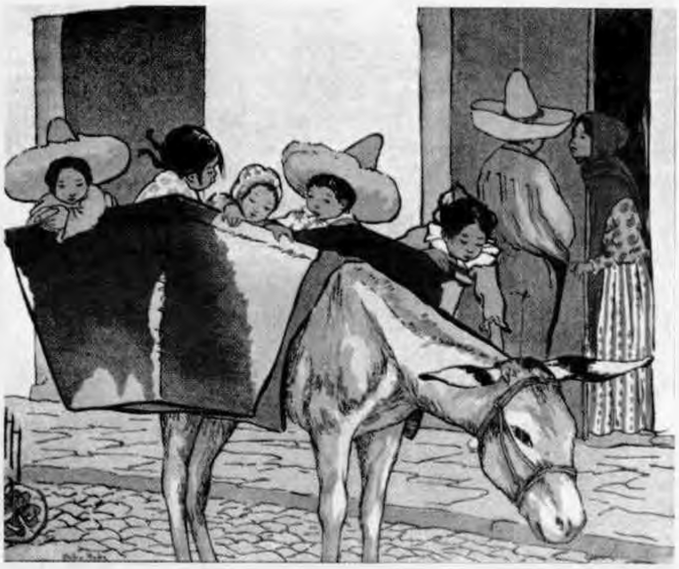
لا يزال الكثير من روائع الأعمال الأدبية العالمية، بما فيها الحكايات الشعبية والخرافية، يؤثر في أجيال متعددة من البشر، وفي فترات مختلفة من الزمن. ولعل أقرب المناهج التي حاولت الكشف عن السر الذي يكفل لهذه الأعمال استمراريتها وشعبيتها، ودوام حضورها بفاعلية في الوعي الفكري والوجود البشري، هو المنهج النفسي. ولعلنا بتحليلنا لهذه الحكاية (قصة السندباد البحري والسندباد الحمّال) وفق المنهج التحليلي النفسي – من خلال البحث عن تجليات الاغتراب للذات المثالية عن الذات الحقيقية في هذه القصة أو الحكاية – نحاول أن نستخرج تلك الآلية النفسية التي تجعل هذا النوع من الحكايات يجذبنا إليه دائمًا، ونحاول في الوقت نفسه فك سر تشوقنا إلى الاستماع إليه مجددًا دون ملل أو كلل.

تبتدئ القصة برجل فقير، كان يعيش في بغداد أيام الخليفة هارون الرشيد وكان اسمه «السندباد» وكان عمله يتمثل في حمل متاع الناس مقابل أجرة معلومة. وفي أحد الأيام كان الحرُّ شديداً، فأصابه تعب شديد مما كان يحمله، فجلس أمام منزل جميل ليستريح. أعجبه ما رأى من جمال المنزل، وما فيه من طيور وأشجار مثمرة وروائح زكية تنعش القلب، وتطرح الهمَّ، فتذكر حاله، وما هي عليه من قساوة وتعب ! وسرح خياله إلى صاحب المنزل الجميل الذي يجلس عند بابه، وما فيه من ملذات وبذخ وغنى ! فبينما هو في خواطره، إذا أحد الغلمان يدخل إلى المنزل ليلتقي صاحبه الذي كان رجلاً وقورًا بدأ يظهر الشيب في رأسه، هذا الرجل كان اسمه «السندباد»، إلا أنه يحمل صفة أخرى يختلف بها عن «السندباد الحمّال» وهي صفة الملاحة، فقد كان اسمه «السندباد البحري». بعد ذلك دعاه إلى منزله ليقص عليه رحلاته السبع بما تحمله من مغامرات غريبة، وحكايات عجيبة.

بقيا على هذه الحال، يفترقان كل مساء ليلتقيا في الغد، مدة سبعة أيام. وخلال هذه المدة، ترك الحمّال عمله النهاري الذي يقتات منه، إذ كان يستمع في كل يوم إلى حكاية واحدة عن رحلة من الرحلات السبع التي كان يقصها عليه «السندباد البحري» التي تنتهي دائمًا بعودته (البحري) من هذه الرحلات محمَّلاً بالبضائع والأموال فيزداد غناه مع كل رحلة من رحلاته السبع. وبعد أن أتم قص حكاياتها كلها على (الحمّال)، أصبح هذا الأخير نديمًا له وصديقًا، ولم يعد إلى عمله النهاري المتعب. بهذا تنتهي حكاية «السندبادين».

إن القارئ لهذه القصة يخرج بانطباع هو أن هذه القصة تتكلم على شخصين هما السندباد البحري والسندباد الحمّال، إذ يقوم الأول بحكاية رحلاته السبع على الشخصية الثانية التي تأخذ دور المستمع، وتنتهي القصة بأن يصبح الثاني «السندباد الحمّال» نديمًا للأول «السندباد البحري» وصديقًا له.

إلا أن المدلول النفسي يوحي بأن هاتين الشخصيتين ما هما إلا وجهان لشخصية واحدة: للذات الحقيقية والذات المثالية، وبمعنى آخر، ذات مرتبطة بالواقع واهتماماته وهي الذات الحقيقية تخضع لمبدأ الواقع.





السندباد .. حكاياته لاتزال تؤثر في الأجيال

وذات أخرى تهرب من عالم الواقع إلى عالم الخيال المملوء بالمغامرات العجيبة والحياة الباذخة وهي الذات المثالية لمبدأ اللّذة.

إن القصة في حد ذاتها تؤكد ما ذهبنا إليه من وجود شخصية واحدة بوجهين مختلفين. فها هو ذا «السندباد الحمّال» يقول عن نفسه وعن مالك ذلك المنزل الجميل: «وأنا مثل هذا وهذا مثلي» (١) وهناك نص آخر في هذه القصة يبرز هوية السندباد الحمّال الفقير والسندباد البحري الثري فيقول هذا الأخير: «اعلم يا حمّال أن اسمك مثل اسمي فأنت صرت أخي»(٢).

إذن، فالمدلول النفسي لهذه القصة يتمثل في وجود مظهرين مختلفين لشخصية واحدة، ويطلق على هذين الوجهين المتناقضين من الشخصية مصطلحا: «الذات الحقيقية» و«الذات المثالية» خصوصاً عند كارين هورني (٣).

فالذات الحقيقية «هي المركزالشخصي للإنسان الذي بفضله يتحقق تطوره الفردي في الواقع، أما الذات المثالية فهي ما ينبغي أن تكون عليه الشخصية طبقًا لرغباتها»(٤). بمعنى أن الذات أو الأنا الحقيقية مرتبطة بالواقع وبالمحيط الخارجي للفرد، بينما الذات أو الأنا المثالية هي مجموع ما يرغبه الفرد ويتخيل أن تكون عليه في الواقع. ولكن يحق لنا أن نسأل أيٌّ من «السندبادين» يمثل الذات الحقيقية وأيٌّ منهما يمثل الذات المثالية؟.

يمكن تأكيد أن «السندباد الحمّال» يمثل الذات الحقيقية، بينما «البحري» يمثل الذات المثالية، وذلك لأمور أهمها:

- أن «السندباد الحمّال» يعيش في الواقع حياة صعبة يعترف هو بها بقوله: «ومنهم سعيد ومنهم من هو مثلي في غاية التعب والذل» (٥).بينما السندباد البحري يعيش حياة مغامرات عجيبة، ورحلات غريبة يخرج دائمًا منها

المدلول النفسي يوحي بأن شخصيتي السندباد ما هما إلا وجهان لشخصية واحدة: للذات الحقيقية والذات المثالية، وبمعنى آخر، ذات مرتبطة بالواقع واهتماماته. وذات أخرى تهرب من عالم الواقع إلى عالم الخيال



السندباد البحري ينجو دائما من الأهوال ويعود منتصراً

الجانب السردي للحكاية يؤكد أن «السندباد البحري» هو بطل الحكاية، وليس «الحمّال»، فالأول هو الفاعل في الأحداث من خلال قيامه بالرحلات والصراع

سالمًا محمَّلاً بالأموال والجواهر وما إلى ذلك.

- أن «السندباد البحري» يطلق على تلك القوة الغريبة التي دفعت به إلى التفتيش عن المغامرة بـ «النفس الأمَّارة بالسوء»(٦) و«النفس الخبيثة»(٧). ولعل هذه الصور تتناسب تمامًا مع الشخص الذي يستسلم لإغراءات «الهُوَ» (٨). فـ «الهُوَ» برغباته واحتياجاته التي لا تُلبَّى في الواقع، يدفع بالفرد إلى أن يعيش صراعًا داخليًا في ذاته، وحتى يَحلَّ هذا الصراع، يلجأ إلى تكوين صورة مثالية عن ذاته. من هذا المنطلق، يمثل كلٌّ من «السندبادين» وجهين أو ذاتين لشخصية واحدة: ذات حقيقية مرتبطة بالواقع (الحمّال)، وذات مثالية بعيدة عن الواقع «البحري». نتعرف الذات الحقيقية من خلال شخصية «السندباد الحمّال». هذه الذات استراحت ذات يوم من أعباء الواقع اليومي عند جدار منزل جميل متأملة مصيرها وقدرها فتقول: «فهذا المكان صاحبه في غاية النعمة، وهو متلذذ بالروائح اللطيفة، والمآكل اللذيذة، والمشارب الفاخرة في سائر الصفات، وقد حكمت في خلقك بما تريد، وما قدّرته عليهم، فمنهم تعبان ومنهم مستريح ومنهم سعيد ومنهم من هو مثلي في غاية التعب والذل» (٩).

منذ بداية القصة نرى هذه الشخصية تُعارض - من خلال هذا القول - حياة مبنية على الإشباع العذب وتلبية الحاجات الداخلية للفرد بحياة أخرى مبنية على الواقع بكل إحباطاته وأعبائه الثقيلة على الذات. هذه المعارضة تمثل بداية الصراعات الداخلية التي تنشأ في شخصية «السندباد الحمّال» نتيجة عدم تلبية مطالبه ورغباته الداخلية من أمنٍ وراحة ومال.

وسوف نجلي في أثناء هذا التحليل كيفية حدوث اغتراب شخصية «السندباد» عن ذاتها الحقيقية (الحمّال)، بتكوين ذات مثالية «السندباد البحري».

تذكر القصة في بدايتها أن الذات الحقيقية ترزح تحت ثِقل الحياة اليومية، المتعبة والمنهكة جدًا: «وكان رجلا فقيرًا ...حمل في يوم من الأيام حملة ثقيلة وكان ذلك اليوم شديد الحر، فتعب من تلك الحملة، وعرق،

واشتد عليه الحر»(١٠). هذا التعب الشديد الذي يحمله الواقع، جعله يستريح عند جدار جميل، ويفكر في مصيره، ويعارضه بمصير صاحب ذلك المنزل. بل إن هذا الواقع يجعله يحلم بحياة الثري صاحب الدار الآمنة والحياة الخالية من التعب.

هذه الرغبات والمطالب التي تتجسد في حياة صاحب المنزل، اصطدمت بواقع الظروف الاجتماعية التي يعيشها «السندباد الحمّال»، فلم تُشبع ولم تُحقَّق. مما جعله « يكره ذاته الحقيقية لضعفها وفشلها ... ويقع في صراع داخلي شديد، وهو صراع بين الذات الحقيقية والذات المثالية التي تنشأ عن حاجات الفرد الداخلية وتؤثر في الشخصية» (١١). هذه الصراعات الداخلية قد تجسَّدت وتمثَّلت ـ كما قلنا سابقًا ـ في معارضته لحياتين مختلفتين.

ولعل الأبيات الشعرية التي ذكرها خير دليل على مدى شدة هذه الصراعات التي تجتاحه، وتهدده بتمزيق ذاته، فهو يقول(١٢):

فكم من شقيٍ بلا راحة
وما حمل الدهر يوما كحِملي
وأصبحتُ في تعب زائد
وأمري عجيب وقد زاد حملي
وغيري سعيد بلا شقوة
ينعّم في خير فيء وظل
ينعّم في عيشه دائمًا
بِبَسْطٍ وعزٍ وشرب وأكل
وكلُّ الخلائق من نطفة
أنا مِثلُ هذا وهذا كمثلي
ولكن شتَّان ما بيننا
وشتَّان ما بين خمر وخل

وقد أوردت هذه الأبيات على كثرتها حتى أُبين مدى قوة هذه الصراعات التي تسيطر عليه. فهو يشكو من تعبه الدائم والمتزايد مع أن هناك من يعيش في راحة ورغد العيش. ومما يزيد في عجبه من هذه الحياة وهذا الواقع، أن «الآخر» الغني المرتاح لا يختلف عنه إلا بمزية المال، إذ إنَّه مثله ومُساوٍ له، بل هو نفسه، ولكن الظروف الاجتماعية هي التي فرقت بينهما، وجعلتهما مختلفين كاختلاف الخمر عن الخل (١٣).

هكذا نرى أن الذات الحقيقية المتعبة مما تقوم به من أعمال في الواقع، خضعت لسيطرة الذات المثالية التي جعلتها الشخصية بديلاً من الأولى حتى تَحُلَّ الصراعات التي أخفقت الذات الحقيقية في حلّها. وهذه الذات المثالية ما هي إلا «السندباد البحري» بكل مغامراته العجيبة، ورحلاته الغريبة التي يجمع من خلالها المال الكثير، ويتجول في بلدان كثيرة ويلاقي أهوالاً عظيمة، ينجو منها دائمًا، ويعود في الأخير محملاً بالجواهر والحلي، ويشتري الضياع والعقارات.

تؤثر هذه الذات الجديدة التي ينشئها الفرد (السندباد) لحل نزاعاته الداخلية، في بنية الشخصية، وتسيطر عليها، مما يؤدي إلى الاغتراب الذاتي للشخصية (١٤). فلا يعود الفرد يدرك ذاته بل إنه يقتنع بأن الذات المثالية هي التي تمثله. إن قصص «السندباد البحري» يمكن أن تُشكل استهواءات «الحمّال الفقير»

وأصبحت الذات الحقيقية «السندباد الحمّال» ذاتًا مثالية «السندباد البحري» من خلال استهواءات وأحلام اليقظة (الغنى ـ المغامرات العجيبة ـ الجاه والسلطان ...) وهذا ما أدى إلى اغتراب شخصية « السندباد» عن ذاته الحقيقية وعن واقعه



السندباد الحمال تحول الى مستمع إلى السندباد البحري ومغامراته العجيبة

التي لجأ إليها كي يفر من حياته المتعبة (١٥).

فهذه الذات الجديدة التي كونها «السندباد الحمّال» عن نفسه - بلجوئه إلى أحلام اليقظة والاستهواءات؛ وذلك من أجل تخفيف حدة النزاعات الداخلية - قد أدت إلى تمزق أكبر للشخصية بسبب الهوة العميقة بين الصورة المثالية (التي تمثل مجموعة استهواءات الحمّال وخيالاته بخصوص الرحلات السبع) والواقع بكل تعبه وذُله ومرارته.

من هنا أصبحت شخصية «السندباد» ذاهلة عن ذاتها الحقيقية (الحمّال) ومغتربة عنها، مقتنعة في الوقت نفسه بأن الذات المثالية (البحري) التي كونتها، هي التي تمثلها في الواقع وليست هناك ذات أخرى غيرها.

وأصبحت الذات الحقيقية «السندباد الحمّال» ذاتًا مثالية «السندباد البحري» من خلال استهواءات وأحلام اليقظة (الغنى - المغامرات العجيبة - الجاه والسلطان ...) وهذا ما أدى إلى اغتراب شخصية «السندباد» عن ذاته الحقيقية وعن واقعه.



السندباد .. واللجوء الى أحلام اليقظة والأستهواءات

البطل الحقيقي

إن بنية الحكاية في حد ذاتها، تؤكد وتدعم ما ذهبنا إليه بخصوص اغتراب الشخصية عن ذاتها الحقيقية (من خلال خضوعها لذات مثالية سيطرت عليها وتحكمت فيها) وذلك على عدة مستويات:

ـ فمع أن الحكاية تبتدئ بتقديمها لشخصية «السندباد الحمّال» التي تدفع بنا إلى الاعتقاد أنها هي بطل هذه الحكاية، إلا أننا سرعان ما ندرك اختفاءه الذي كاد يكون كليّاً طوال الحكاية. إذ نُلاحظ ظهوره فقط عند بداية كل رحلة من الرحلات السبع، أو نهايتها، مُفسحًا المجال لشخصية «السندباد البحري» تصول وتجول طوال ثلاثين ليلة، أي المدة التي استغرقتها «شهرزاد» في حكايتها للرحلات السبع للسندباد.

ـ تغرينا الحكاية في بدايتها بأن «السندباد الحمّال» هو البطل الذي تنسج حوله الحوادث. إلا أن «البطل لا يصبح بطلاً إلاّ إذا امتلك كفاءة خاصة (سلطة أو معرفة ـ عملاً)» (١٦). وهذا ما ينقص «الحمّال»، ويوجد عند «البحري».

هذا الأخير كان يملك سلطة المال المتمثلة في

نستطيع أن نستنتج بأن الذات المثالية (البحري) هي التي كانت مسيطرة على شخصية (السندباد) طوال الحكاية، وذلك بسيطرتها على الأحداث فيها. بينما الذات الحقيقية (الحمّال) لم يعد لها وجود

المتاجر والسفن والجواهر، وكان يقوم بالرحلات، ويصارع الغيلان والمردة والأشرار (عمل). بينما الكفاءة أو العمل الوحيد الذي كان «السندباد الحمّال» يمتلكه في بداية القصة، والذي يتمثل في حمل أمتعة الناس على رأسه، انتفى واختفى بمجرد دخوله إلى قصر «السندباد البحري» واستماعه إلى الحكايات.

من جهة أخرى، الجانب السردي للحكاية يؤكد أن «السندباد البحري» هو بطل الحكاية، وليس «الحمّال»، فالأول هو الفاعل في الأحداث من خلال قيامه بالرحلات والصراع، وفاعل كذلك في «السندباد الحمّال» من خلال قيامه بفعل القص للرحلات السبع،



السندباد البحري هو الفاعل برحلاته وصراعاته

يمثل كلٌّ من «السندبادين» وجهين أو ذاتين لشخصية واحدة: ذات حقيقية مرتبطة بالواقع (الحمّال)، وذات مثالية بعيدة عن الواقع «البحري»

بينما اختفت شخصية «الحمّال»، وأصبحت مجرد مستمع إلى الأحداث، ومنفعل بها ومتلقٍ للفعل (فعل القص) فقط.

من هنا نستطيع أن نستنتج بأن الذات المثالية (البحري) هي التي كانت مسيطرة على شخصية (السندباد) طوال الحكاية، وذلك بسيطرتها على الأحداث فيها، بينما الذات الحقيقية (الحمّال) لم يعد لها وجود، أي لم تعد تسير شخصية السندباد التي اغتربت عنها، وأصبحت مقتنعة بأنها هي الذات المثالية (البحري).

ـ تخبرنا بداية الحكاية أن «الحمّال» كان يقوم بمهامه اليومية في أثناء النهار وتتمثل في كسب قوته بحمل أمتعة الناس، فالعالم النهاري هو عالم عمل (الحمّال). لكن الحكاية تذكر بعد ذلك أنه كان يقضي نهاره كله (من الصباح إلى المساء) في الاستماع إلى حكايات (البحري) بدلاً من أن يقوم بواجباته اليومية من حمل للأمتعة ... إلخ بمعنى آخر، لم تعد ذات السندباد، حقيقية مرتبطة بالواقع، وإنما أصبحت ذاتًا مثالية تصل درجة اختلافها عن الأخرى إلى النقيض.

عالمان لا مكانان!

عنصر آخر يضاف إلى هذا، ويتمثل في اختلاف المكانين اللذين كانت الذاتان (الحمّال والبحري) تقضيان نهارهما فيهما: فالمكان الأول كان شديد الحر مما أتعب



السندباد الحمال والهروب من الواقع إلى الخيال

الحمّال وجعله يعرق، بينما المكان الثاني فيه «نسيم رائق ورائحة زكية ...»(١٧) يفصله عن المكان الأول باب وجدار، هذا الباب والجدار لا يفصلان بين مكانين وحسب، بل بين عالمين مختلفين: عالم الواقع والخيال.

فكان (الحمّال) يقضي كل نهاره داخل القصر، أي بعيدًا عن الواقع وعن ذاته الحقيقية، ليصبح ذاتًا مثالية تعيش أحلامها وتخيلاتها في جو من المغامرات والرحلات العجيبة، أين تظفر دائمًا بالنجاة والأموال؟ ... أصبحت الشخصية ذاهلة عن ذاتها الحقيقية، وبعيدة عنها؛ وذلك من خلال بقائها في القصر!.

عنصر آخر نراه يخدم ما ذهبنا إليه في هذا التحليل ويتمثل في الأبيات الشعرية التي أوردها (الحمّال) في بداية الحكاية، موازنًا فيها بينه وبين (البحري) بالخل والخمر، إنه بهذه الموازنه يقول لنا بلغة رمزية: إنه يمثل أو ينتمي إلى المجال الواعي، بينما الآخر يمثل المجال غير الواعي. فمن خصائص الخمر



أنها تذهب عقل شاربها، فتذهب بذلك وعيه، وتجعله يتصور ويتخيل أشياءً وأفعالاً غير موجودة في الواقع، بل إن الخمر تجعله يحس بخفة غريبة وكأنه يطير أو يحلق في السماء (وهذا ما كان عليه السندباد البحري، طيور تحلق به في السماء ...).

بينما خصائص الخل تتمثل في حموضته الشديدة التي تجعله يستعمل في إنعاش من يصاب بالإغماء، ورد وعيه إليه، فهو (الخل) حامض حموضة الواقع وقساوته مثل ما كان عليه «السندباد الحمّال».

فإذا كان «الحمّال» يمثل المجال الواعي من خلال ذات حقيقية، فإن البحري يمثل المجال غير الواعي بكل ما يحمله من دوافع ورغبات تبحث عن الإشباع والتحقيق، وهو ممثل في ذات مثالية.

من هنا نستخلص أن هناك اغترابًا عن الذات الحقيقية من خلال عدم وعي الشخصية لهذه الذات؛ وذلك بتكوين ذات مثالية (السندباد البحري) تحميها من الواقع المؤلم الذي تتخبط فيه، فتبتعد عن ذاتها الحقيقية وعن الواقع· (تخبرنا نهاية الحكاية أن السندباد الحمّال بقي على اتصال بالسندباد البحري، ولم يعد إلى ما كان عليه في السابق من حمل الأمتعة).

ولا ننسى عنصرًا أخيرًا يضاف إلى العناصر الأخرى، إذ نلمس اغتراب الشخصية عن ذاتها

إن بنية الحكاية في حد ذاتها. تؤكد وتدعم ما ذهبنا إليه بخصوص اغتراب الشخصية عن ذاتها الحقيقية (من خلال خضوعها لذات مثالية سيطرت عليها وتحكمت فيها)ً

الحقيقية من خلال نهاية القصة: فالذات المثالية لا يمكن أن تكون هي الذات الحقيقية، ولا يمكن أن تتوحد بها، بل تبقى نقيضاً لها.

فالحكاية نفسها لا تعبر عن ضرورة انسجام الذاتين المتناقضتين لشخصيتنا، إذ يستمر «السندبادان» (الحمّال والبحري)، في العيش منفصلين، مما يدل نفسيًا على بقاء ذلك الاختلاف بين الذاتين، ويدل على وجود اغتراب عن الذات الحقيقية (لعدم وجود توحّد للذات في نهاية القصة).

يمكننا في نهاية هذا التحليل أن نتساءل: ما المحتوى الرمزي لرسالة الجماعة - التي أنشأت هذه القصة - إلينا؟

لقد جعلت الذات المثالية لـ «السندباد الحمّال» مرجع أحلامها وتخيلاتها ماهو موجود في القصر، وهذا قد يجعل الحكاية تعبر رمزيًا، وتشير إلى اغتراب السلطة التي كانت تحكم الجماعة أو الجيل الذي أنشأ هذه الحكاية.

المراجع والهوامش

١- ألف ليلة وليلة، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٥٢هـ، الجزء الثاني، ص ٣.

٢- المصدر نفسه، ص ٤.

٣- إن الفرد داخل المجتمع يتمنى أن تشبع دوافعه، وتتحقق مطالبه ورغباته إلا أن هذه الرغبات تصطدم بالواقع الاجتماعي مما يصعب تلبيتها، وهذا بدوره يؤدي إلى نشوء صراع داخل الفرد بين ماهو عليه في الواقع، وما تطلبه دوافعه ورغباته من تحقيق وإشباع. وترى «هورني» أن الفرد هنا يقوم بإنكار وجود هذا الصراع من خلال تكوين صورة مثالية عن ذاته. إذ كي يحتفظ الفرد بالشعور بوحدانيته الذي يكفل له الاستقرار والأمن النفسي، يعمد إلى خلق صورة يعتقد أنها تمثله كما هو في الواقع، أو يشعر أنه يستطيع أن يكونها، أو يجب أن يكونها على الرغم من كونها صورة خادعة. وهذه الصورة غالبًا ما تكون غير حقيقية.

والاغتراب عن الذات ينشأ حينما يطوّر المرء صورة مثالية عن ذاته تصل درجة اختلافها عما هو عليه، حد إيجاد هوة عميقة بين صورته المثالية وذاته الحقيقية، وحينما يتشبث المرء بالاعتقاد بأنه هو ذاته المثالية؛ لأنه في هذه الظروف لا يعود المرء يدرك ذاته الحقيقية.

لمزيد من التفصيل يمكن مراجعة:

- عقدة أوديب في الأسطورة وعلم النفس، باتريك ملاهي، ترجمة جميل سعيد، مراجعة د. أحمد زروي، مكتبة المعارف في بيروت، مؤسسة فركلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، ١٩٦٢م، ص ٢٤١و ٢٧٠.

- Laperesonnalite' N'evrotique de Notre Temps- Karen Horney- Traduit Par: Jean Paris- I'arche editeur- Paris 1953- p118.

٤- الشخصية في ضوء التحليل النفسي، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى عام١٩٨٢م، ص ١٦٥.

٥- ألف ليلة وليلة، الجزء الثاني، ص ٣.

٦- ٧-المصدر نفسه، ص ١٣ و١٨.

٨- التحليل النفسي للحكايات الشعبية، برونو بتلهايم، ترجمة: طلال حرب - دار المروج للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥م. ص ١١٨.

٩- ألف ليلة وليلة، الجزء الثاني، ص ٣.

١٠-المصدر نفسه، ص ٢.

١١-الشخصية في ضوء التحليل النفسي، ص ١٦٥.

١٢-ألف ليلة وليلة، الجزء الثاني، ص ٣.

١٣-المصدر نفسه، ص ٣.

١٤-لشخصية في ضوء التحليل النفسي، ص ١٦٥.

١٥-التحليل النفسي للحكايات الشعبية، ص ١١٨.

١٦-معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم د. سعيد علوش، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، ١٩٨٤م، المغرب ص ٣٠.

١٧-ألف ليلة وليلة، الجزء الثاني، ص ٣.

التداخل اللغوي والتد



ـــول اللغوي

علي القاسمي

تمارة – المغرب

هل تؤثّر العاميّة أو اللغة الأجنبيّة في العربيّة الفصيحة؟

يعرّف اللسانيون الغربيون التداخل اللغوي، عادة، بأنه تأثير اللغة الأم في اللغة التي يتعلمها المرء (Skiba, 2001:1)، أو إبدال عنصر من عناصر اللغة الأم بعنصر من عناصر اللغة الثانية: (MacKay, 1969:109). ويعني العنصر هنا صوتاً أو كلمة أو تركيباً. ولكننا ننظر إلى التداخل اللغوي بوصفه انتقال عناصر من لغة (أو لهجة) إلى أخرى، في مستوى أو أكثر من مستويات اللغة: الصوتية والصرفية والنحوية والمفرداتية والدلالية والكتابية، سواء أكان الانتقال من اللغة الأم إلى اللغة الثانية أم بالعكس، وسواء كان هذا الانتقال شعورياً أم لا شعورياً. فإذا تأثرت اللغة العربية الفصيحة التي يتكلمها الطفل العربيّ بلهجته العاميّة أو باللغة الأجنبيّة التي يتعلمها، فإننا نعدّ ذلك من باب التداخل اللغويّ كذلك.

بروز المفهوم

وظهر مفهوم «التداخل اللغوي» في النصف الأول من القرن العشرين عندما سيطر السلوكيون على ميدان الدراسات النفسيّة واللسانيّة، ودأبوا على النظر إلى الكلام بوصفه عادة لفظيّة لا يختلف عن العادات السلوكيّة الأخرى من حيث اكتسابها بالمران والتكرار والتعزيز حتى يتكلم المرء بسهولة ويسر دون أن يبذل جهداً فكرياً يُذكر، تماماً كما يتعلَّم الطفل المشي (Skinner 1947). ونتيجة لتأصل عادة التكلّم باللغة الأمّ، فإن الطالب ينقل بعض عناصرها بصورة لا شعورية إلى اللغة الجديدة التي يتعلمها.

ونتيجة لذلك فقد ظلَّ المختصون في تعليم اللغات الأجنبية، حتى أواخر الستينيات من القرن العشرين، يرون أن معظم الأخطاء التي يقترفها المتعلمون هي نتيجة لتأثيرات اللغة الأمّ في اللغة الثانية.

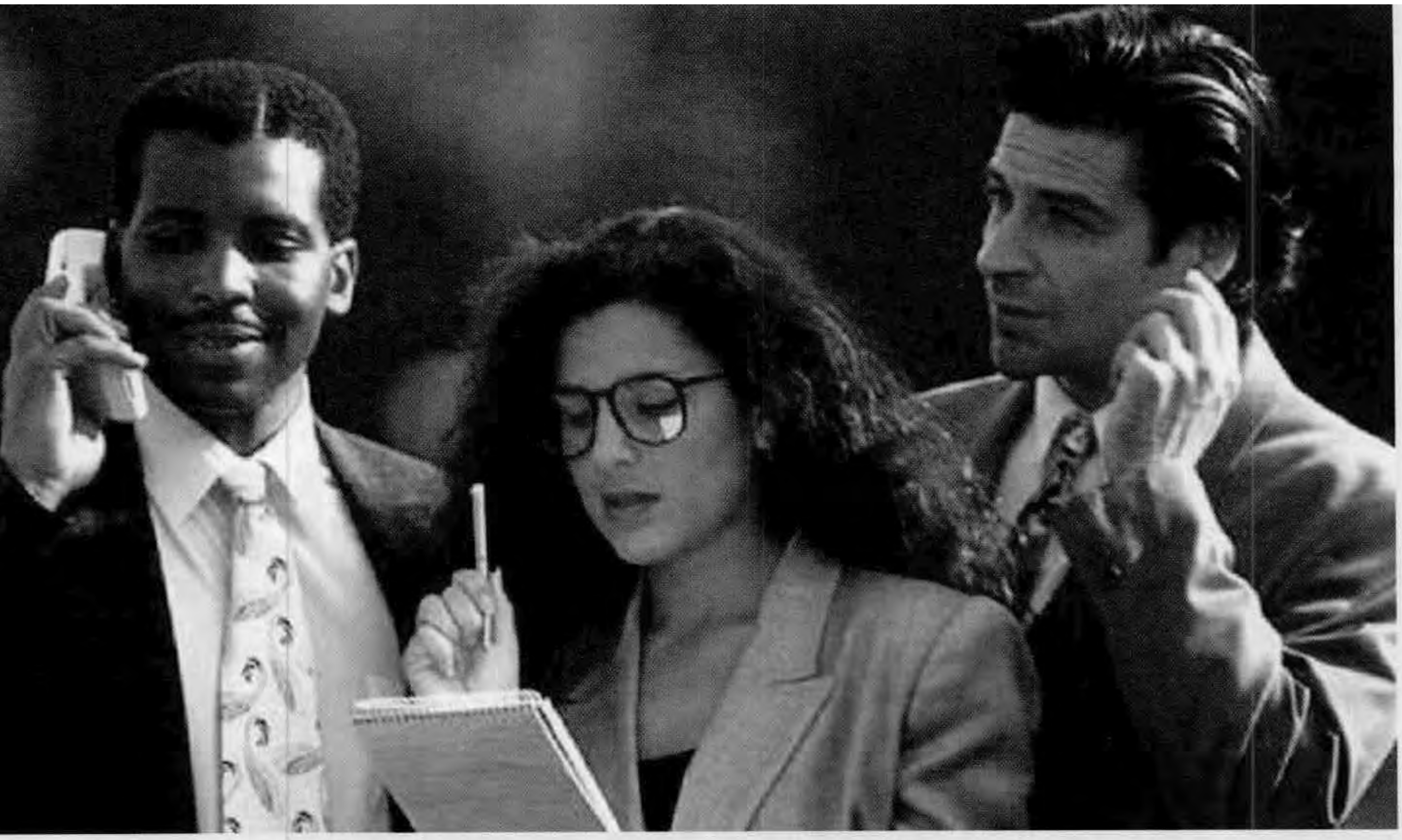
مستويات التداخل اللغوي

وتظهر تأثيرات اللغة الأم في اللغة الثانية التي يتعلمها المرء في مستويات لسانية متعددة، وهي:

ـ المستوى الصوتيّ:

يؤدي التداخل في المستوى الصوتي إلى ظهور لهجة أجنبية في كلام المتعلم تبدو واضحة في اختلاف في النبر، والقافية، والتنغيم، وأصوات الكلام.

حتى إذا كانت الوحدة الصوتية (الفونيم) موجودة في اللغة الأم واللغة الثانية فإن نطقهما يختلف صوتياً، وهذا يؤدي إلى ظهور تلك اللهجة الأجنبية في كلام المتعلم. ويضرب لنا فرانسز ماكي(MacKay,1969:23) مثلاً على ذلك، فيقول: إن الوحدة الصوتية /b/ يتطلب نطقها حصر الهواء وذبذبة الحبال الصوتية لإنتاج الصوت. وعلى الرغم من أن هذه الوحدة الصوتية موجودة في اللغات الألمانية والإنجليزية والفرنسية والروسية، فإن كمية الصوت المُنتج تختلف من لغة إلى



معرفة أسباب التداخل اللغوي والتحول اللغوي تساعد على تحسين طرائق تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها

أخرى. ويمثّل للاختلافات النسبية في التصويت بالنقاط (....) في الشكل الآتي:

الألمانية ـ....... ـ

الإنجليزية ـ.......... ـ

الفرنسية ـ.............. ـ

الروسية ....

وفي أثناء الكلام باللغة الثانية يتأثر المتعلّم بعادته في نطق الصوت /b/ بلغته الأم فيحصل فرق صوتي (فونيتيكي). ويضيف ماكي قائلاً: إن مفردات اللغة الألمانية مثلاً لا تنتهي بالأصوات الانفجارية المجهورة مثل: /b/ و /d/ و /g/، وإنما بالأصوات الانفجاريّة المهموسة مثل: /P/ و /t/ و /k/. ولهذا فإذا كان الطالب الألماني يتعلم اللغة الفرنسية، فإن نطق كلمة herbe الفرنسية التي تنتهي بـ /b/ مجهورة سيسبب له صعوبة.

ـ المستوى النحوي:

يؤدي تأثير نحو اللغة الأم في نحو اللغة الثانية إلى قوع المتعلم في أخطاء تتعلق بنظم الكلام (أي ترتيب أجزاء الجملة)، وفي استخدام الضمائر، وفي استعمال عناصر التخصيص (مثل أل التعريف) وأزمنة الأفعال، وحُكم الكلام (مثل الإثبات، والنفي، والاستفهام، والتعجب، إلخ.).فالطالب السنغالي من الناطقين بلغة الولوف أو الماندنجا، مثلاً، قد يجد صعوبة في استخدام الضمائر وأسماء الإشارة لدى تعلمه اللغة العربية، لغياب التذكير والتأنيث في هاتين اللغتين. وقد تسمع أحد السنغاليين يقول: «هذا البنت الطويل هو أختي وهو يدرس معي». ومعلوم أن الخلط بين المذكر والمؤنث في العربية قد يؤدي إلى اللبس في المعنى وإعاقة الاتصال والتفاهم (القاسمي، ١٩٧٩: ١٨٢-١٨٣).

ـ المستوى المفرداتي:

يؤدي التداخل اللغوي في هذا المستوى إلى اقتراض كلمات من اللغة الأم ودمجها في اللغة الثانية عند الكلام بها. وإذا كانت الكلمة مستخدمة في اللغتين ولكن بمعنيين مختلفين، فقد يستخدمها المتعلم بمعناها في لغته الأم وهو يتحدث باللغة الثانية.

ـ المستوى الدلالي:

عندما تضم اللغتان الأولى والثانية كلمة واحدة، ولكنها تستعمل بمعنيين مختلفين فإن متعلم اللغة الثانية قد يميل إلى فهم تلك الكلمة بمعناها في لغته الأولى. والأمثلة كثيرة في هذا الباب. فكلمة location بالفرنسية تعني «تأجير» وفي الإنجليزية تعني «موقع» والبون الدلالي شاسع بينهما. ويسمي الفرنسيون هذا النوع من الكلمات المتشابهة شكلاً المتباينة معنى بالأخوات المزيفات.

ـ المستوى الكتابي:

يقع المتعلم في أخطاء في الكتابة بسبب التداخل في حالتين: الأولى عندما يلفظ الحرف بصورة مختلفة في لغته أو لهجته الأم، فيميل إلى كتابته طبقًا للفظه، كما يكتب التلميذ المغربي، مثلا، «ثلاثة» بالتاء «تلاتة». والثانية عندما تشترك اللغتان الأولى والثانية في استخدام نظام كتابي واحد، كما هو الحال في الأوردية والعربية، إذ يميل الطالب الباكستاني الذي يتعلم العربية إلى كتابة الكلمات العربية كما يكتبها بالأوردية، وقد يقترف الخطأ لذلك إذا كانت كتابة تلك الكلمة مختلفة بالعربية عنها بالأوردية.

أنواع التداخل اللغوي

تتمثل أنواع التداخل اللغوي في إحدى الحالتين:

التداخل السلبي:

ويقع هذا النوع من التداخل للمتعلم وهو يحاول أن يتكلم باللغة الثانية، حينما يستبدل بصورة لا شعورية عناصر من لغته الأم المتأصلة في نفسه بعناصر من اللغة الثانية. ويتسبب هذا النوع في كثير من الصعوبات التي يواجهها الطالب. (Corder,1975: 201-218)

التداخل الإيجابي:

ويقع هذا النوع من التداخل عندما يحاول الطالب فهم ما يسمع من اللغة الثانية. وكلما ازداد التشابه بين لغة الطالب الأم واللغة الثانية التي يتعلمها أصبح فهم اللغة الثانية أيسر. وهذا ما نلاحظه، مثلاً، لدى الناطقين باللغات اللاتينية، حيث يستطيع الطلاب الإسبان فهم ما يسمعونه من اللغة الإيطالية أو الفرنسية التي يتعلمونها. ولكن عندما يريد الطالب أن يستخدم كلمة فرنسية، مثلاً، مشابهة لكلمة في لغته الأم فإنه قد يقع في الخطأ. فهنالك فرق كبير بين تعلّم كلمة و كيفية استعمالها في الكلام. وعندما يتعلم الفرد لغة ثانية فإنه يميل إلى إخضاعها إلى أنماط لغته الأم. (MacKey,1965:109).

تشخيص التداخل اللغوي

حاول بعض اللسانيين وضع قوانين لتوقع الصعوبات التي يواجهها الطالب في تعلم لغة من اللغات، وتوقّع الأخطاء التي سيرتكبها في مسيرته، تماماً كما يضع الفيزيائيون، مثلاً، قوانين لغليان الماء عند درجة معينة من التسخين، غير مدركين أن البشر أكثر تعقيداً من العناصر الطبيعية، ولا يمكن توقع سلوكهم بالسهولة نفسها. فلا يمكن التنبؤ بكيفية استعمال الفرد للغة التي يتحدث بها بالطريقة نفسها التي يتنبأ بها الفلكي بكسوف الشمس أو خسوف القمر (MacKey:111). ومع ذلك فإن هؤلاء اللغويين ابتكروا طريقتين لتوقّع الأخطاء التي يرتكبها متعلم اللغة الثانية:

ـ التحليل التقابلي:

وتبنى هذه الطريقة على إجراء مقارنة بين نظامي اللغتين: لغة الطالب الأم واللغة الثانية التي يتعلّمها في

يؤدي التداخل في المستوى الصوتي إلى ظهور لهجة أجنبية في كلام المتعلم تبدو واضحة في اختلاف في النبر، والقافية، والتنغيم، وأصوات الكلام

المستويات الصوتية والصرفية والنحوية. وتسمى هذه الطريقة بالتحليل التقابلي (Corder, 1975) وتدلنا نتائجها على ظاهرتين قد تتسببان في صعوبات تعلمية، وهما:

أ. خلو اللغة الأولى من عناصر توجد في اللغة الثانية: فإذا علمنا، مثلاً، أن اللغة العربية تخلو من صوت أغن، فإنه يحق لنا أن نتوقع صعوبات تواجه الطالب العربي في تعلم نطق أصوات الغنة باللغة الفرنسية. وفي المقابل إذا كانت اللغة التركية أو لغة البشتو تخلو من المثنى، فإنهم قد يواجهون صعوبة في استيعاب ظاهرة العدد باللغة العربية (أقسام: المفرد، المثنى، الجمع)، لأن لغته لا تعرف سوى قسمين: المفرد والجمع. وهكذا فقد يميل إلى عدّ المثنى جمعًا، وقد يستعمل علامة التثنية لتدل على الجمع. وهذا ما تفعله اللغة التركية ولغة البشتو. ففي العهد العثماني كان مجلس النواب يسمى باللغة التركية «مجلس المبعوثان» أي المبعوثين؛ وكانت السلطة الحاكمة في أفغانستان تُسمى بالبشتوية «طالبان»، أي الطلاب.

ب. التشابه بين العناصر المتقابلة في اللغتين، سواء أكان هذا التشابه على المستوى الصوتي، أو الصرفي، أو النحوي، أو الكتابي، أو الدلالي. فإذا كانت اللغة الفارسية، مثلا، تستخدم الخط العربي في كتابتها، فينبغي حصر الحروف المتماثلة في اللغتين ذات القيمة الصوتية الواحدة من جهة، ومن جهة ثانية تحديد الحروف العربية التي تستخدم بالفارسية ولها قيمة صوتية فيها مختلفة عن قيمتها بالعربية، وذلك لتوقع الصعوبات التي تواجه الطلاب الناطقين بالفارسية لدى تعلمهم العربية.

ج. الاختلاف بين العناصر المتقابلة في اللغتين: فإذا كانت الجملة، مثلاً، تتألف في كلتا اللغتين من فاعل وفعل ومفعول، ولكن نَظْمهما النحوي يختلف في اللغتين، كما لو كانت لغة الطالب الأم ترتّب أجزاء الجملة على الشكل الآتي: مفعول فاعل فعل؛ واللغة العربية التي يتعلمها ترتب تلك الأجزاء عادة على الشكل: فعل فاعل

يعمل واضعو المناهج، ومؤلفو الكتب المدرسية، ومدرسو اللغة الثانية على تخصيص وقت أطول وتمارين أكثر للعناصر اللغوية التي تشكّل الصعوبات المتوقعة

مفعول، فإن الطالب قد يخطئ في ترتيب هذه الأجزاء عندما يتكلم باللغة العربية، فيقدّم المفعول به على الفعل، فيقول مثلاً: الكتاب أنا أخذتُ.

. تحليل الأخطاء:

وتقوم الطريقة الثانية التي يستخدمها اللغويون في توقّع الأخطاء لدى المتعلمين على إجراء مسح للأخطاء الشائعة بين متعلمي اللغة الثانية في الكلام أو الكتابة. فيتولى الباحث، مثلاً، جرد الأخطاء في إنشاءات الطلاب في مستوى دراسي معين، ثم وصفها لسانياً، ثم تصنيفها،





ثم تحليلها، من أجل الوقوف إحصائيّاً على الأخطاء ذات التردد العالي التي يشترك فيها كثير من الطلاب، بحيث تكون نتائج التحليل مؤشرًا للصعوبات التي سيواجهها الطالب الجديد في تعلم اللغة الثانية. وتُستخدم هذه الطريقة بوصفها وسيلة تكميلية للطريقة الأولى بهدف تحديد الصعوبات المتوقعة. وهكذا يعمل واضعو المناهج، ومؤلفو الكتب المدرسية، ومدرسو اللغة الثانية على تخصيص وقت أطول وتمارين أكثر للعناصر اللغوية التي تشكّل الصعوبات المتوقعة.

ويعتمد تصنيف الأخطاء على المدرسة اللسانية التي ينتمي إليها الباحث أو على طبيعة الأخطاء التي يقترفها المتعلمون. ففي بحث يجرى حاليًا في هولندا على أخطاء الطلاب الذين يتعلمون الفرنسية، وجدنا أن الباحثين يصنفون هذه الأخطاء إلى خمسة أقسام: أخطاء صرفية، وأخطاء مفرداتية، وأخطاء نحوية (تتعلق بنظم الجملة)، وأخطاء صوتية، وأخطاء براغماتية (تتعلق بكيفية استعمال الناطقين للغة في حالات الخطاب الفعلي). وقد يُقسّم كل قسم إلى عدة فروع. فقسم الأخطاء الصرفية، مثلاً، يقسّم إلى أخطاء صرفية صوتية، وأخطاء صرفية مفرداتية (identification des erreurs:1-12). وفي بحث آخر يجرى في مدينة الحسيمة في المغرب على أخطاء الطلاب الذين يتعلمون الفرنسية، وجدنا أن الباحثين يصنفون الأخطاء إلى سبعة أقسام هي: الأخطاء الصرفية-النحوية، أخطاء التذكير والتأنيث، أخطاء موقع الصفة من الموصوف، أخطاء ناتجة من الاختلاف بين الكلام والكتابة، أخطاء في قواعد الكتابة، أخطاء في التصريف، أخطاء في استعمال أدوات العطف، وما إلى ذلك. (Centre de documentation pédagogique 4-5).

مصادر الأخطاء وأسبابها

حتى أواخر الستينيات من القرن الماضي، كان الرأي السائد أن أخطاء الطلاب في تعلم اللغة الثانية ناتجة بصورة رئيسة من تأثير اللغة الأم في اللغة الثانية، ولكن البحوث التي أجراها اللغويون بعد ذلك أظهرت أن جميع الأخطاء التي يقترفها المتعلم ليست عائدة إلى ذلك السبب، وإنما هنالك عدة أسباب، أهمها:

- تأثير اللغة الأم في اللغة الثانية، مثال ذلك الطالب الفرنسي الذي يتعلم اللغة العربية، فيقول «عندي جوع» بدلاً من «أنا جوعان»؛ لأن التعبير الفرنسي:j ai faim.

- محاولة المتعلّم التحدّث باللغة الثانية على الرغم من قلة تمكنه منها، فيحاول تكوين عبارات جديدة على سبيل تعميم ما تعلمه في السابق أو القياس عليه، أو الحذف، أو التعويض، أو إعادة التركيب، تمامًا كما يخطئ الطفل العربي الذي يتعلم لغته الأم فيؤنث «أسود» على «أسودة» قياساً على «صغير. صغيرة، كبير - كبيرة، إلخ».

- ولأن اللغة نظام تواصلي لا ينحصر في نظامها الصوتي فحسب وإنما يشتمل على عناصر تواصلية من

خارج اللغة، فإن الطالب قد يقترف خطأً تواصليّاً، بسبب التعلم الناقص، فيستعمل العبارة الصحيحة، مثلاً، في غير سياقها أو مقامها، أو يستعمل تنغيمًا مغايرًا للمعنى، وهكذا.

ـ أسباب شخصية تتعلق بالمتعلِّم، مثل الإعياء أو الارتباك أو ما إلى ذلك. (Mackey,1965:, planes y pro gramas: 1, Centre de documentation: 4, Duran:7)

ويتطرق الدكتور عباس الصوري في كتابه الرصيد المعجمي الحي إلى الأخطاء التي يقترفها الطفل المغربي في المدرسة الابتدائية في مجال استخدام الألفاظ، فيردها إلى خمسة أسباب رئيسة هي:

ـ القياس الفاسد، حين يقوم الطفل مثلاً بتأنيث «فعلان» على «فعلانة»، كما في اللهجة العامية، فيقول «جوعانة»، في حين أن مؤنث «فعلان» بالعربية الفصحى هي «فَعلى» إلا في ألفاظ محفوظة.

ـ العدوى المعجمية، عندما يستعمل الطفل لفظًا مكان آخر لتشابه بينهما، ومن الأمثلة على ذلك ما كتبه أحد الأطفال: (الروائح الزاهية) ويقصد: الزكية.

ـ الاختراع، حينما يخترع المتعلم لفظًا للتعبير عن معنى، ومن أمثلة ذلك الطفل الذي أراد أن يكتب عن الطربوش فقال «قبعة حمراء».

ـ التعميم، عندما يعمم الطفل قاعدة صرفية أو نحوية، فيستعمل الطفل مثلاً «الشتا» للتعبير عن المطر.

ـ التصويب، عندما يحاول الطفل اجتناب خطأ فيقع فيما هو أشد منه، مثل: لا يبالي الفلاح بالمضرات، ويقصد المشقات، فجمع مضرة جمعًا سالمًا. (الصوري، ٢٠٠٢: ١٧٨-١٨٢)

التحول اللغوي

يعني «التحول اللغوي» تحوّل الفرد في أثناء الكلام من لغة إلى أخرى أو من اللغة الفصيحة إلى اللغة العامية أو بالعكس، أو المراوحة بينهما في حديثه. ويحصل هذا التحول لدى الشخص ثنائي اللغة بصورة شعورية لغاية من الغايات، أو بصورة لا شعورية كما لو يستعمل مخاطبه اللغة الثانية، مثلاً، فيتحول إليها المتكلم دون أن يقصد ذلك. ويستعمل التحول اللغوي الأشخاص ثنائيو اللغة أو المجموعات البشرية ثنائية اللغة. ويقصد بالشخص ثنائي اللغة ذلك الفرد الذي يستطيع أن يتفاهم ـ إلى حد ما ـ بلغة ثانية إضافة إلى لغته الأم. (Skiba,1997: 1). وأول من أشار إلى ظاهرة التحول اللغوي من اللسانيين الغربيين هو فاينرايش عام ١٩٨٣م في كتابه «اللغات في تماس» (Weinreich, 1953)، ثم توالت الكتابات في الموضوع.

النظرة إلى التحول اللغوي

ينظر معظم الناطقين أحاديي اللغة وبعض ثنائيي اللغة إلى التحول اللغوي نظرة سلبية. فغالبًا ما يعدونه أسلوبًا غير صحيح في الكلام ودليلاً على فقر لغوي، وضعف في التعبير، أو نتيجة عدم التمكن من أي من اللغتين. ومع ذلك فإن ظاهرة التحول اللغوي ظاهرة عامة بين ثنائيي اللغة ليس في البلاد العربية فحسب، وإنما في جميع أنحاء العالم كذلك. (Crystal 1987)



رصد أخطاء الطلاب من وسائل معرفة ظاهرة التداخل اللغوي



التحول اللغوي وسيلة لسانية أجتماعية للتعبير عن موقف معين

البشر أكثر تعقيداً من العناصر الطبيعية، فلا يمكن التنبؤ بكيفية استعمال الفرد للغة التي يتحدث بها بالطريقة نفسها التي يتنبأ بها الفلكي بكسوف الشمس أو خسوف القمر، ومع ذلك ابتكر اللغويون طريقتين لتوقع الأخطاء

(Hammink, 2000:1)، ولكن الباحثين اللسانيين ينظرون إلى التحول اللغوي نظرة موضوعية، ويقدمون عدداً من الأسباب والدوافع التي تجعل من الفرد ثنائي اللغة يطرز كلامه بكلمات أو عبارات من اللغة الثانية.

أسباب التحول اللغوي ودوافعه

في طليعة هذه الأسباب والدوافع ما يأتي:

- يمثل سلوك التحول اللغوي محاولة من قبل بعض الأطفال للتأقلم مع القدرات اللغوية التي يتمتع بها مخاطبوهم من الأطفال الآخرين، أو التكيف مع مجموعة من ثنائيي اللغة، حتى إن بعض الأطفال الذين لا يميلون إلى استخدام التحول اللغوي يضطرون إلى استخدام نوع بسيط من التحول اللغوي كإضافة كلمة هنا وكلمة هناك من اللغة الثانية في حديثهم ليكونوا مقبولين من طرف الأطفال الآخرين ثنائيي اللغة الذين يستخدمون التحول اللغوي بكثافة في أحاديثهم.

- يعكس التحول اللغوي، أحياناً، رغبة المتكلم في التكيف مع القابليات اللغوية لمخاطبه. وهذا ما يلجأ إليه بعض معلمي اللغة الأجنبية الذين يستخدمون بعض العناصر من لغة الطلاب لمساعدتهم على فهم اللغة الأجنبية، وكذلك بعض أساتذة الطب والعلوم التطبيقية الذين يلقون دروسهم بلغة أجنبية في الجامعات العربية.

- يتحول المتكلم إلى اللغة الأخرى لتأكيد نقطة معينة في حديثه أو لاستعمال تعبير جاهز معروف لدى مخاطبه.

- عدم قدرة الشخص على التعبير بصورة كاملة في لغة واحدة، فيتحول إلى اللغة الأخرى ليداري هذا العجز. ويغلب أن يحدث هذا النوع من التحول اللغوي عندما يكون الشخص منزعجًا أو مرهقًا أو مشوش الذهن.

- يمكن أن يلجأ المتكلم إلى التحول اللغوي عندما يريد ألا يفهمه سوى مخاطبه. ومثال ذلك عندما تتحدث تلميذة مع زميلة ثنائية اللغة في غرفتها وتدخل أمها أحادية اللغة لشأن من شؤونها، فتتحول الفتاة إلى اللغة الثانية التي تجهلها أمها.

- يمكن أن يُستخدم التحول اللغوي كوسيلة لسانية اجتماعية للتعبير عن موقف معين، مثل التعبير عن تعاطفه مع فئة لسانية معينة، أو التعبير عن انتماء المتكلم لشريحة اجتماعية معينة أو تضامنه معها، أو للإعلان عن الانتماء إلى ثقافة معينة أو إشعار المخاطبين بإلمامه بتلك الثقافة أو لغتها (Alvarez-Caccamo,1990: 1-2)

- قد يستعمل معلم اللغة الأجنبية التحول اللغوي مع الطلاب المبتدئين في تعلم لغة أجنبية لمساعدتهم على فهم المادة اللغوية أو في إعطاء التعليمات أو الشروح

اللازمة للتمارين. ويختار المدرس المتمرس الأوقات المناسبة للتحول إلى اللغة الأم، مثلاً عندما يشعر الطلاب بالإعياء من جراء استعمال اللغة الأجنبية، أو عندما يريد المدرس أن يثني على أحد الطلاب أو يؤنبه.

كما قد يستخدم الطلاب المتقدمون في تعلم اللغة الأجنبية عندما يدرسون نصّاً بتلك اللغة، ويقدمون عنه تقريرًا أو ملخصًا بلغتهم الأم أو بالعكس. وهذه الطريقة التعليمية تساعد الطلاب على تنمية قدراتهم اللسانية وتمكنهم من اختيار اللغة المناسبة للموقف والمقام



ظاهرة التحول اللغوي تتجذر منذ الطفولة

المناسبين، وتمنحهم القدرة على المبادرة والإبداع، وتجنبهم أن يكونوا مجرد مقلدين للناطقين باللغة الأجنبية ١٩٩١م (Cook).

ولكن يرى بعض اللغويين أن الصغار والكبار من ثنائيي اللغة يمارسون التحول اللغوي منذ نعومة أظفارهم. ويبدو أنه متجذر في نموهم النفسي، ويعكس ظروف نشأتهم اللغوية أكثر من كونه وسيلة اجتماعية يستخدمونها لإظهار تعاطفهم مع فئة معينة من الناس أو ما إلى ذلك. (Hammink,2000). ويلاحظ سيلسو الفيرز كاكامو، في بحثه الذي أجراه في مدينة كاليزا في إسبانيا على عينة من ثنائيي اللغة الذين يمارسون التحول اللغوي في محادثاتهم، أن الدوافع اللسانية والاجتماعية المتوخاة من التحول اللغوي تبدو أحيانًا واضحة، وأحيانًا يبدو التحول اللغوي لا معنى له ولا دافع له وليس مقصودًا. ويخلص كاكامو إلى أن ما يعدّه اللغوي إشارات ذات دلالة قد لا يُعدّ إشارات تواصلية بالنسبة إلى المتكلم، إذ توجد أحيانًا إكراهات مقامية أواستطرادية، وليست لسانية ولا تركيبية، تتحكم في حدوث التحول اللغوي (Caccamo,1990: 9)

أنواع التحول اللغوي

يمكن أن يحدث التحول اللغوي على عدة أوجه، أهمها:

ـ الاقتراض: ونعني به استعمال كلمة من اللغة الأخرى وتكييفها للغة التي يتحدث بها الفرد. وغالبًا ما تكون هذه الكلمة مفقودة في اللغة الأولى أو يجهل المتكلم وجودها. وأضرب مثلاً لذلك بجملة سمعتها من أحد الزملاء الذي قال: «يبقى الموظف سنة واحدة بصورة مؤقتة قبل الـ intigration (أي الإدماج)».

ـ التحوّل اللغويّ بين الجمل: ويرمي هذا النوع من التحول إلى تأكيد مسألة أو نقطة معينة. فيعيد المتكلم معنى جملته باللغة الأخرى مزيدًا في إفهام المخاطب أو أحد المشاركين. أو عندما يروي المتحدث كلام غيره حرفيّاً باللغة الأخرى.

مثلا: قال لي المدير: Ne vous inquietez pas

ـ التحوّل اللغويّ داخل الجملة: ويجري هذا النوع من التحوّل اللغوي داخل الجملة الواحدة، أي على مستوى التعابير أو التراكيب المكوّنة لها، بل وحتى على مستوى المفردات إذا لم تخضع لتكييفات صوتية أو صرفية.



مستويات كثيرة للتحول اللغوي

مثلاً: Mon argent في جيب بابا.

وهذا النوع من التحول اللغوي هو الذي يحظى باهتمام الباحثين اللسانيين، لأنه أكثر الأنواع تعقيدًا، ويتطلب من المتكلم مهارة امتلاك اللغتين واستعمال نظاميهما في آن واحد. ولا يستخدمه عادة إلا ثنائيو اللغة المتوازنون، أو المتمكنون من اللغتين. أما الأطفال أو ثنائيو اللغة الذين يميلون إلى استعمال إحدى اللغتين أكثر من الأخرى، فإنهم يستخدمون الأنواع الأخرى من التحول اللغوي كالاقتراض الذي ينصب على المفردات أو التحول بين الجمل، لأنها لا تتطلب مهارات لغوية عالية ولا تحكمًا عاليًا في نظامي اللغتين (Poplack,1980).

ويضيف هامنك (Hammink 2002:2)، نوعًا رابعًا من التحوّل اللغويّ يضعه بعد النوع الأول (أي الاقتراض) من حيث الصعوبة، ويسمّيه «المحاكاة» ويقصد بذلك أي ترجمة حرفية لعبارة كاملة من اللغة الأخرى إلى لغة الحديث. ويضرب مثلاً لذلك العبارة التالية من اللغة الإسبانية السائدة بين الأمريكيين من أصول مكسيكية في ولاية تكساس حيث أجرى الأستاذ هامنك بحثه، والعبارة هي: .Le voy a llamr para tràs ويقول إنها ترجمة حرفية للعبارة الإنجليزية:.I'm going to call him back وإذا كانت هذه العبارة غير صحيحة بالإسبانية فإننا لا نعدّ هذا الاستعمال من أنواع التحوّل اللغويّ، وإنما من أنواع التداخل اللغويّ الذي يؤدي إلى الخطأ بسبب تأثير لغة في أخرى، كما ألمحنا إلى ذلك في تعريف التداخل اللغوي في مطلع هذه الدراسة.

مستويات التحول اللغوي

يرى ميلروي (Milroy, 1987:185) أن هنالك مستويات أو درجات متفاوتة من التحوّل اللغويّ تتوقف على مكانة المخاطب ونوعية المكان. فالتحوّل اللغويّ يختلف من حيث النوع والكثافة والاتجاه تبعاً لعلاقة المتكلم بالمُخاطَب: فرد من أفراد العائلة، أو صديق، أو زميل عمل، أو رئيس. وكذلك تبعاً للمكان: المنزل، أو الدائرة، أو مكان العبادة. فلكلّ لغة قيمة اجتماعية مختلفة، والمتكلّم يختار اللغة التي تناسب المخاطب والمكان ويتحول إليها.

ومن ناحية أخرى، فإن مقدار المادة الكلامية التي يحصل فيها التحوّل اللغويّ يختلف كذلك طبقاً لسنّ المتكلّم. فالأطفال ثنائيو اللغة الذين هم تحت سنّ التاسعة يفضّلون التحوّل اللغويّ المفرداتيّ (عادة الأسماء والصفات)، وكلّما كبروا أخذوا في ممارسة التحوّل اللغويّ الذي يشتمل على تعبيرات وعبارات.

قيود على التحوّل اللغويّ

توصلت بوبلاك (Poplack,1980) إلى رصد قيدين على التحول اللغوي لكي يكون الكلام مفهوماً لثنائيي اللغة ويؤدي التحول اللغوي وظيفته. ويساعد هذان القيدان على التنبؤ بالنقاط أو المواقع التي يتمّ عندها التحول اللغوي، وهما:

- **القيد الصرفيّ:** لا يجري التحول اللغوي داخل الكلمة الواحدة، فلا يمكن، مثلا، أن يكون الاسم من لغة وعلامة جمعه الملحقة به من لغة أخرى. فلا يقول ثنائي اللغة، مثلا، آنجنيرون، جمعًا لكلمة ingénieur.
- **القيد النحويّ (أو قيد التعادل):** وطبقاً لهذا القيد



ينبغي أن يقع التحوّل اللغويّ في نقطة بحيث لا يؤدي إلى خرق قواعد أيٍّ من اللغتين

ينبـغي أن يقـع التحـوّل اللغـويّ في نقـطة بحـيث لا يؤدي إلى خـرق قـواعـد أيٍّ من اللغـتين. أي أن التحـول اللغوي يقع في نقطة يُحتـرم قبلهـا وبعـدهـا نظام ترتيب أجزاء الجملة في اللغتين. فمثلاً:

- أخبرتُهُ elle est paretie.

ففي هذه الجملة تمّت مراعاة قواعد اللغتين العربية والفرنسيـة. والمثل الذي يعطيـه كوك (Cook,1991)، هو عدم احتمال ورود هاتين العبارتين:

- a car americaine–

- une American voiture

لأنهمـا يخرقـان قواعد اللغتين الفرنسية والإنجليزية من حيـث ترتيب الصـفـة والموصـوف في الجـملـة. ولكن العبارة الآتية ممكنة:

J'ai acheté an American car.

لأن نظام الجملة في اللغتين الإنجليزية والفرنسيـة يقتضي أن يأتي المفعول به بعد الفعل.

الفرق بين التداخل اللغويّ والتحوّل اللغويّ

يرى سكيبـا Skiba أن التحـول اللغوي يُبقي اللغتين منفصلتين لا تداخل بينهمـا. فالطفل يبدأ جملته بعبارة من اللغة الأولى وينهيـهـا بعبـارة من اللغـة الثـانيـة، ولا تداخل بين العبارتين.

ولكننا نـرى أن التـحـول اللغـوي هـو وجـه من وجـوه التداخل اللغوي. فالمتكلم ينتقل من لغة إلى أخرى بتأثير هذه اللغـة الأخرى، كمـا قـد تنتقل عناصـر، صـوتيـة أو نحوية، من اللغة الأم إلى اللغة الثانيـة أو بالعكس في أثناء كلامـه، حتى لو كانت العبـارتان منفصلتين تمامـاً. ولهذا

فإن التحول اللغوي قد لا ينجو من التداخل اللغوي.

خلاصة واستنتاجات

إن التداخل اللغوي هو تأثير لغة (أو لهجة) في لغة أخرى حين يتكلمها الفرد. أما التحول اللغوي فهو انتقال الفرد في حديثه من لغة (أو لهجة) إلى أخرى. ويتمّ كلاهما بصورة شعورية أو لا شعورية. والتداخل اللغويّ مصطلح عامّ يضم أنماطاً كثيرة من التأثّرات والتأثيرات التي تجري بين اللغات عندما تكون في تماس. ولهذا يمكن أن ننظر إلى التحول اللغوي بوصفه وجهًا من وجوه التداخل اللغوي. ولا شك أن دراسة ظاهرتيْ التداخل اللغوي والتحول اللغوي الشائعتين في البلاد العربية ومعرفة أسبابهما وأنوعهما وتحديد حالات وقوعهما، ستساعدنا كثيراً على تحسين طرائق تدريس اللغة العربية الفصيحة لأبنائنا ولغير الناطقين بها، كما تساعدنا على تطوير طرائق تدريس اللغات الأجنبية لأبنائنا.

المراجع

-Celso Alvarez-Caccamo (1990) Rethinking conversational code- switching: code, speech varieties, and contextualization, in Proceedings of the Sixteenth Annual Meeting of the Berkeley Linguistics Society. Berkeley: Berkeley Linguistic Socity. Pp. 3-16.

- Centre de documentation pedagogique, La pédqgogie de l erreur. http://62.251.153.43/rep/partinqriat/part3.htm.

-Corder, S.P. (1975) Error Aanlysis,Interlanguage, and second language acquisition. Language Teaching and Linguistic Abstract,8, 201-218.

-Cook, V. (1989) "Reciprocal Language Teaching: Another Alternative", Modern English Teacher, 16, 3/4, 48-53, as in Skiba.

-Cook, V. (1991). Second Language Learning and Language Teaching. Edward Arnold/Hodder Headline Group: Melbourne, as in Skiba.

-Crystal,D.(1987). The Cambridg Encyclopedia of Language. Cambridge University Press: Cambridge.

-Duran, Luisa. "Toward a better understanding of code switching and interlanguage in bilinguality: implications for bilingual instruction", in Journal of Educational Issues of Language Minority Students, 14, http://www.ncbe.gwu.edu/miscupubs/jeilms/vol14/duran.htm.

-Goti, di Danielle. " Pratique de la lecture : le cas des langues voisines " cite : http://www.club.it/culture/danielle.goti/corpo.tx.goti.htm -Hammink,Juliamme E. (2000) " A comparison of the code switching behavior and knowledge of Adults and children" in http://hanninkj.cafeprogressive.com/CS-paper.htm.

- identification des erreurs, cite: http://bach.arts.kuleuven.ac.be/lancom/Erreurs.htm -MacKey, William Francis (1965) language Teaching Analysis London: Longman. Milroy, L. (1987). Observing & Analysing Natural Languages: A Critical Account of Sociolinguistic Method. Blackwell Publishers: Oxford.

-Poplack,S. (1980) "Sometimes I'll start a sentence in Spanish y termino en espanol: Toward a typology of code switching" Linguistics, 18, pp. 581-618.

-Skiba, Richard. (1997) "Code switching as a countenance of Language Interference" in: http://www.aitech.ac.jp/-iteslj/Articles/Skiba-CodeSwitching.html.

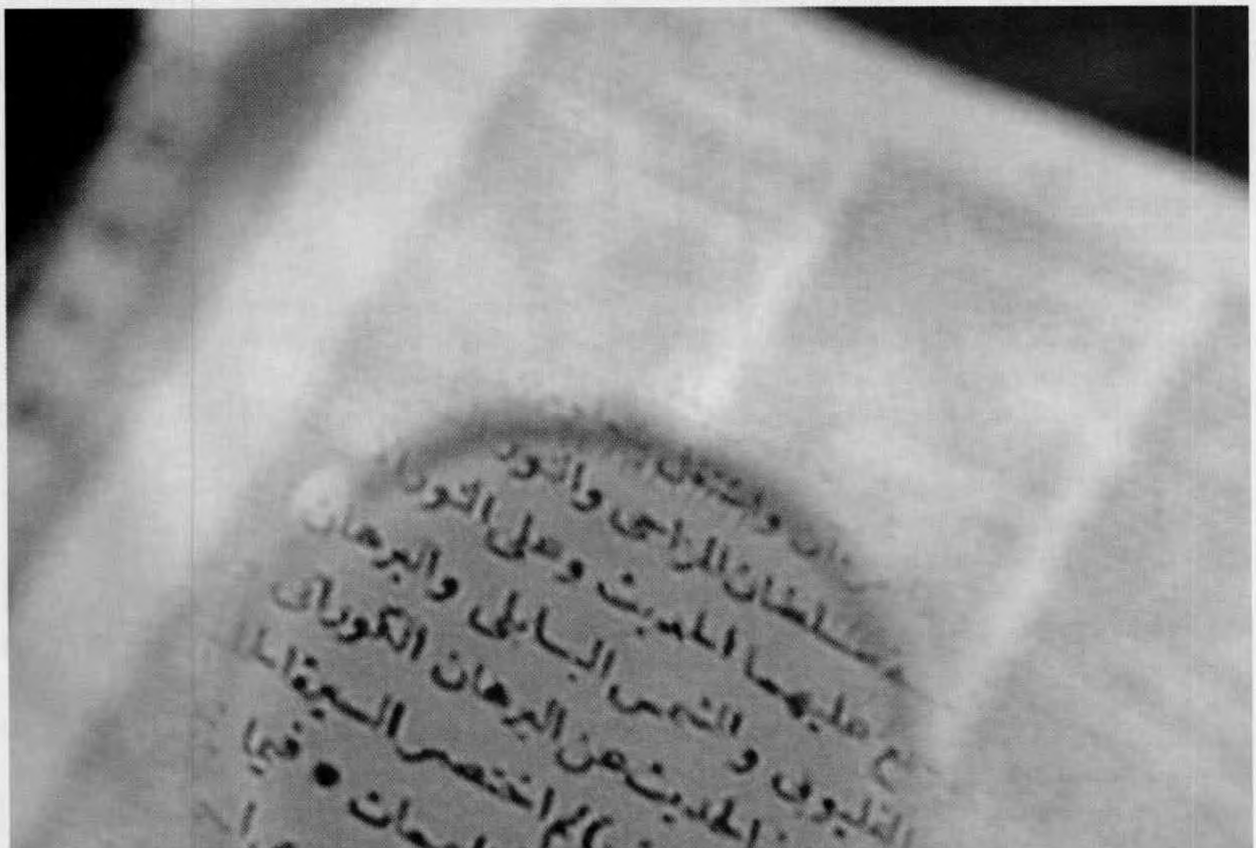
-Skinner, B.F.(1957). Verbal Behaviour. Appleton-Century-Grofts: New York.

-Weinreich, Uriel (1953) Languages in Contact .The Hague: Mouton.

ـ في بيداغوجية اللغة العربية: الرصيد المعجمي الحي، عباس، الصوري الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٢م.

ـ اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى. علي، القاسمي، الرياض، جامعة الرياض.

البعـثـات العلـمـيـة من أوروبـ



ـــــــا إلى الأندلس

عـبـدالـواحـد ذنون طه

الموصل ـ العراق

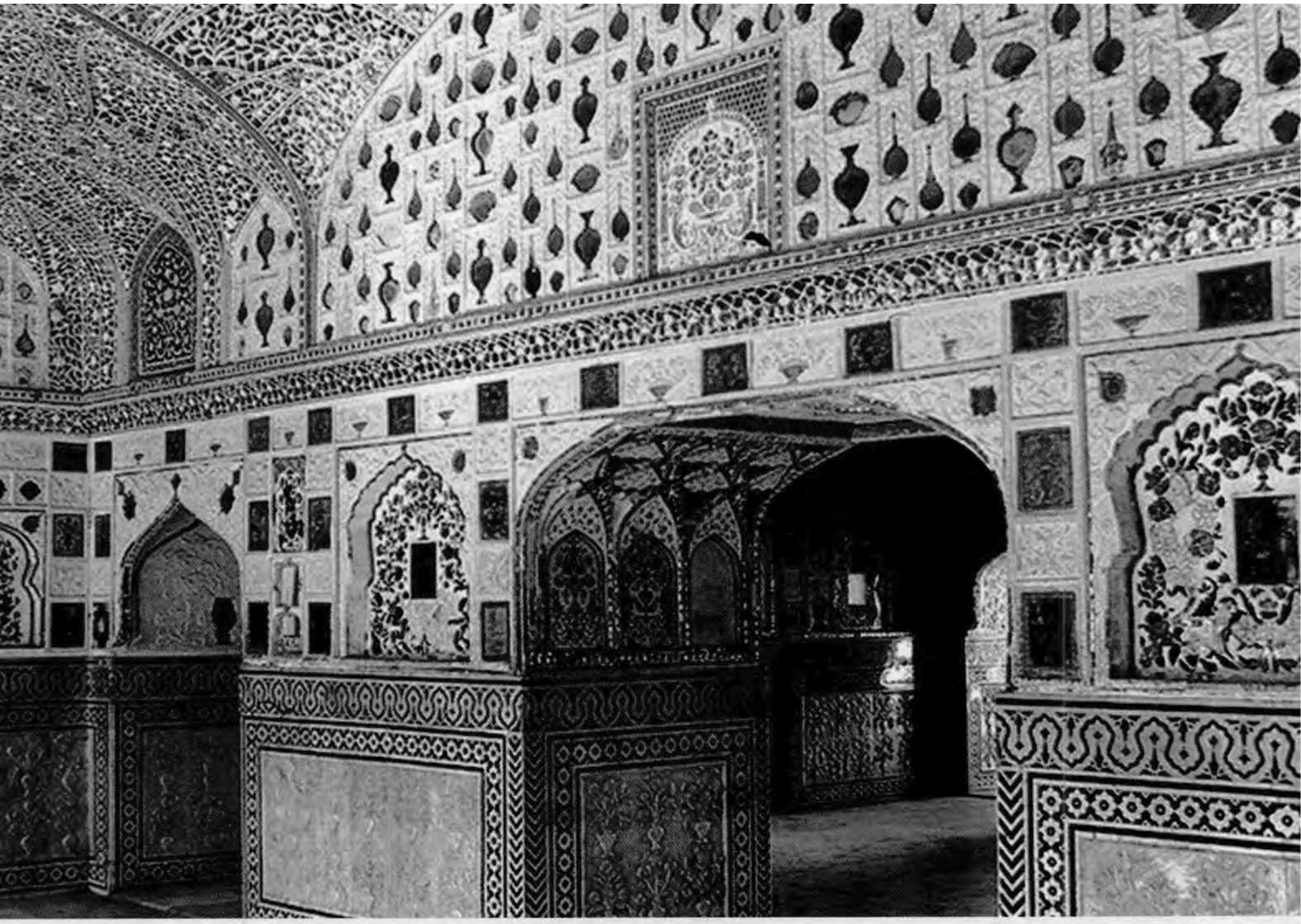
من المألوف في هذا العصر أن نلاحظ رحلة الكثير من طلاب العلم في بلادنا إلى مختلف أنحاء العالم، ولا سيما دول أوروبا، والولايات المتحدة لتلقي العلم من جامعاتها المعروفة في مجال التعليم والتطور الحضاري. فكيف كان الأمر يا ترى قبل نحو ألف عام من الآن؟. حين لم تكن أمريكا قد اكتشفت بعد بالنسبة إلى العالم القديم. وكانت أوروبا تعيش في ظلامات العصور الوسطى. ويعمها الجهل والأمية. حتى إن نسبة ٩٥٪ على الأقل من سكانها، كما تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب". لا يستطيعون القراءة والكتابة في القرون الميلادية: التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر. ويدخل ضمن هؤلاء بعض الملوك والأمراء والكهنة في الأديرة.

وعلى العكس من هذه الحالة، كان الشرق الإسلامي، قد بلغ شأوًا كبيرًا في مجال التقدم العلمي في عصر سيادة الحضارة العربية الإسلامية الزاهرة، ولكنه كان بعيدًا كل البعد عن أوروبا، أما البلد الوحيد القريب من الأوروبيين فكان الأندلس الذي يعد المركز الثقافي الوحيد في الغرب في ذلك العصر. ففيه انتشرت الحضارة العربية الإسلامية، وانتعشت مختلف المعارف والعلوم الإنسانية التي جلبها العرب من المشرق وطوروها بمرور الزمن في حواضره المختلفة الشهيرة، ولاسيما قرطبة Gordoba، وإشبيلية Sevilla، وغرناطة Granada، وطليطلة Toledo، وسرقطة Zaragoza، وغيرها.

عرب الأندلس وحدهم إذن هم الذين صانوا العلوم والآداب التي أهملت في كل مكان في أوروبا. وفي بلادهم عرفت المدارس والجامعات والحياة الجامعية، والنظم المرتبطة بها قبل الغرب بمئات السنين. ونال مسجد قرطبة الجامع وغيره من مساجد مدن الأندلس الأخرى، شهرة عريضة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي حين كانت تعقد فيها حلقات التدريس، التي تضم بين مدرسيها كبار علماء العلم. وكان الطلبة يسعون إليها عندما يرغبون في تحصيل درجة عالية من العلوم. وكانت أماكن العلم هذه تقوم بمناشط متنوعة تشبه ما يقام من نشاط ثقافي أو مواسم ثقافية في بعض الجامعات العصرية.

عجائب جربير

وقد وصلت أخبار هذا التقدم العلمي، وهذه المؤسسات الثقافية إلى أوروبا عن طريق بعض الأفراد الذين زاروا الأندلس، واطلعوا على نهضته العلمية، فشعروا بالحاجة إلى الاغتراف من معينه الثر، والنهل من منبعه الصافي. وكانت الحاجة الملحة لتعرّف علوم الأندلس وأعاجيبها تدفع هؤلاء الأفراد الراغبين في طلب العلم، ولاسيما الرهبان منهم الذين أرادوا أن يكتشفوا بأنفسهم عظمة المسلمين في الأندلس. وكان هؤلاء يعودون إلى ديارهم بعد الانتهاء من تعليمهم، ومعهم مخطوطات علمية، إمّا بلغتها العربية وإمّا بعد ترجمتها إلى اللاتينية.



استقطب ملوك أوروبا علماء مسلمين لنشر ألوية العلم والعمران

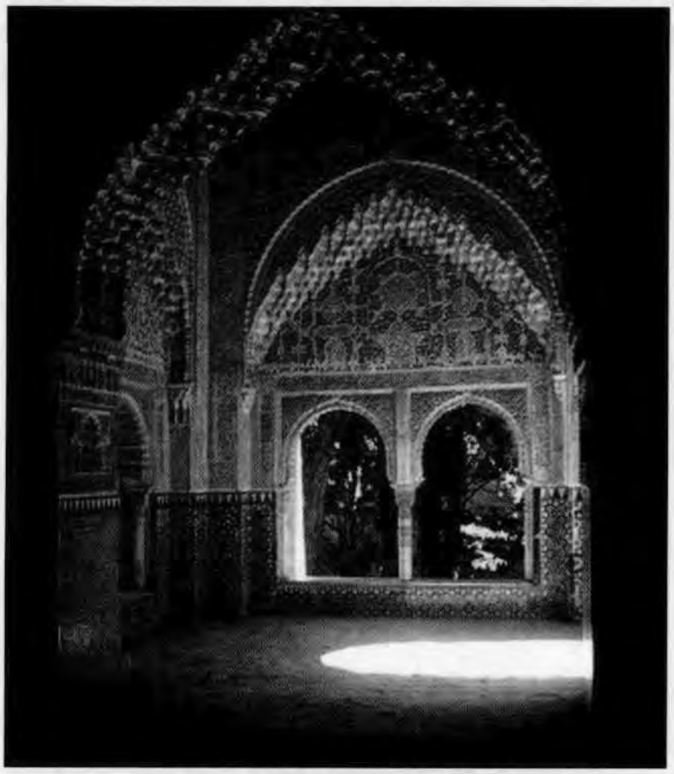
ولعل أبرز مـثـال على هـؤلاء هو الراهـب الفـرنسي جـــربيـــر دي أورياك Gerbert d'Aurillac الذي زار الأندلس ثلاث سنوات من سنة (٣٥٧ ـ ٣٦٠هـ/ ٩٦٧ ـ ٩٧٠م)، أي في عصر الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ/ ٩٦٠ ـ ٩٧٦م) الذي بلغت فـيــه الأندلس ذروة تقدمها في مجال العلم والثقافة. فدرس جربير العلوم في مدينة برشلونة Barcelona عن كتب ترجمت من اللغة العـربيـة، ثم رحل إلى قـرطبـة، حيث برع في تلقي علوم الطبيعة والفلك والرياضيات من علماء المسلمين. وتعلم العربيـة. ولما عاد إلى بلاده رأى المدرسة الأسقـفـيـة في ريمز، ودرس فيها المنطق والموسيقى والفلك. وقد أظهر لطلابه ومـستـمعيه ما كان يُعَدُّ من العجائب في ذلك الزمن، مثل المعداد، والكرة الأرضية، كما ألف كتابًا شرح فيه استخدام الأرقام العربية التي تعلمها في الأندلس، إلا أن أوروبا لم تهتم بهذا النظام الجديد. بل كان يُنظَر إلى جربير بعين الشك، واتُّهِم بأنه كان يمارس السحر. ولكنه أصر على إحداث التغيير في مـجتـمعـه، ونال إعجاب الإمبـراطور الألماني أوتو الأول المعروف بالكبير Otto I the Great، وخـليـفتيه اتو الثاني، والثالث، وقـد عينـه الأخير رئيسًا لأساقفة رافينا Ravenna. ثم بعد مـوت البـابا جـريجـوري الخـامس Gregory v، انتـخب جربير لكـرسي البابوية، وتربع فيه تحت اسم سلفستر الثاني Sylvester II من سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م إلى وفاته في سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٣م

هذا مـثـال على طالب واحـد درس في الأندلس، وتدرج في سلم الحـيـاة إلى أن وصل إلى أعلى منصب ديني في الكنيسة الكاثوليكية.

وهناك أمثلة أخرى كثيرة لمثل حالة جربير، ونستدل على أمرهم ومقدار ما جلبوه من علم ومخطوطات عربية من آثارهم، وطريق عودتهم. فكان بعضهم يمر بدير ريخناو Reiehenau الذي كـان يقـيم فيـه هرمـان الكسـيـح Herman the Cripple (ت ٤٦٦هـ/١٠٧٣م) ابن أمـيـر دالماسـيـا التي تقع في غـرب مـا كـان يعـرف بيوغسلافيا. وقد وجد هؤلاء الطلبة العائدون مأوى لهم في هذا الدير، وقـدمـوا لهـرمـان الكسـيـح معلومـات ومخطوطات عربية، خصوصًا في مجال الفلك والآلات العـربيـة الفلكيـة التي أدخلهـا في كـتـبـه عن منافع الأسطُرلاب، كما انتقلت بعض الترجمات اللاتينية إلى أصول عربية مبكرة عن طريق هؤلاء الأفراد العائدين، ووصلت إلى فرنسا، مثال ذلك نسخة لاتينية من حكم بقراط، فكانت تستخدم في التدريس بمدينة شارتر Chatres سنة ٣٨٢هـ/٩٩١م، ولاشك أنها كانت من أصل عربي؛ لأن الغرب اللاتيني كان يجهل جهلاً تامًا، في هذا الوقت المبكر، أي شيء عن الأصول اليونانية لأعمال اليونان القدماء.

بعثات رسمية

ونتيجة لما نقل هؤلاء الأفراد من معلومات وأخبار عن الأندلس، شـاع في أوروبا، وخصـوصًـا في قصـور حكامها ومراكز مقاطعتها، مدى التقدم العلمي في الأندلس، فابتدأت موجة من البعثات إلى هذا البلد، كانت غالبيتها هذه المرة ذات طابع رسمي، أرسلت من قبل ملوك أوروبا وأمرائها من مختلف البلدان، مثل إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا، وهولندا، وبافاريا، وقد أخذت هذه البعثات تتدفق على الأندلس بأعداد متزايدة سنة بعد أخرى، حتى بلغت سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م زهاء سبعمئة طالب وطالبة. وكانت إحدى هذه البعثات من فرنسا برئاسة الأميرة إليزابيث ابنة خال الملك لويس السادس ملك فرنسا Louis vI، كما جاءت بعثات أخرى من سافوي وبافاريا والراين وسكونيا وغيرها.



ظلت الأندلس المركز الثقافي الوحيد في الغرب في العصور الوسطى

بالإضافة إلى البعثات الكثيرة التي بعثت بها أوروبا إلى الأندلس، عمد بعض ملوك أوروبا إلى استقدام علماء من المسلمين، من ضمنهم أساتذة وخبراء ومهندسون من الأندلس لتأسيس المدارس والمصانع، ونشر ألوية العلم والعمران



أرسل الملك فيليب بعثة قوامها مئتان وخمسة عشر طالبًا وطالبة برئاسة وزيره الأول ويلمبين لدراسة العلوم المختلفة، ورفضت ثلاث طالبات فتيات العودة وتزوجن بمشاهير من رجال الأندلس

وبعث فيليب Philip ملك بافاريا إلى الأمير هشام الأول ابن عبد الرحمن الداخل (١٧٢ - ١٨٠هـ/ ٧٨٨ - ٧٩٦م) بكتاب يطلب فيه الإذن بإرسال بعثة إلى بلاده الأندلس للاطلاع على أحوالها وأنظمتها وشرائعها وثقافتها والاستفادة منها. ووافق الأمير الأندلسي على هذا الطلب، وعندئذ أرسل الملك فيليب بعثة برئاسة وزيره الأول المدعو ويلمبين الذي يسميه المؤرخون العرب باسم وليم الأمين، وكانت هذه البعثة تتألف من مئتين وخمسة عشر طالبًا وطالبة، درسوا مختلف العلوم في الأندلس، مثل صناعة النسيج، والنقش، والتطريز، والتمريض، والأسلحة، والزجاج، والورق، وبناء السفن، وبناء القلاع، وانكب الآخرون على دراسة علم الفلك والكيمياء والفيزياء والعلوم الزراعية وغيرها. وقد اعتنق ثمانية أفراد من هذه البعثة الدين الإسلامي، ومكثوا في الأندلس، ورفضوا العودة إلى بلادهم. ومن هؤلاء ثلاث فتيات تزوجن بمشاهير من رجال الأندلس في ذلك الوقت، وأنجبن عددًا من الأبناء، كان منهم عباس بن فرناس الفلكي، وهناك عدد آخر من الفتيات قدمن في بعثات إلى الأندلس من فرنسا وهولندا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا، أقمن في الأندلس واعتنقن الإسلام، وتزوجن بالمسلمين، من أمثال الأميرة ماري غوبيه من بلجيكا، وروبيكا سنارت من ألمانيا، والراهبة جانيت سمبسون من إنجلترا، وشوتا ابنة الكونت سيرجاك من هولندا.

وأوفد الملك جورج ملك ويلز بعثة برئاسة ابنة أخيه الأميرة (دوبان) كانت تضم ثماني عشرة فتاة من الأشراف والأعيان. وقد توجهت البعثة إلى مدينة





المسلمون وتقدم في مختلف الفنون


شهدت المساجد والقصور في الأندلس مجالس العلم والمعرفة

إشبيلية، ورافقهن في سفرهن النبيل (سفيلك) رئيس موظفي القصر في ويلز. وجاءت هذه البعثة في عهد الخليفة هشام بن الحكم المستنصر (٣٦٦ - ٣٩٩هـ/٩٧٦ - ١٠٠٩م). وقد حمل النبيل (سفيلك) رسالة إلى الخليفة من الملك جورج، جاء فيها حسبما

كان تعاون الأندلسيين مع جيرانهم الدول الأوروبية يتم بكل رحابة صدر، لايبخلون بعلم على غيرهم، يفتحون مدارسهم ومساجدهم لكل من طلب العلم دون تمييز بين الأجناس أو الأديان

أورده سليم طه التكريتي عن كتاب:
John Doinburth, Arabs: Element of Supremacy in the Madieval Centuries:

«من جورج الثاني ملك إنجلترا والغال والسويد والنرويج إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الأندلس صاحب العظمة هشام الثاني الجليل المقام. بعد التعظيم والتوقير فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها الجهل من أربعة أركانها، ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة (دوبان) على رأس بعثة من بنات أشراف الإنجليز لتتشرف بلثم أهداب العرش، والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم، وحماية الحاشية الكريمة، وحدب من اللواتي سيتوفرن على تعليمهن. ولقد أرفقت مع الأميرة السفيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص».
من خادمكم المطيع جورج

وقد رد الخليفة هشام على رسالة الملك جورج بهذه الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه سيد المرسلين وبعد،
إلى ملك إنجلترا وإسكندنافيا الأجل
لقد اطلعت على التماسكم فوافقت بعد استشارة من يعنيهم الأمر من أرباب الشونة (أي أركان الدولة) على طلبكم، وعليه فإننا نعلمكم بأنه سيتم الإنفاق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين تأكيداً على مودتنا لشخصكم الملكي.
أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد. وبالمقابلة أبعث



عمارة تنطق بالتأثير العربي العميق في الأندلس

إليكم بغالي الطنافس الأندلسية، وهو من صنع أبنائنا هدية لحضرتكم، وفيها المغزى الكامل للتدليل على اتفاقنا ومحبتنا والسلام

خليفة رسول الله على ديار الأندلس هشام»

وبالإضافة إلى البعثات الكثيرة التي بعثت بها أوروبا إلى الأندلس، عمد بعض ملوك أوروبا إلى استقدام علماء من المسلمين، من ضمنهم أساتذة وخبراء ومهندسون من الأندلس لتأسيس المدارس والمصانع، ونشر ألوية العلم والعمران. ففي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وما بعده استضافت حكومات إنجلترا وهولندا وسكسونيا وغيرها نحو تسعين من الأساتذة العرب الأندلسيين المتخصصين في مختلف العلوم، والذين كانوا يحسنون اللغتين اللاتينية والإسبانية إلى جانب العربية. كما وقعت تلك الحكومات عقوداً أخرى مع نحو مئتي خبير عربي في مختلف الصناعات، ولا سيما إنشاء السفن، وصناعة النسيج والزجاج والبناء وفنون الزراعة.

وقد أقام بعض المهندسين العرب جسراً على نهر



التيمس في بريطانيا يسمى بجسر هليشم Helichem نسبة إلى اسم الخليفة هشام، اعترافًا بفضله لموافقته على إرسال أولئك الخبراء والمهندسين العرب من الأندلس، ولا تزال توجد في مدينة شتوتجارت بألمانيا حتى اليوم سقاية ماء تدعى أميديو Amedeo، وهو تحريف لكلمة أحمد المهندس العربي الذي صنع تلك السقاية.

وهكذا كان تعاون الأندلسيين مع جيرانهم الدول الأوربية يتم بكل رحابة صدر، لايبخلون بعلم على غيرهم، يفتحون مدارسهم ومساجدهم لكل من طلب العلم دون تمييز بين الأجناس أو الأديان.

وكان من علمائهم من بمقدوره تدريس علوم مختلفة بلغات مختلفة، مثل العالم الكبير محمد بن أحمد الرقوطي، الذي استفاد من الإسبان بعد استرداد مدينة مرسية سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م، فعينه ملكهم ألفونسو العاشر Alfonsox (٦٥٠ - ٦٨١هـ/ ١٢٥٢ - ١٢٨٢م) مديرًا أو رئيسًا لمدرسة مرسية، فدرّس الطلبة الذين كانوا يحضرون إلى هذه المدرسة، من المسلمين والنصارى واليهود، مختلف المعارف، مثل المنطق والهندسة والطب والموسيقا، كل حسب لغته التي كان يتقنها هذا الأستاذ الأندلسي المتميز.

المراجع

- حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعيتر، ط٣ بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م.
- شمس العرب تسطع على الغرب - أثر الحضارة العربية في أوروبا، زيغريد هونكه، نقله عن الألمانية فاروق بيضون، وكمال دسوقي، ط٤، بيروت دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٠م.
- أثر العرب في الحضارة الأوربية، بيروت، ، جلال مظهر، دار الرائد، ١٩٦٧م.
- دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، عبدالرحمن بدوي، ط٣، بيروت، الكويت، دار القلم ووكالة المطبوعات، ١٩٧٩م.
- أوروبا ترسل بعثاتها إلى الأندلس لتلقي العلوم من جامعاتها، سليم طه التكريتي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٧، السنة الرابعة، ١٩٦٨م.
- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، لسان الدين ابن الخطيب، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٥م، ح٣.
- H.K. Mann, The Lives of Popes in the Early Middle Ages, Vol. V.
- J.W. Draper, A History of the Intellectual Development of Europe, 1914, Vol. 11.

الكاف: مدينة عريقة لم تبـ



ـــح بكل أسرارها

عبدالحكيم مولهي
الكاف ـ تونس

هي واحدة من أعرق المدن التونسية، توجد في عمق بلاد البربر أو اللوبيّين؛ ينحدر سكانها من إنسان الحضارة القبصيّة(١) أو الوهرانية (٢). وتتميز هذه المنطقة قديمًا بمناخ شبيه بمناخ إفريقية الاستوائية(٣) اليوم. ذكرتها المصادر اللاتينية والعربية بعدة أسماء مثل «سيكا» و«سيكافنيريا» و«شقبنّاريّة» و«الكاف». سطع نجمها مع «أغاليد»(٤) نوميديا خاصة في عهد ماسينيسا (٥) وحفيده القائد «يوغرطة»(٦) في أثناء حروبه ضد الهيمنة الرومانية بشمال إفريقية. كما كانت هذه المدينة محطة مهمة إبان الحكم الروماني لوجودها على أحد الطرق الرئيسة التي تربط قرطاج عاصمة المقاطعة الرومانية التي تسمى آنذاك «إفريقية البروقنصليّة»(٧) بالمدن النوميدية الأخرى، وخاصة تلك التي يوجد بها الفيلق الروماني الثالث (٨)، وهي حيدرة بتونس، وكل من تبسّة ولومباز بالجزائر.

وعرفت الكاف عصرها الذهبي مع الأتراك وخاصة العائلة الحسينية (٩)، وأطلق عليها اسم «بلاد الكرسي». غير أن الدّور العسكري لهذه المدينة ـ القلعة لا يجب أن يخفي عنا إسهاماتها الأخرى الاقتصادية والثقافية.. ولعل ما يوجد في هذه المدينة من معالم رومانية وبيزنطية وإسلامية يؤكد أنها كانت حاضرة لا تقل عن باقي المدن التاريخية بالمغرب العربي.

أما على المستوى الاجتماعي والديني فقد تعايشت في الكاف أجناس وأديان مختلفة، فقد كان يقطنها إلى جانب المسلمين جالية مهمة من النصارى بلغ عددها ١٢٠٠ نسمة، وجالية يهودية عددها نحو ١٥٠ نسمة حسب إحصاء عام ١٩١١م.

وتمثل هذه المدينة اليوم عاصمة لولاية (محافظة) تحمل الاسم نفسه. وتشتهر بخصوبة أراضيها الزراعية، وتعدد ثرواتها المنجمية. وكانت ربوع الكاف وما زالت تستقطب خاصة خلال فصل الصيف أعدادًا كبيرة من البدو الرُّحل الباحثين عن المرعى لأغنامهم والقادمين من منطقة السباسب بوسط البلاد حتى من الجنوب التونسي، وهي ممر مهم للإخوة الجزائريين والمغاربة نحو مدينة تونس وبلدان المشرق العربي، وذلك إلى وقت قريب خاصة خلال موسم الحجّ.

الموقع والمناخ

تقع مدينة الكاف على جبل الدّير في منطقة التل العالي(١٠) بالشمال الغربي للبلاد التونسية على ارتفاع ٧٥٠ مترًا بالنسبة إلى سطح البحر. وحول الموقع يقول الكاتب تيسوTISSOT في كتابه (الجغرافيا المقارنة): «هذه المدينة المستقرة فوق واحد من أول المرتفعات في كتلة جبلية متلاحمة يمكن اعتبارها بحق قلعة طبيعية تشرف على السهول الكبرى للسرس وزنفور والأربص ووادي ملاق، كما تتحكم في إحدى الطرقات الرئيسية الرّابطة بين مدينة تونس والبلاد الجزائرية» (١١).

وتبعد الكاف عن العاصمة نحو ١٦٠ كلم، ويبلغ عدد سكانها قرابة ألف نسمة.



كثبان رملية ونخيل

وهي عاصمة جهويّة لولاية تحمل الاسم نفسه (ولاية الكاف) ويحـدّها من الشمـال جندوبة، ومن الشـرق سليانة، ومن الجنوب القصرين، ومن الغرب الجزائر. أما عدد سكان الولاية ككل فيقدر بـ ٢٧٨ ألف نسمة.

ويسـود ربوع الكاف مناخ قـاريّ ممطر في شـمـال الولاية بمعدل ٥٠٠ ملم سنويًا، وينخفض هذا المعدّل كلما اتجهنا نحو الجنوب، وهي تتميز بشتاء بارد خاصة عند نزول الثلوج، وصيف حـار تخفّ وطأته في الكاف المدينة بفعل عامل الارتفاع إذ تشتهر هذه المدينة بنسيمها العليل خاصة في أثناء الليل. ويوجد في التراث الغنائيّ للجهة الكثير من الأغاني التي تتغنّى بـ «النسمة الكافية».

وتغطي الغابات المتكونة خاصة من الصنوبر الحلبي والفرنان عدد من جبال الولاية، ويعبرها «وادي ملاّق» الذي ينبع من الجزائر والذي يعدّ من أهم روافد «وادي مجردة» (أهم نهر في تونس)، حيث تمت إقامة أحد أقدم السدود وهو «سد ملاق» الذي تم بناؤه بين عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٤م أي قبل الاستقلال لإنتاج الطاقة الكهربائية وتوفير المياه لريّ سهول مجردة السفلى (١٢).

من سيكا إلى الكاف عدة أسماء لمدينة واحدة (١٣)

تذكر جميع المصادر التي تحدثت عن الكاف أكثر من اسم لهذه المدينة أقدمها كان اسم «سيكا»، ويبدو أنه اسم بربري أو من أصل لوبي كما يشير إلى ذلك الأستاذ المؤرخ محمد فنطر. ولا ندري اليوم معنى هذا الاسم





وإن كـان المؤرخ «جسنيـوس» يرى أن أصل كلمـة «سـيكا» من جذور سامية وتعني «السوق» (١٤).

وخلال العهـد القرطاجي حـافظت الكاف على الاسم نفسـه الذي استعمله اللوبيون وهو «سيكا»، ويؤكد لنا ذلك المؤرخ الإغـريقي الأصل الرومـــاني النزعـــة والتـــوجـــه «بوليبـوس» الذي كـان رفيـقًـا للقـائد الرومـاني «شـيبـون الإفريقي» في حروبه ضد قرطاج، في معرض حديثه عن الجند المرتزقة الذين تمردوا إثر الحرب البونية الأولى وهو مـا دفع بقرطاج إلـى التخلص منهم وإبعادهـم نحو «سيكا» وذلك عـام ٢٤١ق.م (إثر الحـرب البونيـة الأولى) تحسّبًـا لما يمكن أن يمثلوه من خطر على العاصمة آنذاك (١٥).

ويبـدو أن قرطاج كـانت في القرون الأولى لتـأسيسهـا مكتفيـة بالمناطق السـاحلية غيـر أنه وبعد هـزيمتهـا في معـركـة هميـرا التي دارت بينهـا وبين الإغـريقـيين في جـزيرة صـقليـة عـام ٤١٠ ق.م توجـهت نحـو المناطق الداخليـة بما في ذلك الكاف لتعويض النقص المسجل في مـداخـيلهـا وذلك لما تتـمـيـز به هذه المنطقـة من خصـوبة، وكـذلك لتـتخذهـا قلعـة تراقب منهـا تحـركـات القبـائل النوميـدية، لذلك انتزعـتها من البـربر وضمتهـا إلى الدولة القرطاجية.

العـهـد الرومـانـي

حـــملت الكـاف فـي ظل الحكم الرومــــاني اسم «سيكافنيـريا»، ويبـدو أن معنـى «فنيـريا» هو «فـينوس» إلهـة الحب والجـمـال لدى الرومـان أو إلهـة بونيـة (قـرطاجية) تقمصت شـخصيـة «فينوس» ومن المرجّح أن تكون الآلهة «عشترت».

في الفـتـرة نفسـهـا أيضًـا تتـحدث النقـوش عن اسم آخـر للمـدينـة - لم يرد ذكـره مطلقًـا في الكتب الأدبيـة والجغـرافيـة التي تعود لهذه المرحلة - وهو «سيـرتا نوفـا» مع العلم أن «سيـرتـا» هو اسم مـدينة قسنطينة قـبل أن تحـمل اسم الإمـبـراطور الرومـاني «قسطنطينوس» في القـرن الرابع للميـلاد، وبذلك يصبح اسم الكاف «سيـرتا الجديدة»، وتتوافق هذه التسمـية مـع تحول مهم عـاشته منطقـة الكاف عمومًـا - وهو تحولهـا إلى مقـاطعة رومـانية تحـمل اسم «أفـريكا نوفـا» «إفـريقـيـة الجـديدة» مـقـابل «أفريكا فيتـوس» الذي أصبحت تحمله مقـاطعة إفريقية البـروقنصليــة» وذلك طوال الفـتـرة الممتـدة من ٤٤ إلى ٢٧ق.م، وذلك غـداة انتـصـار «قـيصـر» على البـومـبـيين وحلفـائهـم النوميـديين (١٦)، وتم اختيـار الكاف كعـاصـمـة لهذه المقاطعة الجديدة، ويتفق أغلب المؤرخين المعاصرين على كون هذه المدينة جديرة بهذه الترقية لما تتمتع به من خصائص وميزات، ويعدّ المؤرخ الفرنسي «ستيفان قزال»



إحدى ساحات القصبة



مشهد عام للمدينة وتظهر القصبة في أعلى المدينة

ترقية هذه المدينة إلى مرتبة عاصمة اختياراً من قيصر على أثر انتصاره. بينما يرى محمد التليلي أن الكاف كانت دائمًا عاصمة ومقرًا لإقامة الملوك النوميديين منذ العصور القديمة، إذ أقام بها «سيفاكس» ملك النوميديين المساساليين عام ٢٠٥ق.م ثم «ماسينيسا» ملك القسم الآخر من نوميديا أو ملك النوميديين المساليين، ومن بعده أفراد عائلته الذين تولوا الحكم حتى خضوع المدينة للرومان.

لم تذكر أهم المصادر اسم «سيرتا نوفا» بل واصلت ذكر الأسماء المعروفة مثل «سيكا» أو «سيكا فنيريا» بل أحيانًا أسماء أخرى مثل «فيريا» أو «زيكا» كما ذكر ذلك المؤرخ «سترابون».

خلال الحكم البيزنطي والعربي

استعمل البيزنطيون التسميات المعروفة نفسها مع تغيير بسيط في طريقة نطقها وكتابتها، ونشطت في عهدهم الأسقفيات المسيحية، وتمّ تشييد عدد من الكنائس أهمها «البازيليك» الموجودة إلى اليوم.

أما أهمّ ما يمكن ذكره خلال العهد العربي الإسلامي فهو أنّ الكاف تمّ فتحها على يد زهير بن قيس البلوي سنة ٦٩هـ/٦٨٨ ـ ٦٨٩م مع عدد من المراكز الأخرى بالمنطقة خلال ولاية عقبة بن نافع الثانية على القيروان وتحديداً على أثر هزيمة كسيلة الملك البربري الذي نظم المقاومة البربرية ضد العرب، وتمكن من حكم إفريقية مدة ثلاث سنوات (٦٨٣ ـ ٦٨٦م)، كما ذكر المالكي في كتابه «رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية».

عن هذه الفترة يقول محمد الطالباني: «ومنذ ذلك العهد وعلى مدى العصر الوسيط كله تراجعت أهمية مدينة الكاف ونزلت مرتبتها فتقدمت عليها الأربص التي أصبحت أهمّ قاعدة محصنة وأقواها بالجهة» (١٧) ولم يذكر العرب طوال هذه الفترة في مختلف المصادر بداية بالرقيق القيرواني في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد مروراً بالبكري والمالكي وياقوت الحموي والبغدادي حتى عبدالرحمن ابن خلدون سوى اسم واحد للمدينة هو «شقبنارية»، ويبدو أنهم اقتبسوه عن البيزنطيين حيث ذكرها الجغرافي الإغريقي «بطليموس» والمؤرخ البيزنطي «يروكوب» باسم قريب من هذا وهو «سيكبانريّة».




الكاف وعمارة إسلامية متميزة

ظهور الاسم الحالي

أوّل المصادر التي ذكرت المدينة باسمها الحالي هو المؤرخ ابن أبي دينار(١٨) في نهاية القرن ١٧م، الذي ذكر أن شقبنارية فتحها زهير بن قيس البلوي، وأكّد أنها تسمّى اليوم الكاف، وتبعه في ذلك أغلب مؤرخي العصر الحديث مثل الوزير السرّاج، فكيف كانت وضعية المدينة في هذه الفترة من تاريخها؟ وماذا تعني التسمية الجديدة؟

اهتم الأتراك بمدينة الكاف فشيّد بها مراد باشا القصبة. هذا المعلم الذي تحوّل إلى رمز للمدينة عام ١٦٧٩م، وخلال العهد الحسيني حظيت الكاف بمكانة مهمة؛ وذلك لموقعها الدفاعي المتقدم في صد الهجومات التي كان يقوم بها أتراك الجزائر من حين إلى آخر. وفي عام ١٨٠٦م قام حمّودة باشا بترميم القصبة وببناء سور المدينة المعروف اليوم بالسور الحسيني. كما أصبحت الكاف في عهده إحدى أهم المدن المحصنة الرئيسة بالمملكة التونسية إلى جانب تونس والقيروان وباجة، وبها حامية عسكرية قارّة لا يقلّ عدد جنودها عن ٥٠٠ رجل يقودهم آغا (١٩).

أمّا عن دلالة الاسم الجديد، فذكر محمد الطالبي أن كلمة الكاف مشتقة من الكلمة العربية كهف. واستند في ذلك إلى وجود عدة كهوف في مرتفعات جبل الدير، حيث يقول عن معنى كلمة الكاف: «وهي بدون شك تحريف للفظة العربية كهف (أي غار) بسقوط حرف الهاء الهوائي» (٢٠).

ومما لا شك فيه أن «كلمة الكاف لا تحتاج إلى تأويل كبير فأصل الكلمة بربري يعني «الجبل» أو «الصخرة الوعرة» أو «النجد الصخري»، وهو ما يتطابق تمامًا مع الواقع المرفولوجي للمدينة. يقول أحمد الحمروني: «لقد انتصبت المدينة منذ نشأتها، ثم توسعت فوق أربع هضاب أهمها النجد الصخري الذي أعطى المدينة اسم الكاف وحماها شمالاً وغربًا من الرياح الباردة وعرضها طوال النهار للشمس، فجاء هواؤها نقيًا جافًا» (٢١).

وتوجد في شمال إفريقية مواقع كثيرة تحمل اسم الكاف أو «الكيفان» أو تدخل في تركيبتها كلمة «كاف» مثل «كاف الطير» أو «الكاف الأحمر».

بل توجد في مدينة الكاف نفسها هضبة تسمى «الصخرة» هي اليوم حي سكّاني كبير ممّا يعطي صورة واضحة عن الطابع الجبلي لهذه المدينة.

الكاف قلعة في وجه الاستعمار

مثَّل احتلال الجزائر عام ١٨٣٠م صدمة كبرى لسكان المناطق الحدودية، ومنها الكاف التي لم تتردد في مساندة حركة المقاومة الجزائرية(٢٢) ولاسيما تلك التي قادها الثائران الحسناوي والكبلوطي وغيرهما.

لكن مع شهر أبريل / نيسان عام١٨٨١م شنت القوات الفرنسية هجومًا بريًا وبحريًا على تونس انطلاقًا من الجزائر، وتمت محاصرة الكاف، واستعدت المدينة للدفاع والمقاومة. فتجمعت القبائل وغمرت بالمدافع. وقام الخطباء في المساجد يدعون إلى الجهاد ضد الكفار غير أن هذه المقاومة لم تتمّ بعد أن تآمر أعيان المدينة مع القنصل الفرنسي «روا» وخاصة شيخ الزاوية القادرية الذي جعل المدينة تستسلم للقوات الفرنسية بقيادة الجنرال «لوجيرو» يوم ٢٦ أبريل/نيسان ١٨٨١م(٢٣). وأطلق السكان على الباب الخلفي للمدينة، الذي دخلت منه القوات الفرنسية تسمية «باب غدر»، وعلى الرغم من استسلام المدينة بسبب تقديم الأعيان لمصالحهم الخاصة على مصالح المدينة فإن سكان الأرياف قاوموا بكلّ بسالة على غرار ما وقع بكامل البلاد التونسية، هذه المقاومة التي أخفقت بسبب اختلاف موازين القوى بين جيش فرنسي مدجج وسكان شبه عزل إلا من بعض الأسلحة التقليدية مثل البنادق والسيوف.

على أثر الاستقلال فتحت الكاف ذراعيها للمقاومين واللاجئين الجزائريين الذين وجدوا في تونس خير سند، فكان انتقام فرنسا بقصف بلدة «ساقية سيدي يوسف» الحدودية يوم ٨ فبراير/شباط ١٩٥٨م مما أدى إلى سقوط ٦٨ شهيدًا بين تونسيين وجزائريين، وبذلك امتزجت دماء الأشقاء مجددًا مثلما وقع في العصور السابقة في أثناء حروب يوغرطة وثورة «تاكفاريناس» (٢٤).

لم تكن فرنسا تعي أنها بهذا العمل الجنوني قد





مدخل الزاوية القادرية

خدمت القضية الجزائرية التي دخلت مرحلتها الحاسمة، إذ نددت أغلب البلدان بهذا العدوان، فأكد مندوب الصليب الأحمر الدولي الذي كان شاهد عيان أنه عاش الحدث من أوله، وأنه لم يشاهد أبشع منه.

كما عبرت أغلب الصحف الوطنية والعالمية عن تنديدها بهذا العمل الإجرامي مثل: «واشنطن نيوز» و«الواشنطن بوست» و«التايمز» البريطانية، وكذلك «المنشستر غارديان» و«لاغازيت دي لوزان» السويسرية و«الأهرام» المصرية (٢٥).

ووفاء للشهداء دأبت تونس والجزائر سنويًا على إحياء هذه الذكرى الأليمة» وها هو ذا شاعر الجزائر الكبير مفدي زكرياء(٢٦) يحيي تونس على موقفها قائلاً:

تونس الخضراء من أرض الفدا
جئت يا تونس أقريك السلاما
من شهيد لشهيد من أخ
... لأخ.. من مهج ترعى الذماما
من ذرا أوراس من وهران من
جرجرا من أمة لم تحن هاما
جل خطب فاقتسمنا ويله
فلنقاسمك الصفا والإبتساما
نحن من تونس في أوطاننا
كم حبانا الشعب عطفًا ووئاما
إن نسينا ما نسينا عونها
وكريم العرق لا ينسى الكراما

معالم ومواقع

في مدينة الكاف معالم كثيرة، مثل المعابد الوثنية والكنائس والحمامات الرومانية التي مازال بعضها في حالة جيدة، مثل الكنيسة المسماة اليوم «دار القواس» التي يبدو أنها أقيمت تخليداً للقديس بطرس، كما كشفت الحفريات عن الحمام المثمن الأضلاع إلى جانب ما اكتشف من لوحات فسيفسائية وتماثيل.. وتعود أغلب المعالم الرومانية إلى الفترة التي ارتقت فيها مدينة «سيكا فينيريا» إلى مرتبة «مستعمرة» Colonie (٢٧).

كما توجد آثار بيزنطية أشهرها معلم «البازيليك» وهو معلم غريب الشكل.. يرجح أنه كان مصرفًا نقديًا أو كنيسة مسيحية من القرن الخامس الميلادي، ويتكون من بهو محاط بأروقة مسقفة ذات أبواب ومن قاعة في شكل صليب» (٢٨).

أما المعالم العربية الإسلامية فتعود إلى فترات زمنية مختلفة نتيجة ما عرفته من ترميم وإضافة، وأغلبها مازال يستعمل في الحياة اليومية للمدينة مثل المساجد والجوامع وبعض البيوت ذات الطابع العربي الأصيل أو الطراز الأندلسي خاصة في الأحياء العتيقة من المدينة مثل حي «بو مخلوف» الذي لا يختلف كثيرًا من حيث نوعية الأبواب والنوافذ ورصف الأزقة والممرات الضيقة عن مدينة تونس وغيرها من المدن الكبرى.



بوابة القصبة

ومن أهم هذه المعالم نذكر:

- القصبة والسور الحسيني وأبواب المدينة وخاصة «باب غدر» بوصفه الوحيد الذي مازال قائمًا.
- الزوايا ومقامات الأولياء: كانت الكاف معقلاً للأولياء والطرق الصوفية، ومن أهم الزوايا الموجودة:
- زاوية سيدي عبدالله بو مخلوف الفاسي، وهو من المغرب الأقصى، بقبتها الجميلة وطرازها الأندلسي وهي تعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي (٢٩) وتعدّ من أبرز معالم المدينة التي يقبل عليها السياح في أثناء زياراتهم.
- زاوية سيدي الملايحي أو تربة علي التركي جدّ الدولة الحسينية.
- الزاوية القادرية: أسسها محمد الميزوني أصيل مزونة قرب وهران بالجزائر عام ١٨٣٤م، وكانت تتمتع بنفوذ كبير، وهي تنتسب إلى عبدالقادر الجيلاني ومقرّها الأصلي ببغداد.
- زاوية سيدي علي بن عيسى: شيّدها أحمد بن علي بوحجر عام ١٧٨٤م، وكانت مقرًا للطريقة الرحمانية، وقد اشتهرت بمناوأتها للاستعمار الفرنسي، وتحولت اليوم إلى مقرّ للمتحف الجهوي للفنون والتقاليد الشعبية (٣٠).
- زاوية سيدي حسين: وهي التي تحتضن اليوم «جمعية صيانة المدينة».
- ولا تخلو الكاف من بعض المعالم اليهودية التي يبدو أن بعضها قديم جدًا، مثل المعبد اليهودي المعروف باسم «الغريبة» على غرار معبدهم الذي يعرف بالتسمية نفسها في مدينة جربة، وإن كان أصغر منه، و«الحارة» وهي الحي الذي كان يقطنه اليهود.

أمّا عن المواقع الأثرية بالولاية عمومًا فهي كثيرة، وترقى إلى مختلف الفترات التاريخية التي مرّت بها منطقة الكاف وأهمها:

- سيدي الزّين: وهو أقدم موقع يعود إلى العصور الحجرية القديمة المسمّاة بالباليوليتيكية أي إلى قرابة ١٥٠ ألف سنة قبل الميلاد واكتشفت هذه المستوطنة في أثناء إنجاز الخريطة الجيولوجية لجهة الكاف في عام ١٩٤٢م من قبل العالم الفرنسي «إتيان ديمون» Etienne Dumon، وقد أشرف على أولى الحفريات فيها العالم الفرنسي «أرناست جوستاف غوبار» Ernest Gustave Go-bert في عام ١٩٤٨م، وقد استخرج منها ما يزيد على ٨٠٠ قطعة أغلبها في متحف باردو، وهي أدوات «آشولية» (٣١) من الحجارة ذات الوجهين (٣٢).
- القبور الجلمودية بكل من جبل الدّير ومنطقة اللاس قرب بلدة السّرس، وهي تعود إلى فجر التاريخ أي إلى الألف الأخير ق.م وتمّ بناؤها باستعمال الحجارة الضخمة (٣٣).
- «ألتيبيروس» وتسمى اليوم «المدينة»، وهي قرية



أحد مداخل القصبة

بربرية الأصل توجد بين بلدتي الدّهماني والجريصة، احتلها القرطاجيون ثم الرومان، وزارها الإمبراطور «هادريان» ورقاها إلى بلدية Municipe، أغلب آثارها رومانية، وأهمّ معالمها قوس النصر، ومعبد الكابتول، وساحة الفوروم (الساحة العامة)؛ بعض لوحاتها الفسيفسائية ونقوشها معروضة في متاحف باردو واللوفر بفرنسا.

- مائدة يوغرطة: توجد ببلدة قلعة سنان جنوب الكاف، وهي ملجأ طبيعي حصين برزت خلال حروب يوغرطة، وعثر فيها على قطع نقدية تعود إلى عهدي ماسينيسا ويوغرطة.

- زنفور: توجد على بعد كيلومترات من الكاف، من أهم معالمها أقواس النصر الثلاثة التي يعود أحدها إلى فترة الإمبراطور «كاراكلا» الذي حكم خلال القرن الثالث للميلاد، وهو من عائلة «السيفيريين» Les Sev-ers ذات الأصل الإفريقي.

- الأربص: مدينة قديمة برزت مع العرب، توجد على طريق القيروان، تحدّث عنها المؤرخ «الحسن الوزان» المعروف بـ «ليون الإفريقي» قائلاً: «مدينة عتيقة بناها الرومان.. وتقع في سهل جميل هو زهرة أقاليم إفريقية كلها.. تزوّد هذه البادية بلاد تونس كلها بالقمح والشعير» (٣٤).

أعلام من الكاف

على مدى تاريخها الطويل العميق كانت الكاف دائمًا، ولا تزال، مركزًا للعلم والثقافة ومهدًا للحضارة، إذ أنجبت، ولا تزال، تنجب العلماء والأدباء والفنانين ورجال الإصلاح منهم:

- أرنوبيوس: من أدباء مدينة الكاف في العصور القديمة، ولد خلال القرن الثالث المسيحي، وكان نابغة في البلاغة واللغة اللاتينية واليونانية؛ لذلك انتدب إلى التدريس بقرطاج عاصمة الولاية الرومانية، وقد توفي عام ٣٢٧م، وكان شديد الحبّ لمسقط رأسه، يبيّن محاسنه، ويتغنّى بمباهجه، ويذكر في كل مناسبة مزارع الكاف وبساتينها وكرومها، وكان يكره روما ويقول: «قد خلقت لهلاك الجنس البشري» ألّف كتبًا كثيرة لا يزال أغلبها موجودًا تتعلق أساسًا بالبحوث الدينية (٣٥).

- فورتوناسيانوس: أديب عاش في القرن الرابع الميلادي وانخرط في سلك رجال الدين حتى صار أكبر كهنوت الكاف، وكانت بينه وبين القديس «أوغستين» Augustin مراسلات (٣٦).

- سيليوس أورليانوس: المعروف سيليوس الكافي من أشهر أطبّاء العصور القديمة، ولد بمدينة الكاف في القرن الخامس الميلادي، وتوفي بروما (٣٧).

أمّا خلال الفترة العربية الإسلامية، فتتحدث

المصادر عن علماء وفقهاء تجاوزت شهرتهم مدينة الكاف، وتولوا أهمّ المناصب منها التدريس بجامع الزيتونة وخطة الإفتاء والقضاء.

- أبو جعفر ابن سعدون الأريصي، شيخ جليل ومجاهد وفقيه ومحدّث، عاش في العهد الأغلبي، واختار سوسة للإقامة بها، تلمذ ليحيى بن عمر الكيناني، قال فيه معاصره أبو الأزهر: «ما رأيت فيمن أدركت من المتعبدين الصالحين مثله» (٣٨). توفي سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م، ودفن في المكان المعروف إلى اليوم باسمه «شاطئ أبي جعفر».

- الإمام الأُبّي وهو محمّد بن خلفه بن عمر الوشتاتي عاش بين ٧٤٥ و ٨٢٧هـ أصيل «أُبَة»



آثار رومانية

بالدّهماني جنوب الكاف التي نزل بها ابن خلدون سنة ٧٥٣هـ: إمام محدّث وفقيه مفسّر، له مؤلفات كثيرة وصلنا منها تفسير للقرآن الكريم، وشرح مسلم في سبعة مجلدات. وهو من أشهر تلامذة الإمام ابن عرفة (٣٩)، وقد عرف بنزعته العقلانية (٤٠).

- محمد الورغي أديب وشاعر عاش في القرن ١٨م أصيل ساقية سيدي يوسف له ديوان شعر غنيّ بمآثر التاريخ التونسي ومقامات مطبوعة.

- صالح الكوّاش: عالم وفقيه، يقول فيه ابن أبي الضياف: «وكان هذا الشيخ نادرة الدهر في الحفظ وثقوب الفكر والفصاحة والأجوبة المسكتة وثبات الجأش في تغيير المنكر، لا يخشى في الله لومة لائم»؛ درّس بالزيتونة، وتوفي سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٤م.

يقول في رثائه تلميذه أحمد بن زرّوق:

وقال الورى قد مات علامة الورى

فأرّخ يموت العلم إن مات صالح (٤١)

- محمد السنوسي: من أشهر رجالات العلم والأدب والإصلاح والإعلام، عاش بين ١٨٥١م و ١٩٠٠م، له كتب كثيرة مطبوعة منها «مسامرات الظريف»، و«مجمع الدواوين» و«النازلة التونسية» وهو والد الأديب زين العابدين السنوسي (٤٢).

- أحمد بن حسين قمار: وهو ينتسب إلى أعيان بيوت الكاف، حفظ القرآن الكريم بالكاف ثم ارتحل إلى العاصمة، حيث تعلم بالمدرسة السليمانية ومدرسة صاحب الطابع، وتلمذ للشيخ إبراهيم الريّاحي، ثم عمل مدرسًا بجامع الزيتونة، وباش مفتي المذهب المالكي بالقطر التونسي. توفي بتونس عام ١٨٨٦م (٤٣).

ومن أشهر الأدباء ورجال الإصلاح في القرن العشرين نذكر:

- زين العابدين السنوسي: عاش بين ١٨٩٨ و ١٩٦٥م، صار على درب أبيه في النضال السياسي والفكري والإعلامي. ألف كتبًا كثيرة أهمها «الأدباء التونسيون في القرن الرابع عشر الهجري» وكان من جماعة السور، ومن أبرز أصدقاء الشاعر الكبير أبي القاسم الشابي (٤٤).

- الهادي العبيدي: الأديب والشاعر الذي عاش بين ١٩١١ و ١٩٨٥م، كتب في عدد من الصحف قبل الاستقلال وبعده، وهو أصيل منطقة «سرى ورتان» تولى رئاسة تحرير جريدة «الصباح» منذ نشأتها حتى وفاته، وهو

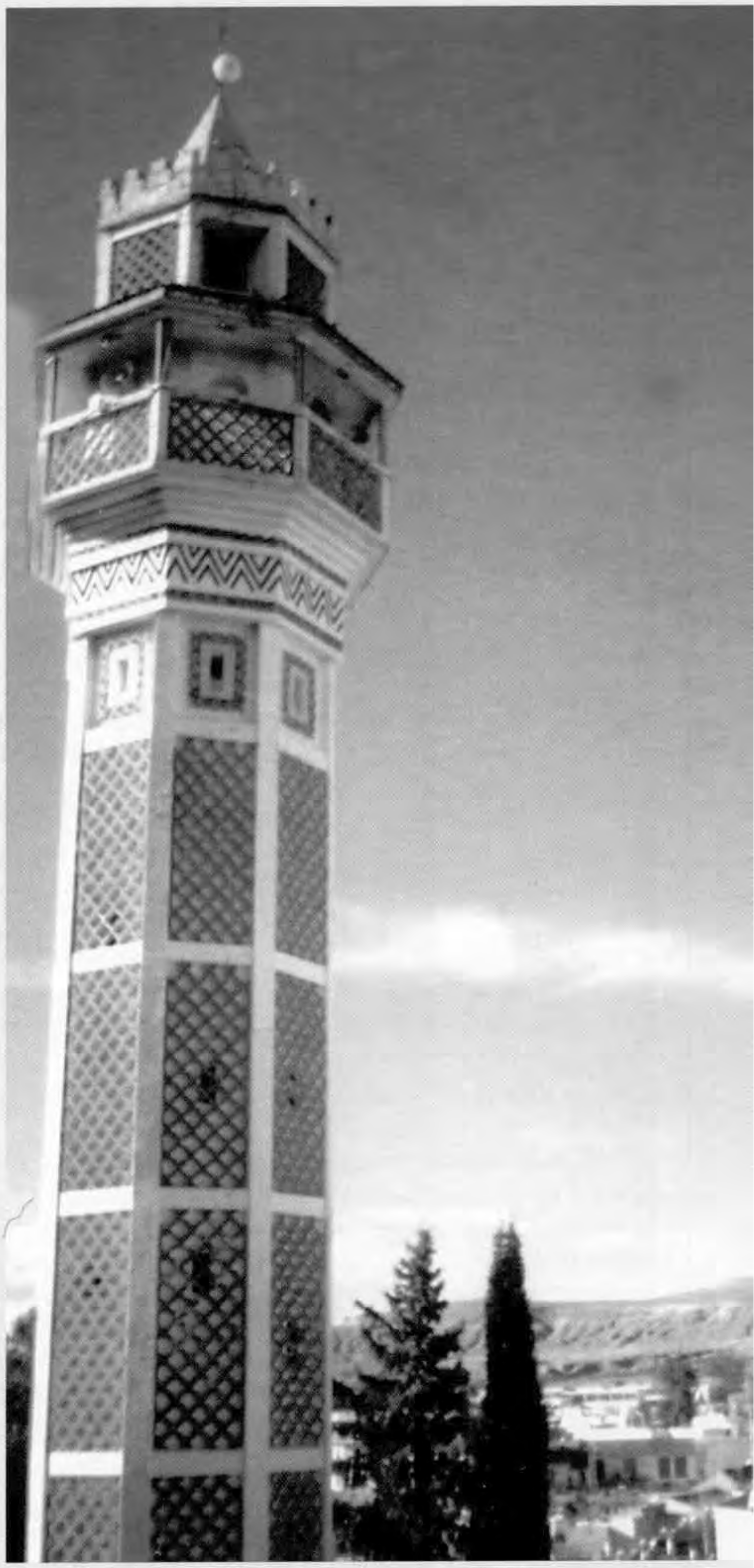
أحد مؤسسي اتحاد الصحافيين العرب عام ١٩٦٤م، وترأس الوفد التونسي في أثناء المؤتمر الأول المنعقد بالكويت. ويعدّ عميد الصحافيين التونسيين (٤٥).

- عبدالمجيد بن جدّو: أصيل بلدة «القصور» جنوب الكاف، أديب وشاعر وباحث عاش بين ١٩١٨ و١٩٩٤م، وهو صاحب قصيدة «بني وطني» التي ألهبت الحماسة خلال معركة بنزرت عام ١٩٦١م، التي تحقق بعدها الجلاء الفرنسي عن البلاد التونسية وخروج آخر جندي فرنسي عام ١٩٦٣م.

الكاف: المسرح والغناء

تعدّ الكاف من أهم المدن التونسية التي ظهر بها فن المسرح مبكرًا حيث شهدت المدينة تأسيس عدد من الفرق المسرحية، مثل فرقة: «السنابل» الهاوية، والمجموعات والفرق الموسيقية مثل الفرقة الجهوية للموسيقا العربية، وفرق أخرى لم تعد موجودة اليوم، واشتهرت في فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، ومن أهمها فرقة «أصحاب الكلمة» و«أولاد بو مخلوف» للأغاني الهادفة. وتشتهر الكاف عمومًا بتراثها الغنائي، وبما أنجبته المدينة من نجوم هم من أحسن ما في الساحة الفنية بتونس اليوم.

لكن البداية الحقيقية للمسرح في الكاف كانت عام ١٩٦٧م مع تأسيس الفرقة القارة بالكاف تحت إدارة الفنان منصف السويسي الذي عمل على «خلق مسرح يقطع نهائيًّا مع قصص الحبّ الساذجة المخططة ببساطة والتي تقود مباشرة إلى الزواج»، ويدفع بالمجتمع إلى التغيير. وتمكنت هذه الفرقة من إنتاج ٢٦ مسرحية في الفترة ما بين ١٩٦٨و ١٩٧٥م، (ولم تتحصل كلها على التأشيرة) أي بمعدل أربع مسرحيات في السنة، وتمكنت من تقديم ما ينيف على ألف ومئتي عرض أي بمعدل ١٧١ عرضًا في السنة بتونس وخارجها.



مئذنة مسجد الرحمة

من أشهر هذه المسرحيات التي مازالت في ذاكرة التونسيين نذكر مسرحية «الحلاج» و«ديوان الزنج».

لقد ظهرت هذه الفرقة في وقت كانت فيه بقية الفرق الهاوية تروّج نتاجها الرديء والسطحي، وتعهّدت بطرح قضايا الشعب بطريقة تمكن المتفرج من تحليل المواقف المعروضة أمامه بفكر نقدي يمكّنه أمامها من أن يرد الفعل بأخذ موقف أو قرار جدّي.

باختصار، «لقد كانت فرقة الكاف ولادة نوعية في المسرح التونسي عبّرت بعمق عن متطلبات وخصوصيات مرحلة بأكملها»(٤٦).

وبسبب دخول المسرح في تقاليد هذه المدينة، تمّ بعث «مركز الفنون الركحيّة والدرامية بالكاف» منذ عام ١٩٩١ - ١٩٩٢م، وإذاعة جهوية لحفظ التراث الموسيقي والفني لجهة الكاف، والتعريف به، وذلك منذ عام ١٩٩١م.

وقد أنجبت الكاف عددًا كبيرًا من الفنانين والفنانات الذين سيطروا على الساحة الوطنية أمثال الصحبي

١- الحضارة القبصية من أبرز حضارات ما قبل التاريخ وجدت غرب البلاد التونسية، وامتدت نحو شرق الجزائر ووسطها، وامتد تاريخها من ٧٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ ق.م وتسمى بالقفصية نسبة إلى مدينة قفصة (قبصة ـ Capsa).

٢- الحضارة الوهرانية: ظهرت في منطقة وهران، وغطت السواحل الليبية والتونسية والجزائرية، تواصل على نحو ١٠٠٠٠ سنة بين عامي ١٨٠٠٠ و ٨٠٠٠ ق.م.

٣- كانت جهة الكاف تتميز بمناخ استوائي حار ورطب يشبه المناخ السائد في منطقة إفريقية الاستوائية (انظر مقال «بلادنا عبر التاريخ» للأستاذ الفاضل الحرزلي، مجلة «يوغرطة» العدد ٤، لعام ١٩٩٥م والصادرة بالكاف).

٤- إغليد: ج أغاليد كلمة بربرية تعني الملك.

٥- ماسينيسا: ملك بربري حكم بين ٢٠٢و ١٤٨ ق.م؛ وحّد نوميديا واستولى على جانب من أراضي قرطاج.

٦- يوغرطة: قائد بربري اشتهر بحروبه ضد الرومان بين ١١١ و ١٠٥ ق.م التي انتهت بأسره بعد أن سلمه عمه بوخوس ملك الموريين إلى روما مقابل حصوله على الجانب الغربي من نوميديا.

٧- بعد تدمير قرطاج عام ١٤٦ ق.م أسس الرومان مكانها مقاطعة رومانية أطلقوا عليها اسم «إفريقية البروقنصلية» وهي توافق شمال شرق تونس الحالية.

٨- الفيلق الروماني الثالث: اسم يطلق على الجيوش الرومانية شمال إفريقية، ويتبع الإمبراطور الروماني مباشرة، وكان مقرّه في البداية في حيدرة عام ١٤م، ثم نقل تحت حكم الأسرة الفلافيّة Flaviens إلى تبسة بالجزائر عام ٧٤م، ليستقر نهائياً في لومباز عام ٨١م. وكان هذا الفيلق يشكل جزءاً من خط دفاعي متكامل يسمى «اللّيمس».

٩- تنتسب الدولة الحسينية إلى مؤسسها حسين بن علي الذي اختير للحكم مكان إبراهيم الشريف عام ١٧٠٤م، وهو ينحدر من أب تركي وأم تونسية من الكاف تنتمي إلى قبيلة «شارن».

١٠- التل العالي: مصطلح جغرافي يطلق على الشمال والوسط الغربي للبلاد التونسية، وهي مناطق تتميز بالارتفاع، ويطلق عليها بعضهم صفة «سقف البلاد التونسية».

١١- وردت هذه الفقرة في مقال المؤرخ التونسي محمد الطالبي بعنوان «الكاف» نشر في دائرة المعارف التونسية الكراس ١٩٩٢/٣م، ص٨٢ و ٨٣.

١٢- ملف بعنوان السدود بالشمال التونسي إنتاج المركز الجهوي للتوثيق التربوي للشمال بباجة يونيو / حزيران عام ١٩٧٩م.

١٣- العنوان: جزء من عنوان لمداخلة طريفة حول تاريخ اسم مدينة الكاف بعنوان «من سيكا إلى الكاف» ـ في الشمال الغربي للبلاد التونسية ـ تاريخ موقع De Sicca Au Kef - Au Nord Ouest - Histoire D'un Toponyme. ألقيت بالفرنسية في المعهد الوطني للتراث بتاريخ ٢فبراير / شباط عام٢٠٠٠م من طرف الأستاذ الجامعي نبيل قلالة.

١٤- المصدر السابق، ص٨٣.

١٥- مقال بعنوان «مدينة الكاف» لأبي نزار مجلة «يوغرطة» العدد ٤ لعام ١٩٩٥م، وهي تصدر بمدينة الكاف.

١٦- عرفت الإمبراطورية حربًا أهلية بداية من عام ٤٩ ق.م بين أنصار قيصر وأنصار بومبي انقسمت خلالها الممالك البربرية بين مؤيد لقيصر ومساند للبومبيين، وعلى أثر انتصار قيصر عام ٤٦ق.م انتقم من حلفاء «بومبي» وخاصة يوبا الأول ملك نوميديا التي احتلها الرومان بعد معركة «زاما»، وأصبحت تسمى مقاطعة «أفريكا نوفا».

١٧- محمد الطالبي، دائرة المعارف التونسية الكراس ١٩٩٢/٣م، ص٨٣.

١٨- دار عدد من الحروب بين الأيالة التونسية وأتراك الجزائر أهمها أعوام ١٦٢٨، ١٦٨٥، ١٦٩٤، ١٧٠٥، ١٧٥٦، ١٨٠٧م. وخربت مدينة الكاف، وتضررت

المسـراطي، وحمدة بن التيجاني المولهي (١٩٠١ - ١٩٨٣م) وبلقاسم الحمروني (١٩١٨ - ١٩٩٥م)، والفنانة الكبيرة صليحة - رحمها الله - التي تعد اليوم جزءًا من التراث التونسي، وتقام لها عدة مهرجانات في الكاف وغيرها.. فهي بمنزلة «أم كلثوم تونس». وبسبب هذا النشاط المسرحي والفني المهم اكتسبت المدينة إشعاعًا كبيرًا استفادت منه بقية الجهات فأسهم فنانو الكاف في بعث فرق مسرحية قارة في كل من قفصة وصفاقس والقيروان.

هذه الكاف العريقة بكل إيجاز، مدينة الفن والجمال والتسامح والتاريخ الزاخر بالأحداث منذ تأسيسها إلى اليوم. وعاصمة الولاية التي أنجبت لتونس رجال إصلاح وفنانين وعلماء، وهي التي فتنت زوارها من كل بلدان العالم. مع العلم بأن مدينتنا لم تبح بكل أسرارها.. قد تكون في نظر بعضهم مدينة صغيرة ليس غير... وربما في نظر بعضهم الآخر «نكرة» لكنها حتمًا تمثل شيئًا كبيرًا للمؤرخين والباحثين.

الهوامش والمراجع

كثيرًا من جراء هذه الحروب.

١٩- محمد الطالبي، المصدر نفسه، ص٨٤.

٢٠- المصدر السابق نفسه.

٢١- أحمد الحمروني، معجم البلدان التونسية، ص ١٥٣ ميديا كوم، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

٢٢- كانت القبائل تتنقل بكل حرية بين البلدين وتربطهما علاقات تصاهر وقرابة.

٢٣- حول دخول القوات الفرنسية لمدينة الكاف عام ١٨٨١م، إعداد عبدالحفيظ الوسلاتي، مرشد بيداغوجي، نشرية التاريخ والجغرافيا، المركز الجهوي للتربية والتكوين المستمر بالكاف، العدد ١٣، نيسان/ أبريل١٩٩٩م.

٢٤- تكفاريناس: بربري ثار على الرومان بعد احتلالهم للمناطق الواقعة بين حيدرة وتبسة وتقييدهم لتنقل البدو الرحل على أثر نقل الفيلق الروماني الثالث لمدينة حيدرة.

٢٥- من كتيب صادر بمناسبة الذكرى ٤١ لأحداث الساقية.

٢٦- مفدي زكرياء: شاعر الثورة الجزائرية، عاش بين عامي ١٩١٢و ١٩٧٧م.

٢٧- محمد الطالبي، المرجع السابق، ص٨٤.

٢٨- أحمد الحمروني، معجم المدائن التونسية، ص١٥٣.

٢٩- ٣٠- المرجع السابق.

٣١- شولية: نسبة إلى قرية «سان آشول» بفرنسا.

٣٢- الفاضل الحرزلّي، مجلة «بوغرطة» العدد ٤ عام ١٩٩٥م، ص١٦.

٣٣- القبور الجلمودية، محمد الطاهر بن خميس، نشرية التاريخ والجغرافيا، العدد ١٣، نيسان/أبريل عام ١٩٩٩م، الكاف.

٣٤- أحمد الحمروني، معجم المدائن التونسية، ميديا كوم، الطبعة الثانية، تونس ١٩٩٨م، ص١١.

٣٥- بول مونصو، تاريخ الآداب اللاتينية بإفريقية، ج٣، ص٢٤١، وما بعدها.

٣٦- محمد بوذينة: «مشاهير التونسيين»، منشورات محمد بوذينة، الحمامات، تونس ٢٠٠١م.

٣٧- بوذينة، المرجع السابق، ص٢٥٠.

٣٨- حسن حسني عبدالوهاب، ورقات في الحضارة العربية بإفريقية التونسية، الطبعة الثانية، منشورات مكتبة المنار، ص١٤٣ - ١٤٤.

٣٩- محمد بن عرفة: مفتي تونس وإمام جامعها الأعظم «الزيتونة» توفي عام ٨٠٣هـ.

٤٠- محمد التونسي، ملتقى الإمام الأبي للفكر المستنير، الدورة ٣ تحت محور «الخطاب الإسلامي على مشارف الألفية الثالثة» بمشاركة ولايات الكاف، القصرين، جندوبة، باجة، سليانة والمنعقد بالدهماني يومي ١٨و١٩ نيسان/أبريل عام ٢٠٠٠م.

٤١- ٤٥-أحمد ابن أبي الضياف، «إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان»، الجزء السابع، ص ٤٤ - ٤٥ الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٩م.

٤٦- «المسرح التونسي، تاريخ ورجال» محمود الماجري، مجلة «فضاءات مسرحية»، وهي مجلة فصلية تعنى بشؤون المسرح التونسي بإشراف وزارة الشؤون الثقافية، العدد ٨/٧، ص ١٢٥- ١٢٧.

المنحى النفسي لتقـ



ـافة الطفل

أمــل الأحــمد

دمشق – سورية

ينظر الواحــد منا إلى نفســه، من خــلال إدراكــات مخـتـلفة. فنـحن ننظر إلى أنفسنا على أننـا رجال أو نسـاء، أو مربون، أو طلاب، أو سـوريون، أو أذكـياء، أو بوصـفنا نحـيـفـي الأجـسـام، أو عـريـضـي المناكب، سـمرًا أو بيـضًا، طوالاً أو قـصارًا.... فـقد عـاش كل واحد منا مع هذا المفـهوم طوال حياته بحـيث صار جـزءًا من نظـم المعـتـقـدات الراسـخـة لديه التي يصـعب تغيـيرها. غيـر أن معـتـقداتنا نحـو ذواتنا ليست قـوالب جامدة، بل هي، ولحسـن الحظ، قابلة للتغـيير، لذا فإن الفـرد يشـكل مفهـومه لذاته من خـلال الخبـرات التي يمر بـهـا، وبخـاصـة من خـلال التـفـاعـل مع الأشـخـاص الذين يعـيـش مـعـهـم.

وإذا كان مـفـهوم الذات يعد من المفاهيم الجـديدة نسـبـيّـاً في علم النفس، فـإن الحـديث عن الذات أو النفس حـديث قـديم، ترجع جـذوره إلى الحـضـارات اليونانية القديمة.

«إن إشكاليـة الأنا بالنسـبـة إلى ديكارت، هي أولاً وقبل كل شيء وعي الذات، ومن هنا تبرز إشكالية أصل فكرة الأنا، ليس من منظور تجـريدي مـعـرفي، بل من منظور نفسي (سيكولوجي). إن الإنسان عندما يستطيع أن يملك تصـورًا للأنا الخـاص به، فـإن هذا التـصـور يرتقي به إلى ما فوق الكائنات الأخرى التي تعيش على الأرض، أي إنه مخلوق يتميز من حيث مكانته وكرامته من الأشياء من حوله، ومن الحيوانات غير العاقلة التي يمكنه التعامل معها والتحكم بها كما يشاء» (١).

ومـفـهـوم الذات من الموضـوعـات المهـمـة في التـراث العـربي الإسـلامي، فـقـد وردت في القـرآن الكريم آيات كثيرة تناولت الذات أو النفس. قال تعالى: ﴿وفي أنفُسِكم أفَلا تُبصِرونَ﴾. [الذاريات: ٢١]. وقال سبحانه: مَنْ عَمِلَ صالحًا فَلِنَفسِهِ، ومَن أساءَ فَعَلَيْها. [فصلت:٤٦].

وفي الحديث الشريف: «الكيّس من دان نفسَه وعَمِل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» رواه الترمذي في القيامة، وابن ماجه في الزهد، وابن حنبل في مسنده.

وذُكر في إحدى رسائل إخوان الصفا أفكار مهـمة تتصل بالذات اتصالاً مباشرًا.

«اعلم يا أخي - أيدك الله وإيانا بروح منه - أن لبّ العلوم الشـريفة، معرفة الإنسان نفسه؛ لأنه قبيح بكل عالم يتعاطى الحكمة، أن يدّعي معرفة الأشياء وهو لا يعرف نفسه، ويجهل حقيقة ذاته .. ثم اعرف أن الإنسان لا يمكن أن يعـرف نفسـه على حـقـيقـتـهـا إلا أن ينظر ويبحث؛ وذلك من جهات ثلاث: إحداها : الجسد مجردًا عن النفس، والثـانيـة: النفس مـجـردة عن الجـسـد، والثالثة: الجملة المجموعة من النفس والجسد» (٢).

نشأة مفهوم الذات وتطوره في الطفولة المبكرة

إن الطفل الحـديث الولادة لا توجـد لديه فكرة عن نفسه ككينونة متميزة من عالمه الخارجي، ومن الأشياء المحيطة به. ويرى جان بياجيه «أن المواليد في الأشهر

القليلة الأولى غير قادرين على التمييز بين أنفسهم أو ذواتهم وأفعالهم والأشياء المحيطة بهم التي يمكن أن يستخدموها في أفعالهم» .... لكنه يرى أيضًا أن مفاهيم الذات تسبق في الظهور والتكون مفهوم الآخر أو الآخرين». (٣)

وقد استخدم بياجيه كلمة مفاهيم وليس مفهوم؛ لأن الذات تتغير من مرحلة إلى أخرى، وبذلك يصبح الحديث عن ذوات وليس عن ذات واحدة، أو عن مفاهيم وليس عن مفهوم واحد للذات.

ويعد اسم الطفل من بين أهم العوامل التي تساعده على معرفة أناه أو ذاته كجوهر مستقل ووجود مثمر. وفي حال إدراك الطفل لذاته كشيء مستقل يستطيع أن يدرك معنى اتجاهات والديه نحو بواعثه وحاجاته الفيزيولوجية.

وعلى أي حال، فإن الطفل يبدأ في تكوين فكرة عن ذاته خلال السنة الأولى من حياته، ويكتشف معاني عن جسده من خلال تناول الأجزاء المختلفة منه، أو الإمساك بها ومن خلال النظر في المرآة أيضًا (٤).

إن المفاهيم التي يكونها الطفل بصفة عامة ذات تأثير كبير في نموه، غير أن النمط الأكثر تأثيرًا منها، هو ذلك الذي يتصل بتفكيره كفرد أي بذاته المستقلة.

ومن ناحية أخرى «يستطيع الطفل بدءًا من عامه الأول أن يميز الأشخاص الآخرين، وذلك من خلال نغمة أو نبرة أصواتهم، وتعبيرات وجوههم» (٥).

وتعد الابتسامة من بين الاستجابات الاجتماعية المهمة لدى الطفل، ولذا نالت اهتمام الكثيرين من الباحثين والدارسين في هذه المرحلة مثل (سالدن ١٩٦٣، وشيرلي ١٩٣٣م، وسبتروولف ١٩٤٦م). إذ دلت هذه الدراسات أن الابتسامة بشكل عام أو الابتسامة العامة غير المحدودة، تظهر أول مرة لدى الأطفال كاستجابة للصوت أو الوجه الإنساني الآخر بين نهاية الشهر الأول والثالث، وأشارت هذه الدراسات كذلك إلى أن الابتسامة غير المتمايزة، وغير المحددة تتحول كي تكون لشخص محدد دون آخر، في النصف الثاني من العام الأول، وهذه مؤشرات تدل على نشوء ما يسمى/ بالوعي الذاتي/ Self-Consciousnes الذي يظهر في نهاية العام الثاني عندما يحاول الطفل أن يخفي ذاته في وجود الغرباء.

ومع تقدم الطفل في النضج والخبرة الاجتماعية، يزداد وضوح مفهوم الذات لديه تدريجيًا، ويشعر أنه شخص مستقل عن الأشياء الأخرى، وعن الناس





الذات نتاج لعملية التفاعل الاجتماعي

الآخرين ويتزامن ذلك مع الأنشطة والأفعال أو عمليات المبادأة التي يقوم بها.

الطبيعة الاجتماعية للذات

«تعدّ الذات نتاجًا لعملية التفاعل الاجتماعي، فنظريات نمو الذات على اختلافها، تركز في إدراك الفرد لكيفية رؤية الأفراد الآخرين له، وعلى مقارنة نفسه بالأنماط الاجتماعية الموجودة من حوله» (٦).

وقد أطلق (ميللر) ١٩٦٣م، على إدراك الفرد لمظهره من خلال جماعة خاصة مصطلح (الهوية الذاتية العامة) فهو يعتقد أن الفرد يرى نفسه بصورة مميزة في نظر هذه الجماعة التي ينتمي إليها.

ولكن على الرغم من الطبيعة الاجتماعية للذات، فإن هناك ذاتًا داخلية تكون بمنزلة النواة كما ذكر وليم جيمس «وهي أعمق وأقوى وأصدق ذات» وهذه النواة تنمو خارج نطاق العمليات الاجتماعية التعليمية، وبخاصة عمليتا تعلم الدور والتوحُّد أو التقمص.

وتحتل عملية التوحد أو التقمص مكانة خاصة في فهم نمو الذات، فقد تم التوصل من خلال تحليل هذه العملية، ومعرفة ما تنطوي عليه من مكنونات إلى تحديد الأسباب التي توضح مسوغات اختيار الشخص الآخر كمثل أعلى يحتذى به، وعندما يتم اختيار المثل الأعلى فإن الفرد يحاكيه، ويحذو حذوه في السلوك والمشاعر والعواطف.

وعلى ذلك فـإن حب الوالدين للطفل وعطفـهم عليـه، ومشـاعـرهم الودية نحـوه، تكون على درجـة كبيـرة من الأهمـيـة في تكوين مـفـهـوم الذات لديه خـلال مـراحله النمائية المختلفة (٧).

والطفل الذي ينشـأ في أسـرة تحـيطه بالرعـاية والحنان والتـقـبل، تزداد قـدراته ومـهـاراته وإمكاناته وترتقي، ولكن يمكن أن يدرك الطفل نفسـه غـبـيّـاً أو مـشـاكسًا أو عـاجـزًا من خـلال نظرة والديه إليـه، ومن خلال التنشئة الاجتماعية الخاطئة التي يتبعانها معه (٨).

وهناك ـ بالإضافة إلى الوالدين ـ أشخاص كثر، على درجة كبيرة من الأهمية في تكوين مفهوم الذات لدى الطفل، مـثل المربين والأقـران، ورفـاق اللعب والأقـربـاء والجيران، وغيرهم ممن هم في محيطه (٩).

وتؤثر الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الفرد منذ طفولته في مفهوم الذات لديه، إذ يتعلم أن يرى نفسـه كما يراه رفاقه وأنداده في المواقف الاجتماعية المختلفة.

فـقـد وجـد (كـوهـن) وآخـرون ١٩٦٣م، من خـلال الدراسة التي قاموا بها معتمدين على اختبار من أنا Who Ami، أن هـذا التصور للذات إنما يتم من خـلال الأدوار الاجتماعية المختلفة التي يؤديها الطفل.

ولقد دلت نتائج الدراسة التي قام بها (كومبس ١٩٦٩م)، أن للتـفـاعل الاجـتـمـاعي بين الأطفال في الروضـة، دورًا مـهـمًـا في تكوين مـفـهـوم الذات لـديهم. ولهذا التـفاعل أشكال مـختلفة، منها التفاعل اللفظي، والتـفـاعل من خـلال الاحـتكاك الجـسـدي، وتبـادل الابتسامات، والتفاعل من خلال اللعب والموسيقا والرسم وغيرها من الأنشطة الأخرى، إضافة إلى نظرات الرضا والقبول والاستحسان المتبادلة مع المربية.

وللمقارنة كذلك دور مهم في تكوين مفهوم الذات؛ فـالطفل منذ نعـومـة أظفـاره مـا ينفك يقـارن نفسـه بالأطفال الآخرين، وتبرز المقارنة جلية في سن الروضة، بحيث ينظر كل طفل إلى الآخر نظرة متمعنة ثاقبة تشبه نظرات الكبار، فهو يريد أن يعرف ماذا يرتدي رفيقه؟ وماذا يأكل؟ وكيف يلعب ويتكلم؟ وهل تحبه المربية أم لا، ولماذا تحبـه؟: ألأنه نظيف أم جـميل، أم ذكي أم مـاذا ؟! وعلى ذلك يحاول أن يجري مقارنات مستمرة بينه وبين قرينه، لماذا ابتسمت له المربية ولم تبتسم لي؟ لم ربتت كتفه؟ وهكذا تستمر المقارنات طوال اليوم ولا تتوقف.

وتحسن المربية صنعًا إذا حاولت أن تتصف الأطفال في تعاملها معهم، وتوزع حبها وحنانها وتقديرها على الجميع قدر الإمكان، مع الإشارة إلى السلوك المتميز الذي تفضله بين الحين والآخر.

وهناك ـ بالإضافة إلى المؤثرات الاجتماعية المختلفة التي يمكن أن تؤثر في نمو مـفـهـوم الذات لدى طفل الروضـة ـ مؤثرات مـهمـة أخرى، ومنهـا صورة الجسم، والقدرة العقلية للطفل، فصورة الجسم تتأثر بخصائصه الموضـوعـيـة مـثل الحـجم والطول والقـصـر، والذكورة والأنوثة، وسـرعـة الحركـة، والتناسق العضلي، واللون، والشعر، «حيث تنمو من خلال هذه الخصائص تصورات الأطفال ومشاعرهم واتجاهاتهم نحو أجسادهم وعدد



للرفاق أثر في تشكيل مفهوم الذات



المناخ المناسب يهيئ للطفل اكتشاف عالمه الخاص



حنان الأسرة يزيد قدرات الطفل ومهاراته

من هذه الصور لا شعوري، وهي تمثل آثار التفاعل المتبادل للطفل مع العالم الخارجي».

وقد أظهرت الدراسة التي قام بها كل من جورارد وسيكورد Jourard and secord عام ١٩٥٥م، «أن الحجم الكبير بالنسبة إلى الذكور مثلاً يساعد على الرضا عن الذات، بينما يحقق الحجم الصغير للإناث مشاعر الرضا والراحة» (١٠).

لقد كانت دراسة صورة الجسم إحدى السبل المهمة لفهم الأطفال العصابيين والمرضى النفسيين، ومن هنا فهي تستحق اهتمامًا كبيرًا من قبل المشتغلين والدارسين في علم النفس «الإكلينكي»، وتحتاج من قبل هؤلاء إلى دراسات معمقة خاصة بها. غير أن هذه الدراسة لا تنحو هذا المنحى، وإنما تتناول مفهوم الذات بمعناه الكلي الشامل، من وجهة نظر نمائية نفسية تربوية فقط.

إن علاقات الطفل مع الأفراد المهمين في حياته، وبخاصة والدته، تتمثل كجزء من صورة الجسم، وهذا يؤكد مرة أخرى، أن مفهوم الذات ينمو من خلال الأدوار التي يؤديها الطفل مع الآخرين، ومن خلال تفسيره لأدوارهم أيضًا.

ويعد الجنس «الذكورة والأنوثة» عاملاً إضافيًّا مهمًّا، وذا دلالة بالنسبة إلى نمو الذات. وقد ورد سؤال «هل أنت ولد أم بنت؟» في معظم اختبارات الذكاء القديمة المخصصة لسن السنوات الثلاث الأولى. «ولكن على الرغم من أن المعارف والمشاعر الأساسية وأنماط الأفعال المتصلة بالجنس تبدأ في الظهور لدى الطفل في مرحلة سني المهد، وتتضح أكثر في الطفولة المبكرة، إلا أن تعلم الدور الجنسي أو المهمات النمائية الخاصة بالجنس يحدث في معظمه متأخرًا عن هذه المرحلة أي في نهايات سني الروضة» (١١).

وإذا كان إشباع حاجات الأطفال من الحب والحنان داخل الأسرة، ومن الأم خاصة له دور كبير في تكوين ذواتهم، فإن للحرمان من هذه الحاجات الدور المعاكس، إذ يتميز الطفل المحروم بنقص مفهوم الذات لديه بتدني هذا المفهوم، وربما لا يدرك أنه شخص أو حتى أن له اسمًا يميزه من الآخرين، ولذلك نجد أن البرامج المخصصة للأطفال المحرومين تلح بالدرجة الأولى على ضرورة تعلمهم مفهوم الذات، ذلك لأهمية هذا المفهوم في تعزيز ثقتهم بأنفسهم، وفي تحقيق ذواتهم وتوكيدها.

ويستخدم المربون عددًا من الطرائق لمساعدة هؤلاء الأطفال، مثل: وضع مرايا ذات طول كامل في أماكن

يستطيع الأطفال فيها أن يروا أنفسهم، والتقاط صور فوتوغرافية لهم، وإطلاعهم عليها ومناقشتهم فيها، وتضمين أسمائهم في الأناشيد والألعاب وغيرها من الأنشطة التي يقومون بها.

ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن احترام المربية للأطفال في الروضة، وتقديرها لأعمالهم وإنجازاتهم الناجحة، ومنحها لهم الحب والحنان، أمور في غاية الأهمية، وهي تسهم إسهامًا كبيرًا في نمو مفهوم الذات الإيجابي لديهم.

سمات مفهوم الذات

يتسم مفهوم الذات بعدة سمات أهمها أنه:

أ. هرمي بنائي: يتشكل مفهوم الذات لدى الطفل من خلال الخبرات التي يمر بها في صغره، فالطفل الذي يتكون لديه مفهوم إيجابي نحو ذاته في مهارة العزف على آلة موسيقية مثلاً، يكون قد مرّ بخبرات عززت لديه هذه المهارة منذ نعومة أظفاره، سواء في منزله أو في الروضة التي يذهب إليها في طفولته المبكرة، ومن ثم في المدرسة. وإن لم تتوافر له مثل هذه الخبرات المعززة يتوقع أن يتكون لديه مفهوم سلبي نحو الموسيقا على الأغلب. والأمر ذاته ينطبق على المهارات والمفاهيم الأخرى، اللغوية، والرياضية، والأخلاقية، والاجتماعية وسواها ..



وينمو مفهوم الذات بالتدريج مسايرًا المراحل النمائية والخبرات التي تحدث فيها، وهكذا يأخذ شكلاً هرمياً تتكون قاعدته في الطفولة المبكرة، وتبنى القواعد الأخرى في المراحل اللاحقة، وقد يستمر هذا البناء بالسيرورة والارتقاء مدى الحياة. وعندما يأتي الطفل إلى الروضة في السنة الثالثة من عمره، يكون قد كون مفهومًا ما لذاته، وإن كان هذا المفهوم غائمًا وغير محدد؛ وذلك من خلال تفاعله مع أفراد الأسرة، ومع الأغراب والجيران والأقرباء من حوله، وإذا قامت المربية التي سبق لها أن خبرت الأطفال وتعاملت معهم، بإلقاء نظرة عامة على الأطفال الوافدين إلى الروضة أول مرة فإنها ستجد أمامها «شخصيات متميزة» ومفهومات متباينة لفكرة أولئك الأطفال عن ذواتهم قبل أن تضع الروضة بصماتها عليهم (١٢).

غير أن الأمر المهم هنا، هو أن مفهوم الذات قابل للتطوير والتغيير والتعديل وبذلك يمكن للروضة أن تؤدي دورًا مهمّاً في تشكيل هذا المفهوم وتعديله؛ وذلك من خلال الخبرات والأنشطة اللعبية والموسيقية وسواها، ومن خلال الاحتكاك والتفاعل مع المربية والأقران.

وإذا صح أن سمة ثبات مفهوم الذات تبدأ تتكون



سلوكيات الطفل تكشف عن مشاعره

في الأسـرة من خـلال التـفـاعل مع الأهل، ومن خـلال التنشئة التي يتلقاها، فإنه من الصحيح كذلك أن سمة الثبات هذه نسبية وليست مطلقة لحسن الحظ، وهذه السمة تعطي فرصة كبير للمربية كي تتدخل في الوقت المناسب وتغير وتطور ما بوسعها من خصائص وسمات ذاتية لدى الأطفال المشكلين الذين كونوا مفاهيم سلبية عن ذواتهم.

ب ـ مفهوم الذات تقويمي: يتسم مفهوم الذات كذلك بأنه يخضع للتقويم التكويني أو البنائي المستمر، فالذات الاجتماعية لدى الطفل تتأثر بالأقران والأشخاص المهمين في حيـاته، وتعـدّ المربيـة في الروضـة من بين أهم الأشخاص الذين يمكن أن يؤثروا في الأطفال سواء أكان ذلك بطريقـة مبـاشـرة، أم من خـلال التـغـذية الراجـعـة الفورية التي تقدمها للأطفال لتعزز عن طريقها سلوكاتهم الصحيحة وتصحح الخاطئة منها، أم بطريقة غير مباشرة من خلال اقتداء الأطفال بسلوكها وطرائقها وتعبيراتها المختلفة اللفظية أو غير اللفظية. وهكذا يتم تقويم الطفل لذاته بشكل مستمر، مما يساعد على تطوير هذا المفهوم ووضوحه وارتقائه باستمرار.

مفهوم الذات ودوره في تحقيق الذات وموقعه في هرم الحاجات الإنسانية

إن بناء مفهوم إيجابي للذات يضمن للفرد صحة نفسية جيدة، ويساعد على استثمار إمكاناته إلى أقصى حد ممكن، ويشعره بالثقة والأمن والاطمئنان، ويمكنه من احترام ذاته وتقديرها، ومن ثم تحقيقها.

يرى ماسلو مفهوم تحقيق الذت واحدًا من الحاجات المهمة للصغار والكبار، وقد وضعه في هرمه ليصف من خلاله الحاجة الإنسانية العليا التي يسعى الشخص السوي الذي يتمتع بصحة نفسية جيدة إلى تحقيقها، بعد أن يكون قد أشبع حاجاته الجسدية الأساسية.

ويرى ماسلو، أيضًا، أن مفهوم تحقيق الذات يعني «الرغبة في أن يكون الفرد هو ذاته أكثر فأكثر؛ وذلك إلى أقصى درجة تتيحها له إمكاناته» (١٣).

إن انفتاح الطفل على العالم من حوله يوفر له خبرات كثيرة، ويكسبه معارف ومعلومات غزيرة، ويعلمه السلوك الذكي الناضج الذي يساعده على تكوين مفهوم إيجابي لذاته، وعلى مزيد من تحقيق ذاته.

أما موقع مفهوم تحقيق الذات في هرم الحاجات الإنسانية الذي وضعه ماسلو، فيأتي في المرتبة الخامسة؛ أي تسبقه الحاجات الجسدية، وتليها الحاجات الأمنية ثم الحاجة إلى الانتماء، والحاجة إلى اعتبار الذات وتقديرها، ومن ثم الحاجة إلى تحقيق الذات.

ويعتقد ماسلو أن فئة قليلة جداً من الناس هي التي يمكن أن تصل إلى تحقيق هذه الحاجة المهمة، ويرى أن الحاجات الثلاث الأولى في هرمه هي حاجات للبقاء أو الاستمرار في الحياة، بينما تهتم الحاجات التي تليها بكينونة الفرد وذاته، وتحقق له أقصى ما يمكن أن يصبو إليه بوصفه إنسانًا سويّاً خيّرًا، ويتبادل العطاء مع الآخرين (١٤).

إنه لمن المؤكد، أن فهم المربية في الروضة لهذه





يمر تشكيل الذات بمراحل مختلفة

الحاجات وتسلسلها، وعلاقاتها المتداخلة وإمكانية تغيير مواقعها في هذا الهرم من ظرف إلى آخر، ومن طفل إلى آخر، يساعدها على فهم حاجات الأطفال ومشكلاتهم النفسية التي يمكن أن تكون ناجمة عن عدم إشباع هذه الحاجات أو بعضها، والتي يمكن أن تؤثر سلبياً في تكوين مفهوم الذات لديهم.

سبل بناء مفهوم إيجابي للذات لدى طفل الروضة

تنتقل مشاعر الأطفال معهم إلى الروضة وتصاحبهم أينما ذهبوا، بكل ما تنطوي عليه هذه المشاعر من مخاوف وقلق، أو مباهج ومسرات، أو حب وكراهية نحو أنفسهم وأقرانهم، ونحو آبائهم. والطفل قلما يعبر عن مشاعره بطريقة لفظية، ولكن الأفعال أصدق من الأقوال، كما يقال. ولهذا «فإن أفضل وسيلة للكشف عن مشاعر الأطفال في هذه المرحلة، هي ملاحظة سلوكهم والتفسير الجيد لهذه الملاحظات والسلوكيات والتصرف المناسب حيالها» (١٥).

وتستطيع المربية في الروضة أن تسهم إسهامًا جيدًا، في بناء مفهوم إيجابي للذات لدى الأطفال، من خلال معرفتها وتنفيذها الإجراءات الآتية:

ـ مساعدة الطفل على تقبل ذاته:

يأتي الطفل إلى الروضة محملاً بصور معينة؛ وتتميز هذه الصورة بأبعاد ثلاثة هي: فكرته عن ذاته، فقد يتصور أنه شخص له كيان قادر على التفاعل والتعلم، له قوة جسمية معينة يرتاح إليها، ولديه قدرة عقلية تمكنه من التفوق والنجاح. وقد يتصور ذاته أنه قليل الشأن، ضعيف القدرات وغير قادر على الإنجاز والنجاح ... ويتعلق البعد الثاني بفكرة الطفل عن نفسه ولكن من خلال علاقته بالناس الآخرين، فقد يتصور أنه شخص محبوب ومرغوب فيه، أو أنه شخص كريه منبوذ وغير محبوب من الآخرين، ولا بد من الإشارة هنا إلى أن نظرة الناس إليه تشكل أهمية كبيرة عنده، وتؤثر فيه أيما تأثير؛ لأن صورة كل طفل عن ذاته تتكون من خلال نظرة الآخرين إليه.

أما البعد الثالث فهو مثالي، يتعلق بنظرة الطفل إلى ذاته كما يحب أن يكون، وهذه الصورة تختلف عن الصورة التي يرى نفسه فيها بالفعل أهو كفء أو غير كفء، محبوب أو مكروه؟ إذ نجد أن كل طفل يتخيل نفسه في أعماق ذاته وقد حقق كل ما يتمناه أو جزءًا غير قليل منه (١٦).

ويكون الطفل متقبلاً لذاته كلما قلّ الاختلاف بين نظرته الفعلية إلى ذاته ونظرته المثالية، إذ تعبر هذه الحالة عن نضج يتناسب مع هذه المرحلة النمائية، وعن ثقة كبيرة بالنفس وبالآخرين من حوله، ممن يمدون له يد المساعدة والعون عند الحاجة، وعلى رأسهم والداه ومربيته. والمربية الخبيرة والمعدة إعدادًا جيدًا تكون

متأهبة دائمًا لاستثمار الفرص التي تؤدي إلى دعم الذات لأي طفل. وعلى نطاق واسع لتشمل الأطفال جميعهم، إذ عليها أن تنمي لدى كل طفل أساليب للتغلب على الصعوبات والمعوقات التي تنقصه ولا يستطيع السيطرة عليها، وتحول بينه وبين تكوين مفهوم إيجابي عن ذاته، وتتعلق هذه الأساليب بالمتغيرات والمحددات الآتية:

أ- تقبل الذات يقتضي أولاً معرفة الذات:

إن فهم الذات ومعرفتها وتقبلها عملية تتم بالتدريج، ومع التقدم في العمر، وتحتاج إلى مزيد من الوقت والفرص الملائمة، فكل طفل يولد ولديه آليات (ميكانيزمات) التوقيت الخاصة به.

إننا نجد مثلاً أن بعض الأطفال يسير نموهم وفقًا لتوقيت بطيء، وبعضهم يسير وفقًا لتوقيت سريع، وبعضهم يسير وفقًا لتوقيت متذبذب ومضطرب وغير منتظم. والمطلوب أن يسمح أو يهيأ لكل طفل أن ينمو وفق المعدل أو التوقيت الخاص به. والمربون الذين يراعون السرعات المتباينة لنمو أطفالهم، يمكنهم أن يكتشفوا طرائق متعددة، يمكن لكل طفل أن يشعر بواسطتها بالارتياح للسرعة التي ينمو بها، ولا يجوز أن يشعر أي طفل بالعجز؛ لأنه لا يساير رفاقه في سيرورة نموهم.

وهناك أمر مهم آخر يجب التنبيه عليه منذ البداية، وهو أنه على المربين أن يدركوا طبيعة أنماط نمو الأطفال، وأن بإمكانهم أن يلاحظوا مثلاً أن بعض الأطفال يتفاهمون مع غيرهم بطرائق لفظية، وبعضهم الآخر يحقق ذلك بطرائق غير لفظية، وبأقل ما يمكن من استخدام الكلمات المنطوقة، إذ يستعيضون عنها بالإشارات وتعبيرات الوجوه أو العين التي لا تقل عن الطرائق اللفظية قدرة على التعبير، وربما تتفوق عليها في بعض الأحيان.

إن على المربين أن يتحينوا الفرص التي يمكن للأطفال أن يعبروا فيها عن أنفسهم بطرائقهم الخاصة،



إن فهم الذات ومعرفتها وتقبلها عملية تتم بالتدريج

«ويمكن أن يتحقق التقاء الأفكار والعقول وتواصلها عن طريق عدة أنشطة، مثل اللعب والرسم والتمثيل والغناء والاستماع والمشاهدة، مثلما يتحقق عن طريق السمع والتواصل اللفظي التقليدي المألوف» (١٧).

«ويحتاج الآباء والمربون في بعض الأحيان إلى مزيد من الوقت للنمو والنضج مثل أبنائهم؛ لأن ظروفهم ليست طيبة دائمًا ومريحة وهادئة، وهم بحاجة إلى مزيد من الوقت ليتكيفوا مع مسؤولية كونهم آباء ومربين صالحين وأكفاء، وقد يحتاج الكثيرون منهم إلى بذل المزيد من الوقت ليصبحوا أكثر تقبلاً لأنفسهم، ثم لأطفالهم؛ لأن ما يعكسونه على أطفالهم من أقوال وأفعال سيصبح النواة الحقيقية لما ستكون عليه شخصيات هؤلاء الأطفال في المستقبل» (١٨).

ويستطيع المربون أن يساعدوا الأطفال على عملية اكتشاف ذواتهم وفهمها وتقبلها، أو يعيقوا هذه العملية،



ففهمهم أو عدم فهمهم لكل ما تقدم، يمكن أن يدعم نمو الشخصية أو يقف عائقًا في طرائق هذا النمو السوي.

ويمكن أن توفر البيئة في الروضة المناخ المناسب للطفل كي يشب وينمو بطريقته الخاصة، أو قد تعيقه عن اكتشاف عالمه الخاص به والتوافق معه.

ب ـ تقبل الذات وعلاقته بالقصور الجسدي:

إن مفهوم الذات الجسدية ينمو قبل غيره من المفهومات الأخرى، وينال قسطًا كبيرًا من اهتمامات الأطفال، ويؤثر تأثيرًا كبيرًا في نظرتهم إلى أنفسهم وإلى أقرانهم. فقد يعاني بعض الأطفال في الروضة قصورًا جسديًا ما، أو تشوهًا ما في وجوههم أو أنوفهم أو أرجلهم أو شفاههم ...إلخ. ويؤدي ذلك إلى أن ينظر بعض رفاقهم إليهم نظرة غير مستحبة، وربما يشيرون إليهم بين الحين والآخر، ويعيرونهم بهذا النقص. ولا شك أن هذه الاستجابات تسبب لهم آلامًا نفسية كثيرة، وتشعرهم بالعجز والدونية وانعدام الثقة بالنفس، وتؤدي في الغالب إلى تكوين مفهوم سلبي لديهم عن ذاتهم الجسدية. وهذا كله يمكن أن يؤثر تأثيرًا سلبيًا في أدائهم وسلوكهم، ويقلل من إنجازاتهم الناجحة، وربما يحولهم إلى أطفال مشكلين وعدوانيين.

وهنا، يكون من واجب المربية أن تعلم الأطفال أن يتقبلوا رفاقهم مهما كان شكلهم ومظهرهم «وأن تجعلهم يدركون أن الإنسان يقدر لذاته ولأفعاله الناجحة أو خصاله الحميدة أكثر مما يقدر لشكله ومظهره الخارجي، وأن يدركوا كذلك أن أشكال الناس ليست متساوية، وأن حيلتنا ضعيفة أمام بعض الأمور التي تخرج عن حدود إرادتنا» (١٩).

ج ـ تقبل الذات وعلاقته بالبيئة غير المتسامحة:

تعدّ الثقافة الخاصة «المنزلية» التي يولد فيها الطفل من المؤثرات الفعالة التي تعمل على نمو صورته عن ذاته، والبيت أول مصدر لتنمية الصورة في ذهن الطفل، وتليه الروضة من حيث الأهمية. وبوسع هذه الصور العقلية الأولية بما لها من ذكريات أن تمنحه الثقة بالنفس، والقدرة على مجابهة الآخرين، إذا كانت مفرحة، أو قد تكون مبعثًا للشك وعدم الثقة والقلق والخجل إذا كانت مؤلمة.

إن الجو المتسامح الذي يعيش فيه الطفل في المنزل والروضة والمدرسة يولد لديه خبرات سارة، ويساعده على تقبل ذاته، أما البيئة غير المتسامحة التي تعتمد «العقاب» البدني أو المعنوي أسلوبًا وحيدًا لتصحيح الأخطاء التي يرتكبها الطفل، فتولد لديه خبرات مؤلمة، وتوجهه نحو العنف والإيذاء والعدوان الموجه إلى الذات أولاً ومن ثم إلى الآخرين، فلا هو يستطيع أن يتقبل ذاته، ولا الآخرون يتقبلونه؛ لأنه يدرك أن سلوكاته مكروهة وضارة، ولكنه لا يستطيع أن يتخلى عنها.

والآن، ماذا تفعل المربية إزاء هذا الطفل وأمثاله من الأطفال الذين يفدون من منازل متشددة، وغير متسامحة، ومملوءة بالمشكلات والمشاحنات، وتعتمد



أسلوب العنف مع الأطفال بأشكاله المختلفة، هل تستمر في معاقبة هؤلاء الأطفال أم ماذا؟.

الاتجاهات في هذا الموضوع ربما تكون متباينة، وربما ترى بعض المربيات أن التعامل مع هؤلاء الأطفال صعب جداً، وأن التنظير غير الفعل، ولابد من العقاب في بعض الأحيان.

إن الاتجاه الحديث الذي بني على نتائج دراسات وأبحاث علمية بالإضافة إلى خبرات ميدانية يشير إلى ميل معظم الدارسين والمربين إلى ضرورة إهمال السلوك الخاطئ واتخاذ موقف اللامبالاة حيال هؤلاء الأطفال، وتعزيز السلوكات الإيجابية التي تتبدى عنهم بين الحين والآخر، إلى أن يدركوا أن هذه السلوكات دون سواها هي المطلوبة والمرغوب فيها، وهي التي تنال رضا المربية واستحسانها (٢٠).

وحقيقة الأمر أن المسألة غاية في الصعوبة، فالأطفال ليسوا نسخًا من بعضهم، ولا توجد قاعدة واحدة تنطبق عليهم جميعهم، بل حتى لا توجد قاعدة أو نمط واحد من المعاملة يصح مع الطفل باستمرار.

المطلوب إذن هو «التنويع في أساليبنا بين التسامح، والتغاضي، والإهمال، والترك، والعقاب غير المؤذي نفسياً أو جسدياً للسلوكات غير المرغوب فيها في بعض الأحيان التي لا تنفع فيها الأساليب الأخرى، وتعزيز السلوكات الصحيحة والمرغوب فيها، وإن كانت قليلة؛ لأن كل طفل يكاد يكون حالة خاصة، وما ينطبق على زيد قد لا يصح على عمرو» (٢١).

د ـ تقبل الذات وعلاقته بالبيئة المجحفة:

بعض الأطفال يأتون إلى الروضة أو المدرسة من أسر ثرية جداً من الناحية المادية، وتحتوي بيوتهم على مقتنيات فاخرة ومتميزة غالية الثمن، وبعضهم الآخر يأتي من بيوت أقل غنى أو من منازل ربما تكون فقيرة من الناحية المادية.

غير أن الأطفال الأسوياء من جميع البيئات والمستويات، لهم حاجات أساسية لا غنى عنها، إنهم جميعهم بحاجة إلى الحب والحنان والتقدير والاحترام، ولديهم جميعهم إمكانات تكوين الشخص المناسب السوي وفرص تحقيق النجاح، ومن ثم تحقيق الذات.

والسؤال المطروح هنا، هو كيف تتعامل المربية مع هؤلاء الأطفال؟ وكيف تلبي حاجاتهم؟ ... إن الإجابة تعتمد إلى حد كبير على مدى تقبلها لهم، ولعالمهم الطبيعي، ولظروف معيشتهم، فإذا كانت تنظر إليهم باستهجان واشمئزاز، فإن ذلك سينعكس على إحساسها وشعورها نحوهم، وعلى مبادلتهم إياها هذا الإحساس. أما إذا تقبلتهم على أنهم يستحقون الرعاية والحب وأنهم قابلون للتعلم والتطور، فعليها أن تبحث عن الأشياء الجميلة فيهم، وأن تعاملهم بعيداً عن ظروفهم المادية الخاصة، وبذلك يمكن أن تزرع بذور اعتبار الذات وتقديرها في نفس كل طفل.

تقبل الآخر

ترتبط معرفة الذات وتقبلها بمعرفة الآخر وتقبله، فالطفل الذي لديه الثقة بنفسه يثق بالآخرين، ويرغب في الانطلاق نحوهم والانفتاح عليهم، يأخذ بيد غيره ويعرفه بذاته وعالمه الخاص، كما يرغب في أن يدع الآخرين يدخلونه إلى عوالمهم، ويعرضون عليه مشكلاتهم الخاصة، وبهذه الطريقة تكمل الدورة نفسها ويتحقق التوازن المنشود (٢٢).

ولا شك أن التزمُّت والتعصب والانغلاق على الذات وغيرها من العوامل الأخرى التي يمكن أن يكتسبها الطفل من البيئة تعيق تقبل الآخرين له، فمثلما يتعلم الأطفال الاحترام والتقبل بإمكانهم أن يتعلموا نقيضهما، أي التزمُّت والتعصب والتحقير ـ ومن هنا تكون مسؤولية المربين في رياض الأطفال كبيرة ودقيقة جداً، وعليهم أن



للمربية دور كبير في مساعدة الأطفال على التفاعل

يدركوا أن تقبل الآخر يرتبط بعدة متغيرات يجب أخذها في الحسبان أهمها:

أ. تقبل الآخر وعلاقته بالثقافات المتنوعة (داخل البلد الواحد):

في إطار الثقافة العامة الجامعة للبلد الواحد يمكن أن توجد ثقافات فرعية متباينة بعض الشيء، فهنالك، إلى جانب ثقافة أهل المدن، ثقافة أهل الريف، وثقافة أهل البادية. وتوجد في بعض الأحيان أقليات قومية إلى جانب القومية الأصلية تقطن في هذا البلد أو ذاك، وهكذا يمكن أن نجد عادات وتقاليد، ومعايير وطرائق حياة، ولهجات محلية متفاوتة بعض الشيء. وعندما يلتقي الأطفال في الروضة بإمكانهم أن يلاحظوا هذا التفاوت بسهولة؛ وعلى المربية أن تتفهم وتستوعب كل الأطفال، بغض النظر عن عاداتهم وتقاليدهم ولهجاتهم وانتماءاتهم الثقافية المختلفة.

إن موقف المربية واتجاهاتها العادلة والمتكافئة نحو الأطفال تساعدهم على التفاعل فيما بينهم، وعلى تهيئة أجواء يشعرون فيها بالطمأنينة والتوادّ والتحابّ.

ب. تقبل الآخر وعلاقته بالمستوى الاجتماعي والاقتصادي:

يعمل الناس في مهن مختلفة ومجالات متعددة، ويتفاوتون في مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية، في السكن واللباس، في الغذاء واقتناء الحاجات، وينعكس ذلك على أطفالهم مباشرة ... وعندما يذهب هؤلاء الأطفال إلى الروضة أو المدرسة يكون بإمكانهم أن يلاحظوا هذه الأمور، وربما يهتم بعضهم بالشكل على حساب المضمون .. وهذه الاهتمامات والاتجاهات تنمو في الأسر أولاً قبل قدومهم إلى الروضة .. وربما تجد أن هذه الأمور قد تعززت وترسخت عند الأطفال بشكل أو بآخر، وهنا تكون مهمة المربية أصعب، إذ عليها أن



تتفهم هي أولاً وتتقبل كل الأطفال بشكل متساوٍ؛ وذلك بغض النظر عن لباسهم ومظهرهم الخارجي، وعليها كذلك أن تنقل هذه الأفكار إلى الأطفال وتعلمهم أن الإنسان يجب أن يمتزّ ويفاخر بذاته وإمكاناته وأخلاقه أكثر مما يفاخر بمظهره الخارجي أو السيارة التي يركبها أو الأشياء الثمينة التي يمكن أن يحضرها معه بين الحين والآخر.

كلمة أخيرة

إن ارتقاء مفهوم الذات ومفهوم الآخر عمليتان لا تتمان دفعة واحدة، بل تتحققان خطوة خطوة وبالتدريج، وعندما تكون الفرصة والظروف مهيأة لذلك. ولكي تنمو مشاعر الأطفال وأفكارهم، ولكي تتطور وترتقي، ينبغي أن تتاح لهم فرصة المحاولة والتجديد، وأن يهيأ لهم المناخ المناسب الذي يستوعب الطفل، ويفتح له ذراعيه ويحتضنه، بدلاً من أن يصدّه ويقيده. وتستطيع الروضة أن تهيّئ الفرصة لمشاعر الأطفال كي تنسجم وتتفاعل بعضها مع بعض، حتى يمكن للفهم الحقيقي أن يأخذ مكانه ويسير في مجراه الطبيعي.

ولابد من الإشارة أخيراً إلى أنه، كلما ارتقى الشخص في فهم ذاته وتقبلها، وفي فهم الآخر وتقبله، تمتّنت العلاقة التعاونية والودية بينه وبين الآخر.

المراجع الهوامش

١- «البحث عن الذات»، إيفوركون: ترجمة غسان نصر، دار معد للنشر والتوزيع، سورية، دمشق ١٩٩٢م.

٢- «علم النفس الاجتماعي»، حامد عبد السلام زهران، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ١٩٧٧م.

٣- «في علم نفس النمو»، سعدية محمد علي بهادر، دار البحوث العلمية، الكويت، ط٤، ١٩٨٦م.

4- Ames,I.B: The Development of the Sense Time in the Young Child. J.Gent Psychol,1994,168.PP.97-125.

٥- المرجع السابق.

6- Flavell. J.H.: The Development Psychology of Jeanpiaget. Princeton: Van Nostrand 1963.

٧-٨ المرجع السابق.

٩- «اللعب لدى طفل الروضة»، أمل الأحمد، دراسة قيد النشر لمصلحة الاتحاد النسائي، دمشق، شعبة رياض الأطفال ١٩٩٨م.

١٠- في علم نفس النمو، مرجع سابق.

11- Ames,I.B:

١٢- «دور المعلم المرشد في مفهوم الذات وتحقيق الذات»، محمد خطاب، الزونروا، اليونيسكو ١٩٨٦م.

13- Maslow, A.H: Motivation and Personality. 2nd Edition. New York, Harper and Row Publishers. 1970.

١٤- المرجع السابق.

15- Felker,D.W.Bulding Positive self- Concepts Minneapolis Burgess Publishing co. 1974.

١٦- المرجع السابق.

١٧- اللعب لدى طفل الروضة، مرجع سابق.

١٨- «مساعدة الطفل على تقبل ذاته وتقبل الآخرين»، هلين جيلهام ل، ترجمة محمد عبدالسلام أحمد ، القاهرة، نيويورك ١٩٦٤م.

19- Felker,D.W

٢٠- اللعب لدى طفل الروضة، مرجع سابق.

٢١- المرجع السابق.

٢٢- مساعدة الطفل على تقبل ذاته وتقبل الآخرين، مرجع سابق.

زفرة وطن

عبدالله بن سليم الرشيد

الرياض ـ السعودية

وطن هو الشمس الرؤو ... م يحوط طارفه تلادهْ

وطن تنَوّر مجدُه الـ ... ـهامي وأسلمه قيادهْ

يلتمّ قطباه على ... نور وتاريخ وسادهْ

ما كان إلا مورد الـ ... ظامي ومنبلَج السعادهْ

تسفي عليه الريح ـ حا ... قدة ـ فيطعمها عنادهْ

شاخت على سمعيه أسـ ... ـئلة المخبِّين المعادهْ

النائرين الثائرين ... النافسين له السيادهْ

فأشاح عن نار البسو ... س ولم يُخِضْ فيها جيادهْ

وأفاض نعماه. أما ... أصلتْه أعوام الرمادهْ؟

الحرّ يجلده الزما ... ن، فلا يرى إلا الجَلادهْ





عــودة الحــب

ذياب بن صخر العامري

مدينة السلطان قابوس ـ سلطنة عُمان

تُعيدينَ لي نَفْحًا من الحُبِّ عاطِرا
وَطَيْفًا تَوارى من زَمانٍ وهاجَرا
وأيّامَ وَصْلٍ ما ظَنَنتُ سَتَنْقَضي
سَريعًا وأنَّ الشوقَ قَدْ مَرَّ عابِرا
وذكرى عُهودٍ للوداد جَميلةً
فَكَمْ قد رَعَيْناها وما زلتُ ذاكِرا
تُعيدينَ لي بَدءًا من الحُبِّ حالِمًا
وَعَهْدَ لِقاءٍ كانَ بالوَجْدِ عامِرا
على مُنحنى الوادي وكُنْتِ بَديعَةً
وكنتُ كمَسحُورٍ يُقاومُ ساحِرا
هُنالِكَ إذ عَيْناكِ بالحُبِّ باحَتا
فَصارتْ خَوافي الْحُبِّ تَبدو ظَواهِرا
هُنالِكَ إذْ ذُبْنا حَنانًا وَرِقَّةً
وَحَيْثُ تَماهَيْنا هَوًى وَمَشاعِرا
وميعادَنا الثّاني وكُنتِ بَهيجَةً
تُبيحينَ أسرارًا وَحُبًّا مُجاهِرا
تَحُلّينَ في دَربِ الْغُروبِ غَضارَةً
فَتُخْصِبُ ساحاتُ الْمَساءِ نَواضِرا
وَتَخْضَلُّ واحاتُ الغَرامِ كَأنَّما
خُطاكِ لَها الوَسْمِيُّ يَنْهَلُّ ماطِرا
يَمُرُّ خَيالٌ مِنْكِ في كُلِّ ساعَةٍ
فَيُحْيي وَشيجًا بَيْنَنا وَأواصِرا
وَيَنْهَى عَنِ الهِجْرانِ إذْ كانَ ناهِيًا
ويَأمُرُني بالوَصْلِ إذْ كانَ آمِرا
وَيمْلَؤُني دَفقًا مِنَ العِشْقِ صافِيًا
وَيَمْنَحُني حَظًّا سَعيدًا وَوافِرا
وكنتُ وَصَدْتُ القَلْبَ عَن كُلِّ وارِدٍ
لكيلا يكونَ الوَجْدُ في القَلْبِ آسِرا
على أنّني للودّ ما زلتُ حافِظًا
ورغْمَ سنينِ البُعْدِ ما زِلْتُ صابِرا
وكنتُ حَسِبْتُ الحُبَّ كَالْغَيْمِ شأنُهُ
يَحُلُّ قَليلاً ثمّ يَنْأى مُسافِرا
إلى أن تَراءى لي خَيالُكِ مُلْهِمًا
يُعَمِّدُني لِلْعِشقِ صَبًّا وشاعِرا
إذا الْيومَ عادَ الْحُبُّ مِنْكِ مُجَدَّدًا
فَحُبُّكِ مُنْذُ الْبَدْءِ قَدْ كانَ آخِرا



خريف ... دون كلام

ألما عصام محمود

حلب – سورية



وطني .. يمتدّ بأعماقي
والغربةُ .. إيقاعٌ أزرق ..
الغربةُ حول الوقتِ ..
دمٌ .. وخريفٌ .. وخيام ..
وأنا .. بين الجسمِ،
وبين الحيِّز،
أغنيةٌ ثانيةٌ لا تغرق ..
هل تسمعني الأشجار إذًا ..؟
ناديتُ عليكَ،
وكان البحرُ،
صدايَ ..
وَرَجْعُكَ غاب .. كثيفًا
غابَ ..
وما .. عادت أشواقي
هل مكثتْ فيكَ الريحُ،؟
قرأتُ بأنّ المسكَ
تَناثرَ بين البحر وبيني
بين الرّيح .. وبينكَ
ما أمسكناهُ ..
قليلاً كان من الأحلامِ
كثيرًا كان من الأوهامِ
وكان هناكَ،
شتاءٌ قُربكَ يمضي
وخريفٌ ..
يتبع ظلّي دون كلام ..

قصائد قصيرة

عبدالحميد أمين جاسم

جدة ـ السعودية

دورة

آخر الليل
يتلاشى ضوءُ القمر
ويذوب في ضوء الفجر
الذي يحبو
نحو يومٍ جديد
ويغدو
الأرق القادم

جهنمية

تطلّ على نافذتي الوحيدة
تسقط أوراقها الصُّفُر على شُرفتي
وتبقي على أزهارها البرتقالية
تلوّن السماء الشاحبة
وحجرتي
واللحظة الهاربة
بلا مقابل
تُرافق وحدتي
في هذا الفضاء

عندما

الأرض الظامئة
والغيمة النديّة
تتهزان اللحظة العابرة ذاتَها
تتعانقان
تأسران اللحظة ذاتها
وتخلقان
الخصب
والإنسان

قيلولة

في صيف الصحراء
السحابة العابرة أمطرت
قطرات من ظلالها
وزهرات
تتكوّن في صمت
بين حبّات الرمال الظامئة
وحتى الربيع القادم





حرق الليل

سحر سليمان

الرقة - سورية

حاجة هي، وسيعة سعة الدنيا.

حاجتي إليك أو إليهم. ولربما لآدم وذريته أجمعين، قد تفي بطلبي وقد لا تفي، حاجة قد تكون عندك لحظات عابرة مثلما تعبر أشياء كثيرة بهدوء أخرس ودونما صخب، أما عندي فهي قرون من الأزمنة المعتقة التي تنز من جراحها دماء متخثرة، يتبرعم هذا الدم كأجراس حمراء صغيرة أو وشوم ذات أشكال متحولة، وفي الصباح يظهر على جلدي وجع، فأضيق بدمي، أود لو ألعقه قبل نهايتي.

لحظة هي أزمنة من عناقيد العذوبة والملح تمرّ بي، أنا الطفلة دائمًا، الشاحبة شحوباً صوفياً... فاصرخُ بلوعة خائفة..

- ما هذا يا أمي ؟

- هذا حرق الليل.

وأتلمس مكان إسواري الفيروزي فأجد مكانه خاليًا، فيقفز أمامي فنجان القهوة، ووجه أمي المعذب، هذه المرأة المكابرة، التي أشمّ من رائحة يديها الزيت والثوم وصابون الغار، وأرى لون عينيها أمامي يرتسم مساحة من البن الدافىء والضوء الكئيب الذي يظل مشتعلاً كشموع النذور، ترفض أنْ تفارق نارها قبل أن تذوب حتى النهاية، وهي بالتأكيد محزنة.

- وماذا بعد يا أمي؟

أنادي، وأحس أن صوتي غريب عنّي؟ فأذهل وأنا أحس بحاجتي الشديدة إلى يد تقودني إلى صدر أنهار عليه مثل شجرة هرمة لأذوب فيه، إلى غرفة دافئة في الشتاء لا تنز جدرانها، باردة في الصيف لا يشاركني فيها سوى رائحة أمي وقهوة أمي، وضحكة أمي، ودموع أمي التي تطهرني من كل مخاوفي، وإسوار أمي الذي أحسه عتقي، وبوصلتي ودمي الذي يحترق في الليل مثل حرق الخجل في الخدّ وحمرة وردة اللوتس.

- أية يد تصافحني؟

- يد آدم.

- وأية شمس تشرق عليّ؟

- شمس ابليس.

وكنتُ لحظتها، امرأة صغيرة وغضة مثل أوراق النعناع لا يكسوها سوى لون جلدها، تتفتح قبل الأوان لتواجه قيظ الظهيرة، وعطش الأرض، وكان صوت غامض مبلل بالماء والملح يناديني من بعيد والعالم يرتحل سربًا من اليمام، في المساء من الفيروز والذهب اسمه (الإسوار) الذي فارقتْ معصمي لتثير فيَّ كل هذه العواصف والأنواء.

- أنت نوة؟

- قالت أمي تسألني فأجبتها:

- نعم.

وتذكرت مواء القطط الجائعة في بيت جدي الكبير، وصراع الكنات والأبناء، ودليف السماء الذي يخترق جلد الحائط، والوسائد التي تفوح منها رائحة الذكريات والمطر وأنا أضع عليها كتبي ودفاتري وأتطلع إلى يوم مشمس ودافئ أخرج فيه إلى ساحة البيت ألتقط منه روحي الضائعة.

أغلقتُ باب الدار بيدى اليسرى، التي غالبية حركتي بها، وكأنَّني أتجه إلى غرفة الإعدام مع قوّة غامضة وأنا مغمضة العينين، ثم نزلتُ درج البيت وأنا لا أرى أيًا من



الكائنات الجوالة في الشارع، كانت الدموع غبشًا، يحجب كل شيء، وصوت زوجة أبي يطاردني كطلقات المسدس فيفقدني صوابي وإحساسي بالتوازن:

ـ أنت أيتها المهملة العنيدة.

ووجدت نفسي أدق باب منزل صديقتي وأنا أبحث عن أحد أقول له شيئًا، أبثُّه مصابي، وفاجأتني والدتها تقولُ إنها في المدرسة، فاليوم بداية العام الجديد، فلملمتُ دموعي، وتابعتُ طريقي، ومثل صخرة تركتُ نفسي تسقط بخفوت ودون صوت في بئر عميقة.

ـ ادرسي يا ابنتي، كوني قلعة مسوّرة بحصن متين، فالدراسة حصنك الحامي.

جاءني كلام أبي الذي أصرّ على متابعة دراستي إلى انتهاء الجامعة، تعويضًا له وهو الذي انقطع عن الدراسة باكرًا، بينما كانت أمي تريدني أن أكون موظفة، أية موظفة، تقف أول كلّ شهر أمام محاسبها لتقبض أجرًا يقيها شرَّ العوز والحاجة في هذا الزمان الخائن على حد زعمها.

أما أنا فكنت أحلم أن أكون معلمةً تعود لمنزلها وأثر الحوار ما زال عالقًا في بصمات أصابعها وحقيبتها ملأى بأوراق تلاميذها كأنها حرز وطلاسم، كمعلمتي أم عبودة التي كانَتْ تأخذني إلى حضنها حين تدخلني أمي غرفة الصف متأخرة كالعادة بعد معركة ضارية مع أبي الذي يأتي باكرًا لتوصيلي إلى المدرسة، ودائمًا تخرج منتصرة في حربها الصغيرة، ثم تأخذ معلمتي في ترتيب ثيابي وشعري وتمسح دموعي وتقودني إلى المقعد بلطف وتقول:

ـ اجلسي ياشاطرة وانتبهي.

كانت حرب أبي حربًا قديمة، بدأت بمنازعات عادية ثم تطورت بعد ميلادي فكونها ولدت أنثى زاد الأمر سوءًا ليتوج في النهاية بالطلاق، هذا الوحش الخرافي الذي يمد أذرعه الطويلة ليهدم بيوتًا سعيدة دون رحمة أو شفقة، واليوم حين أسأل نفسي:

ـ لماذا حدث كل ما حدث؟

لا أجد جوابًا شافيًا، فأسكت على مضض.

تعبت أمي كثيرًا كي تعيلني.

وكانت ترفض الخطّاب الذين يتقدمون بطلب يدها في البداية بإصرار عنيد وكانت تردد:

ـ حظي وقد جربته والحظ إذا مال لا يتعدل.

وتمضي في عملها، وكانت تستغرق فيه، وكأنها تراه الطريق الوحيد للهرب من واقعها المؤلم، ومن عذابات روحها الحساسة التي كتب القدر عليها أن تعاني وتحترق قبل أوانها.

ـ يا اللـــه أنت العارف لا أحد غيرك يعرف.

هكذا كانت تنادي الله، تحتمي به في لياليها السود وأيامها العاصفة كما يحتمي الصديق بالصديق وتشدني إلى صدرها، فأسمع نبض قلبها الموجوع، يدق في أذني الصغيرة كطائر جريح، وبين لحظة ولحظة تساقط دمعها المالح على خدي فأتظاهر في النوم حتى لا أفسد عليها طقسها الليلي فتسأل:

ـ هل نمت؟

وتتابع صمتها، وينتشر دفء غامر حولي، يغرقني في نشوة الخدر، ويتصاعد صوتها بأغنية حزينة، تصور عذاباتها وخوفها ولوعتها، بينما تتراقص أضواء القنديل وتفوح منه رائحة الكاز الخانق في المكان الموحش.

ـ هل نمت .... ها؟

وتنحني عليّ لتطبع قبلة حارة على خدي الشاحب

فيتورد بدفء الحب والحنان وأرحل في غيبوبة طويلة.

ومع الأيام ضعفت أمي فرضيت بالزواج هربًا من جحيم البيت الكبير، بيت جدي، هذا البيت الوسيع العتيق، فزوجات أخوالي ما عدن يحتملن الوضع، فأنا وأمي نسكن أكبر غرفة فيه، بينما يتوزع على الغرف الأخرى، أخوالي الثلاثة مع أبنائهم، وقد بات البيت أشبه بثكنة عسكرية صغيرة، يعمره الصخب والصراعات والأطفال والنساء، وليلة جاء أبي لاستلامي منها، بكت كثيرًا وأول مرة أراها منكسرة وحزينة وكنت أقبلها، وهي ترتب ثيابي وفي كل مرة كنت أقبلها، كان لخدودها طعم التفاح الناضج، وأما اليوم فقد خالطت الملوحة هذا الطعم، فأين ذهب التفاح؟ وتضمني أمي إلى صدرها وتجهش باكية، وهي تتلمس ضفيرتي ووجهي وأنا أبكي لملوحة خديها وكأنني سأهاجر إلى وطن بعيد.

ـ البنت جاهزة؟

سأل بصوت خفيض، حاول أن تكون نبرته عادية، وأول مرة أراه رقيقًا يبتسم بتهذيب وود وكانت ابتسامته تخيفني لما تحمله من معان غامضة وباردة.

ـ البنت جاهزة.

قالت أمي بصوت مخنوق وهي تخرج إسوار الذهب المطعم بالخرز الفيروزي من صندوق زفافها الموضوع في زاوية الغرفة يخمد فيه كجثة جانب أحلامها وخيباتها التي باتت خردة الزمان وضعت الإسوار في يدي وأوصتني بالحفاظ عليه فهو ذكرى من أمها فقد ألبستها إياه ليلة زفافها وهاأنذا أزف اليوم بعيدًا عنها وتريد أن تكون لها ذكرى عندي تحميني من عيون الحاسدين.

وحين خرجت إلى الشارع كان المطر يتساقط، فتدخل حباته جلدي، فأحس بالبرودة تنغرس في عظامي، كل عظامي، والضياع يحاصرني فأنا أمضي إلى مكان مجهول قد يكون بيت أبي، لكنني لا أشعر بالألفة أو الحماية فيه.

كان المطر يتساقط وكم أكره المطر، أكرهه أكثر مما كرهت زوجة أبي فيما بعد. فقد كان هذا المطر سببًا لعذاباتنا أنا وأمي، فهو يبلل عشائي حين تحضره أمي من المطبخ البعيد عن غرفتنا، وكانت قطراته تحرمني من النوم حين يتسلل إلى فراشي وهي تدلف من السقف الخشبي الهرم، فتنهض أمي لتضع تحت كل نقطة تسقط صحنًا أو ماعونًا كبيرًا وكانت غرفتنا مفروشة بحصير مجدول من أوراق الزل وببساط من الصوف المشغول يدويًا، يزهو بألوانه الجميلة، وفي وسط الغرفة ليلاً يمد فراشي الذي تحيط به الوسائد الكبيرة التي تضعها أمي على مدار جدران الغرفة المبنية من حجر الفخار التي تمتص مياه الأمطار لتوزعها على شكل بقع من الرطوبة ذات ألوان كامدة ومخيفة على الجدران الجصية البيضاء.

وهذه الوسائد كنت أضع عليها كتبي ودفاتري بعد أن تراجع معي أمي دروسي، كما كانت تضع عليها أمي قطرتي الأذنية ومرهم التحسس الجلدي الذي تدهن به وجهي وجسدي الذي أدمنه حرق الليل.

وكنت أسأل:

ـ لماذا لا يأتي حرق الليل هذا إلا في الليل يا أمي؟

ـ لأنه كاللص، يأتي ليلاً ولا نراه إلا في النهار، والجسد يحتاج إلى مثل هذه الحروق، فهو كالمدفأة فهل تعمل دون منافذ تخرج منها دخانها؟ وحرق الليل هو دخان هذا الجسد.

وهكذا كلما نمت جاءني الخوف والحزن والأشباح لتقبلني قبلات حارة، وفي الصباح أجد مكان هذه القبلات بقعًا حمراء كبيرة، يتعاظم حزني على حال أمي حين اراها امام «بابور الكاز» وهو يمد ألسنة النار الوحشية فأرتد مذعورة، بينما لا تتحرك أمي، هذه المرأة التي لا تخاف النار، ولا أحس بالراحة إلا حين تتضاءل ناره وتتحول إلى جرس دائري أزرق كالقندريس البري.

وبعد أن يسخن الماء، تغسل جسدي بالماء والصابون في عتبة الغرفة ثم تلبسني ثيابي وتدثرني في فراشي وتنهمك في تنظيف الغرفة التي ننام فيها، ثم تنظف الحوش الكبير



بالماء والصابون تحت المطر أحيانًا وأنا أسمع صوت حركتها وأراقبها من النافذة التي كنت أستعملها أرجوحة يحسدني عليها الجميع، وكل ذلك حتى لا تسمع كلمة من إحدى نسوة أخوالي.

ونمت ليلتها في بيت أبي.

ونمت وحيدة، وكان أبي قد اشترى لي ثوبًا، وخاتمًا ذهبيًا ولعبًا طالما حلمت بها، وكان عزائي في إسواري، فلم تعد هناك أصابع أمي لتمسد ضفيرتي وتسرح شعري قبل النوم.

وفي الصباح حين استيقظت كانت .. خصلة كبيرة من شعري قد سقطت على الوسادة، ولما أوصلني أبي إلى باب المدرسة تلفت وأنا أبحث عن أمي فلم أجدها، فدخلت وشعرت أني أضيع وسط الزحام ولم أفق إلا على صوت معلمتي أم عبودة في الصف.

أخرجني من بئر أحزاني صوت جارة صديقتي تقول: تفضلي، انتظريها عندي.

- لا. شكرًا.

وكانت ذاكرتي جاهزة لتمرر آلاف الصور والكلمات والمواقف العابرة والراسخة هكذا دون صوت ملامح ذاكرة لها أرشيف زئبقي ترفض أن أمسك بها. وأنا ضائعة وإسواري ضاع هو الآخر، وصوت زوجة أبي يتردد:

- لن تدخلي هذا البيت إلا والإسوار معك.

- الإسوار إسواري وقد ضاع.

- أيتها المهملة العنيدة، لن تدخلي هذا البيت من دونها.

وكنت أعرف أن ضياع الإسوار يسرها أكثر مما يزعجها، ولكنها وجدتها فرصة لطردي من البيت لإذلالي وإهانتي، أنا التي طالما كنت صامتة خرساء لا أرد على استفزازاتها بغير نظرة احتقار.

وأول مرة منذ دخلت البيت أجد الدمع ينفجر من عيوني أنا التي كانت متحجرة العيون، وآنست نفسي بالدمع، وعاودني طبعي القديم، عاودتني روح أمي المتمردة وهي تردد أغانيها الكردية التي تقول بأنها امراة حزينة مكسورة تندب حظها وبختها ووحدتها، وتنادي الله برقة وألم ومثل زوبعة صغيرة دخلت غرفتي، أغلقت بابها، وهلّ المساء زارني حزني القديم وصديقي الدائم، وفي الصباح حين أفقت كان جلدي موشومًا مرة أخرى بحرق الليل.

ألم أقل لك: إنها حاجة ... إليك أو إليهم ولربما لذرية آدم، إنها حاجة إلى إنسان أثرثر معه، ونحن نشرب القهوة فتطفر الدموع من عيوني الحجرية مرة ثانية ويرحل عن جسدي حرق الليل إلى الأبد.



المداهن

موسى بن عبدالله البوكري

جدة ــ السعودية

الكلّ يحبّني، ويلتفّ حولي. والكلّ يحبّ أن أبقى معه ... زوجتي كثيرًا ما تصارحني بحبها لي ... أصدقائي يمتدحونني في وجهي وفي غيابي ... إنني ببساطة اكتسبتُ محبّتهم بمداهنتهم.

فالكلمة الجارحة أخبّئها في طيات نسياني. والتصرف الجارح لا أبادله بتصرفٍ جارح وأوافقهم في كلّ شيء. حتى عندما يُغضبني صديقي أقابله و كأنما لم يحدثْ شيء.

أحدهم قال لي: أنتَ ضعيف الشخصية ..

فسألته: لماذا؟

فقال: لأنك لا تدافع عن كرامتك عند من يستهين بها.

فأجبته: إنها الحياة العصرية ... فمن يقدّم نفسه على إخوانه وأصدقائه سيخسرهم جميعًا ... وأنت هل تكسبهم عندما تثور ضدّ من أغضبك؟

فأجاب: ربّما ... لا ...!

فقلت: لذلك لا أرى لك أصدقاء كثيرين ...

قال: لا يهم ... فقط أشعر براحة نفسية ... إن الذي لا يبادلني تقديرًا بتقدير، وتوقيرًا بتوقير؛ لا حاجة بي إليه.

قلتُ: قد تحتاج إليه ...؟

قال وهو يولّي: ذلك آخر يوم في حياتي أيها المداهن !

فكّرتُ في كلامه ... صحيح أنني أحصل على ما أريد، ولكن إساءاتهم التي تلحق بي، إلى متى ستبقى في العقل الباطن أو ما يسمونه باللاشعور

في صبيحة أحد الأيام أخبرتني زوجتي أنني صحتُ في حلمي .. وبدا عليَّ الغضب .. بل تجزم أن الجفال بدا على شفتي السفلى مما يعني غضبًا ثوريًا. واستفهمتُ عن السبب؛ فأخبرتها: «إن رئيسي بالعمل اتّهمني بالقصور على الرغم من إخلاصي الشديد لأني طلبتُ إجازة لمدة يومين .. ولم يكتف بذلك بل أخذ يتدلل عليّ! ثم انتهرني وشتمني .. داريت الإهانة، وابتسمت في وجهه .. وبعد أن أخذت الإذن بالإجازة الاضطرارية ... قال لي صديقي السابق: «أنا لو كنت مكانك لم أدعه حتى تتولاه لجنة التحقيق .. أليس لك شعورٌ يا رجل؟! ... ألاتثار ..؟!». ابتسمت في وجهه ومضيت».

فلما علمتْ زوجتي بذلك بدا عليها الاستياء وقالت: إذن ستبقى على رأسي يومين .. لماذا فعلتِ ولمَ لا تفعلين .. أنصحك أن تداوم في المقهى ..! ولكنني في هذه المرة لم أبتسم والتزمتُ الصمت والتفكير.

أحسستُ في هذا اليوم بالملل والضجر. آه كم هو تعيس ذلك الذي يبلع الإهانة ويقابلها بابتسامةٍ صفراء!! إنني لا أحقد على أحد .. ولكن إلى متى سأظل أتلقّى الشتيمة تلو الشتيمة .. ويتحكم من حولي بي دون أن أقدّم لهم اعتراضًا جميلاً؛ إذا كان تحكمهم ضدّ مصالحي.

قررت أن أقرأ القرآن .. «ودّوا لوتدهن فيدهنون». هذه الآية من سورة القلم ما زالتْ ترنّ في أذني .. لأرى ما كتبه ابن قتيبة في كتابه (الشعراء) عن ذي الرمّة. إنه يقول عنه : «إنه لم يكن هجّاءً..». ولكن ما بال هذه الأبيات تستوقفني كأنها تعنيني ..

وأمثل أخلاق امرئ القيس أنها
صلابٌ على طول الهوان جلودها
وما انتظرتْ غيّابها لعظيمة
ولااستُعمرت في جلّ أمرٍ شهودها
إذا مرئياتٌ قد حللن ببلدةٍ
من الأرض لم يصلح طهورًا صعيدها



ياالله! هل أنا كما قال ذو الرمّة عن امرئ القيس ؟.. وهل سينتهي حالي إلى حال المرئيات ..؟ أعوذ بالله من هذا!.

ومضى يوما الإجازة وأنا غارق في التفكير لم أستطع أن أنام بهناء أحسستُ من جرّاء ذلك بصداع مرير.

وتركت الملفات والأضابير تتأمّل نفسها من طول الانتظار ..

لم يجرؤ أحدٌ أن يسأل ما بي .. إلا رئيس المكتب الفظّ ..

ـ ما بالك؟

ـ إني تَعِب.

ـ بل كسول .. قم ياغبيّ إلى عملك .. ليس هذا مكان النوم بل مكان عمل .. أسمعتَ يا عفن؟

رفعتُ بصري في وجهه .. تراه يعني حال المرئيات؟!

ـ وترفع بصرك في وجهي .. يالك من وقح!

ولم يتدخل أحد.

ولكنه دهش عندما وقفتُ أمامه أتنفس الصعداء، وعيناي حمراوان.

ـ لا بد ..أنك شربت مسكرًا ...!

ـ بل سأشرب من دمك إنْ لم ترحل عن وجهي ..

ـ عجيب، منذ متى أصبحتَ شجاعًا ؟!

عدتُ إلى شيءٍ من هدوئي.

ـ أقول لك .. إنني تعب ألا تفهم ؟

رفع يده، وأخذ يربّت خدّي وهو يقول:

ـ لا بأس يا حبيبي .. لكن لا تنم هنا ياروح أمك؟ .. حتى لا يصدر منك أمرٌ شائن على ثيابك وأنت نائم..

ولم أنتظر سماع ضحكات الزملاء.. لأني رفعت يدي وهويتُ بها بكل أنفةٍ و كبرياء وصفعته على وجهه.

وجم الجميع وصمت رئيسي .. إلاّ أن صديقي السابق الذي نبزني بالمداهن كان يرقب الموقف بحذر.

ومنذ تلك اللحظة لم أعد مداهنًا.

ردود...... وتعقيبات

صفعتا «البترول وحديث النقم»

تحية من أعماق القلب إلى كل من يساهم بصدق وإخلاص ووعي في مرضاة الله بنشر الفكر الطيب عبر مجلتنا الراقية، التي تمثل بالنسبة «لنا» نحن المثقفين الإسلاميين بصفة خاصة، الزاوية المضيئة والممتلئة عشقًا للحياة الإسلامية.. ففي زمن تتوالى فيه النكبات والخروج عن سياج الوحدة المنشودة والتوحد المجتمعي، ترانا نسرع إلى أول بقعة ضوء تجمع شملنا وتوحد ثقافتنا وتنمي وعينا، لأنها الأهم في مسيرة الوحدة المجتمعية تحت مظلتنا العربية والإسلامية. هذه البقعة بلا مجاملة (الفيصل) الأكثر حضورًا وإشراقًا في عالمنا العربي الإسلامي الكبير، نتلقفها لننهل من بين سطورها كل ما يفيدنا في حياتنا دينيًا وعلميًا وفكريًا وسلوكيًا.

و«حيث» أننا لم ننقطع مرة واحدة عن قراءة كل عدد يصدر منها، فإن لنا بعض الملاحظات على العدد (٣٢٢) ولا شك أن ما سنذكره من ملاحظات هو في المقام الأول «نابعًا» من غيرتنا وحبنا لهذه المجلة، وحرصنا على نقاء الهدف وسلامة الألفاظ والمصطلحات التي تتوجه بها إلى جيل عربي بلغته المقدسة لغة القرآن الكريم، وهو الجيل الذي نتمنى أن تتحقق على يديه عدة «مهام» على طريق الوحدة الإسلامية العربية الشاملة.

فقد «جذب نظرنا» في هذا العدد موضوع «البترول وحديث النقم» للأستاذ خالد حسن.. ومن يقرأ هذا العنوان قبل أن يخوض في التفاصيل، يتصور أن الكاتب مس الوتر الأكثر حساسية في حياة كل الناس اليوم، وأنه سيقدم حلولاً أو يطرح بعض التصورات الجديدة لها، لكن القارئ يصفع على وجهه (وقفاه) معًا، فالصفعة الأولى جاءت على الوجه عند مطالعة ما فيه من تكرار ممل، وضعف في المحتوى والمعلومات القديمة، والسرقة الأدبية، والدليل أن كل ما نشر في هذا المقال، منقول بفصه ولحمه وشحمه وفواصله ونقاطه بل «بنفس أخطائه المنشور بها في المقالات المنقول عنها التي تتسم بعدم الدقة في لغتها العربية.. وسنبين ذلك تفصيلاً بعد قليل.

أما الصفعة الثانية التي جاءت على (القفا) «هي» تلك الأكاذيب التي انطوى عليها المقال من كاتبه عندما ذكر في ص (٨٣ ف٣) وقال بالحرف الواحد «وتحضرني هنا قصة واقعية توضح التأثير الضار لمثل هذه المركبات، ففي ٢٨ ديسمبر عام ١٩٩٣م شطحت إحدى السفن الضخمة على إحدى جزر الشعاب المرجانية بمحمية رأس محمد بجنوب سيناء...»، فإن هذه الفقرة جاءت على لسان مؤلف كتاب «التلوث: مشكلة اليوم» المذكور كمرجع ثان من مراجع الكاتب، إلا أن الأمانة العلمية تقضي بأن يكون الكاتب نزيهًا عند ذكر ما هو منسوب إلى غيره ولا ينسبه «إلى» نفسه، فإذا فعل فهو سرقة أدبية تفقده مصداقيته، ثم إن عمره في ذلك الحين لم يتعد سن الطفولة حسبما هو معلن عن سيرته الذاتية، فكيف رأى أو عرف تلك القصة إلا من أصحابها الذين أنكرهم ونسبها إلى ذاته؟، هذا بخلاف أن «محتويا» المقال شملت الكثير من الأخطاء التي لا يجب أن يقع فيها أي فرد، بالإضافة إلى تكرار المعلومة الخطأ عدة مرات في مواقع مختلفة مما يدل على أن النقل تم دون إدراك وتمييز. فكيف لمجلتنا الموقرة، أن تنخدع بدس السم في العسل؟ والانخداع بالعناوين القوية البراقة التي لا تصيب ولا «تدوش».. يتعين إذن على المسؤولين عن المجلة عدم نشر هذا النوع من الكتابات الضعيفة التي تضر القارئ ولا تنفعه، وإليكم الآن بعض الأخطاء الواردة في المقال:

- هذه المركبات لا تتكيف معها البيئة، وصوابها: (إن البيئة لا تتكيف مع شيء وإنما الشيء هو الذي يتكيف مع البيئة...)
- إما في.. وإما في.. وإما في الأرض، وصوابها: (تجنبًا لتكرار حرف إما وحرف في وعدم الملل منهما، ولاستخدام أكبر قدر من المفردات الصحيحة المتوافرة في اللغة الجميلة. يجب القول (إما في.. أو.. أو الأرض وقاع البحار).
- وقد تظهر آثار سامة في منطقة الحادث.. وتظهر بذلك آثارها السامة في منطقة الحادث، (هنا نجد نقلاً مباشرًا،


البترول وحديث النقم

- والتي، والصواب: (التي).
- فقد كان.. فقد أحدث.. وهنا (ضعف في استخدام أدوات اللغة (فقد كان.. حيث أحدث..).
- وقد قدر، والصواب: (وقدر).
- وتحتاج إلى مئة عام، والصواب (وستحتاج إلى مائة عام؛ لأنها في المستقبل).
- والتي لها القدرة، والصواب: (التي).
- وقد حضرت منها.. ولقد تم استخدامها والصواب: (وتم استخدامها بدون ولقد).
- وقد استحدثت، والصواب: (كما استحدثت).
- والتي لا تذوب في الماء، والصواب: (التي «بدون» الواو).
- والمتسببة، والصواب: (المتسببة «بدون» الواو).
- فوجد أن، والصواب: (وجد أن «بدون» الفاء).
- لنوع من سرطان الثدي، والصواب: (لنوع من أنواع سرطان الثدي).

في ختام المقال تحدث عن البكتيريا والفطريات وخلط بينهما، وكأنهما «شيئًا واحدًا»، على الرغم من الفوارق العلمية والطبية الكثيرة غير المشتركة بينهما، ثم فجأة انتقل من الحديث عن دور الفطريات المحورة في كنس قاع البحر من المركبات البترولية، معلنًا أن الأبحاث توصلت إلى إنتاج أو اكتشاف «ترياق» من المضادات الحيوية أثبتت نجاحها في تقليص مرض سرطان الثدي..

هكذا دون أي سند أو تفسير علمي ودون توضيح «مكان أو زمن أو أسماء» العلماء، أو المركز أو المعهد أو الجامعة البحثية التي توصلت إلى تلك «المضادات» الحيوية وليس مضادًا واحدًا، فالمعرف أن المضاد الحيوي الواحد يحتاج «لسنين» من البحث والجهد العلمي والتجريبي من العلماء، فما بالكم بمضاد للسرطان؟

إننا نتعجب حقيقة من كاتب يتصدى للقضايا العلمية دون أن يمتلك أو يعرف أبسط المصطلحات، فهو حينما لا يعرف فرق الكثافة بين الزيت والماء ويكرر هذا الخطأ عدة مرات دون إدراك لهو دليل فاضح على أنه لا صلة له بالعلم من قريب أو بعيد. أوليس ذلك دليلاً على أنه لا يجيد سوى القص واللصق من المجلات دون وعي أو فهم؟ ألا يسيء ذلك للمجلة قبل القارئ حين تعتمد الذين يسطون على جهود

فتكرار الجملة يجعل التعبير ركيكًا، والأفضل لغويًا أن تستبدل الجملة الثانية بـ «مسببة الآثار» السامة).

- الاختلاط بما تحتها، فيكون منها نوع جديد، والصواب (فيتكون منهما، أو يتكون منهما، أو مكونة منهما وليس فيكون).
- نوع جديد من المستحلبات ينتشر فيه الماء في الزيت. (معروف علميًا أن الزيت أخف من الماء، ولذلك فإنه يطفو على سطح الماء ولا ينتشر فيه)، «ورغم» أن الكاتب يزعم أنه«دراس للكيمياء» لم ينتبه لهذه المعلومة الكيميائية «الهامة»، لأنه ينقل «نقل مباشر» وخطأ. والدليل أنه نقل عن مصدر «آخر» في ص٧٧ القول بأن البحارة شاهدوا كتلاً يميل لونها إلى السواد تطفو على سطح الماء .. كما أن التعبير نفسه ركيك والصواب أن يقال (ينتشر فيه الماء الملوث بالزيت).
- ويمكننا أن نتعرف حجم، والصواب: (نتعرف إلى حجم، أو على حجم).
- إشعال الآبار نتج عن سحابة، والصواب (نتج عنه سحابة. وشتان الفرق بين المعنيين).
- أنها تبتعد ٣٠٠٠كم، والصواب (أنها تبعد).
- لإدخالنا لمركبات التفتيت في البيئة البحرية والتي..، والصواب: (مركبات التفتيت «بدون حرف ل.. التي بدون حرف و»، لأنه لم يسبقه حرف إشارة سابق، لتعطفه عليه أو نوصله به).

الآخرين بأخطائهم دون بذل أي جهد ولو في تصحيح ما ينقلونه نقل المسطرة؟

نكتفي بهذا القدر من الأخطاء وهي قليل من كثير احتوته تلك المقالة، بل كل كتابات هذا الكاتب فيما نشرته الفيصل له توصف بضعفها الفكري واللغوي، وشيء مؤسف أن يكون كاتب يحمل اسمًا مسلمًا ويفتقد «امتلاك ومعرفة» قواعد اللغة التي يكتب بها، «ناهيك عن تكرار العديد» من العبارات الخاطئة.. فكيف فات ذلك على هيئة تحرير المجلة؟.

أيضًا واضح تمامًا أنها لغة صحف يومية أو «جرائد» لا تصلح لمجلة شهرية، فالتركيب اللفظي ضعيف والتعبير «ركيكًا»، وهكذا دواليك يا سيدي تتوالى الأخطاء في كل فقرة من المقال، ولا نظن أبدًا أن المراجع التي ذكرها هي ما استعان بها فعلاً، إنما هي لغة جرائد، وكما ذكرنا أن ما هو منقول عن موضوعات صحفية يومية - تتم قراءتها «أثناء» تناول ساندويتش الإفطار في عجالة لا تسمن ولا تغني من جوع - ولا يصلح لغة لمجلة شهرية قيمة فالمقال منقول بلغة «الجرائد» اليومية التي تفتقد إلى المراجعة اللغوية كثيرًا، ولأنه هو أيضًا يفتقد امتلاك أدوات اللغة والكتابة، ولأنه يقوم (بالقص واللصق) دون وعي أو فهم فهو يسيء لكم ولنا وللعقل العربي، فبالله عليكم يا سادة، هل تلك طريقة فكر أو كتابة أو طرح صحيح لقضية خطيرة؟، يجب أن يعلم أنه ليس من الأخلاق الحميدة أبدًا الحصول على مكافآت النشر بأي طريقة وأي هرطقة.

إنه جهل بين، وسرقة مفضوحة للمعلومات دون فهمها وخلطها بمعلومات أخرى مناقضة لها بعيدة عن المفاهيم الصحيحة والأسس السليمة، لذا وجب احترام التخصصات وعدم السماح لأحد بتشويه صورة اللغة والعلم والعقل العربي في أذهان القراء أو تزييف الحقائق العلمية أو تشويهها في عقولهم. وهذا السلوك إن دل فإنما يدل على فقدان الأمانة العلمية وعلى الاستهتار وأحيانًا حشر جمل وبيانات غير صحيحة.

إننا نرى أن هذه الحالة من أدعياء تبسيط العلوم المغرضين والمتسللين إلى ساحة (الفيصل)، تمثل خطورة على العقل العربي والمسلم، وينبغي لنا الحذر منها، بأن نؤكد «على» ثقافتنا العربية الصحيحة التي تنطلق من قيم لغتنا الجميلة.. وإذا كان الإسلام «دين» يدعو إلى التفكير الإيجابي والموضوعية والواقعية منطقًا وفكرًا وسلوكًا فإن ضعف الحاضر الثقافي لبعض الكتبة الذين يتسللون بالزور والبهتان إلى عقولنا يحتاج إلى إعادة «التقيم» واليقظة ومنع أي قلم مغرض من تفريغ سمومه على صفحات (الفيصل). والغريب أن لديكم كتّابًا متخصصين يثرون المجلة بكل ما هو دسم ومفيد، فلماذا لا تنشرون موضوعاتهم الرصينة السليمة لغويًا وفكريًا والمفيدة للإنسان العادي والمثقف. نرجو أن تحترموا عقول قرائكم .ونعتذر إذا كنا قد سببنا أي حرج أو إزعاج.

وفقكم الله ودمتم .

د. فارس زين الفحام

مشرف عام الجمعية العلمية الوطنية التونسية

التحرير:

نشكر لكم مشاعركم الكريمة تجاه «الفيصل» كما نشكر لكم متابعتكم واهتمامكم بدقة وسلامة الهدف والألفاظ والمصطلحات انطلاقاً من غيرتكم وحرصكم على «الفيصل»، وما ينشر فيها، ويسرنا أن نعدّ ما ورد في رسالتكم وجهة نظر متفردة نقدرها ونحترمها ونشكركم عليها، ولكنكم عند تصحيحكم ذكرتم الخطأ والصواب ولم تذكروا التعليل العلمي لهذا الصواب المصحح ، وكنا نتمنى لو عللتم بالدليل أسباب ترجيحكم للعبارات اللغوية البديلة التي رشحتموها مع الدليل على أسباب اعتراضاتكم العلمية لبعض أفكار الموضوع، والواقع أن الناحية العلمية قيمت قبل النشر من قبل محكمين على درجة من التخصص في هذا المجال، وقد وصفوا المقال بأنه كتب بأسلوب مبسط خال من المعادلات المعقدة والكلمات الرنانة وبأنه ذو تحليل علمي جيد بالنسبة إلى أسباب التلوث وعلاجاتها كما أثنى المحكمون على توثيق المقال ومراجعه العلمية .

نأمل التلطف بمراجعة أحكامكم على المقال على ضوء أدلة وتعليلات موثقة، توضح كل انتقاد، لنتمكن من اعتماده بالشكل الواعي الذي رغبتم منا انتهاجه حرصا على نفع القارئ وعدم الإضرار به، كما ذكرتم ، آملين أن تتقبلوا وجود وجهات نظر أخرى نحترمها.

وبالنسبة إلى الملاحظات اللغوية التي ذكرتها، نعلق عليها بالآتي:

- ذكرتم عدم جواز تكرار إمّا ويجب القول إما في أو. والصواب: وجوب تكرارها كما ذكر في القرآن الكريم: إمّا

شاكرًا وإمّا كفورًا. إما منّاً بعد وإما فداءً. انظر مغني اللبيب ج١ ص ٦٣.

- ذكرتم أنه ينبغي (فيتكون منها) وليس يكون والصحيح في كتب اللغة أن: يكون بمعنى يتكون تمامًا ومعناهما يحدث.
- قلتم بخطأ (ويمكننا أن نتعرف حجم ...)، وأن الصواب (نتعرف على حجم أونتعرف إلى حجم)، والصحيح أن تعرّف تتعدى بنفسها. قال في لسان العرب: وعرّفه الأمر أعلمه إياه، وعرّفه بيته أعلمه بمكانه وتعرّفت ما عند القوم أي تطلّبته حتى عرفت .. وفي الوسيط: تعرّف ما عند فلان: تطلّبه حتى عرفه. وتعرفت إلى فلان: جعلته يعرفني فليس في المعجمات: تعرف على. حتى تعرف إلى قليلة الورود؛ لأن الفعل تعرّف غالبًا ما يتعدى بنفسه.
- ذكرتم أن من الخطأ القول (إنها تبتعد ٣٠٠٠ كم)، وأن الصواب تبعد. وكلمة تبعد وتبتعد لها المعنى نفسه فلا فرق بينهما قال في الوسيط: ابتعد: بعُد.
- قلتم بخطأ (لإدخالنا لمركبات التفتيت في البيئة البحرية). وذكرتم أن الصحيح هو(مركبات التفتيت بدون حرف اللام)، وهذا جائز في النحو، وهذه اللام تسمى لام التقوية أو لام التعيين؛ لأن المصدر أضعف في الفعل فيقوونه بهذه اللام. انظر مغني اللبيب ٢٣٩/١.
- ذكرتم أن (فقد أحدث) خطأ وأن الصواب (حيث أحدث)، وهذا غلط؛ لأن حيث لا تستعمل إلا للمكان. وقد درج الناس على استعمال حيث للتعليل كما يفعل المحامون عندما يقولون: حيث أن المادة ....
- خطأتم عبارة (وتحتاج إلى مئة عام). وذكرتم أن الصواب (وستحتاج؛ لأنها في المستقبل). مع أن المعروف أن الفعل المضارع يدل على الحال أو الاستقبال.

وتعميمًا للفائدة نشير إلى بعض الأخطاء الوارد في رسالتكم الكريمة والتي وضعناها بين قوسين « »داخل النص:

- بالنسبة لنا، والصواب: بالنسبة إلينا.
- وحيث أننا، والصواب: وبما أننا.
- ولاشك أن ما سنذكره هو في المقام الأول نابعًا، والصواب: نابع.
- عدة مهام ، والصواب: عدة مهمات.
- جذب نظرنا ، والأحسن: لفت نظرنا.
- بنفس أخطائه، والصواب: بأخطائه نفسها.
- أما الصفعة الثانية هي، والصواب: فهي.
- المذكور كمرجع ثانٍ، والصواب: مرجعًا ثانيًا.
- ولا ينسبه اى نفسه، والصواب: ولا ينسبه إلى نفسه.
- أن محتويا المقال، والصواب: أن محتويات المقال.
- أن تستبدل الجملة الثانية بـ (مسببة الآثار السامة)، والصواب: أن تستبدل بالجملة الثانية (مسببة الآثار السامة) لأن الباء في تستبدل تدخل على المتروك.انظر الوسيط: (بدل).
- ورغم أن الكاتب، والصواب: وعلى الرغم من أن الكاتب، أومع أن الكاتب.
- أنه دراس للكيمياء، والصواب: أنه دارس الكيمياء.
- الهامة، والصواب: الأحسن: المهمة.
- لأنه ينقل نقل مباشر، والصواب: لأنه ينقل نقلاً مباشرًا ...
- نقل عن مصدر أخر، والصواب: آخر.
- حيث أحدث، والصواب: فقد أحدث.
- بدون الواو، والصواب: دون واو، أو من دون واو.
- وكأنهما شيئًا واحدًا والصواب: وكأنهما شيء واحد.
- توضيح مكان أو زمن أو أسماء العلماء....، والصواب: توضيح مكان العلماء أو زمانهم أو أسمائهم.
- يحتاج لسنين، والصواب: يحتاج إلى سنين.
- نتعجب كيف لكاتب أن يتصدى، والصواب: نتعجب من كاتب يتصدى.
- يفتقد امتلاك ومعرفة قواعد اللغة، والصواب: يفتقد امتلاك قواعد اللغة ومعرفتها.
- ناهيك عن تكرار العديد، والصواب: فضلاً عن تكرار عدد من أو كثير من (ناهيك للتعجب) ولا تستعمل في هذا الموضع.
- والتعبير ركيكًا، والصواب: والتعبير ركيك.
- لغة جرائد، والصواب: لغة صحف.
- أثناء تناول، والصواب: في أثناء تناول.
- نؤكد على ثقافتنا، والصواب: نؤكد ثقافتنا (أكد لا تتعدى بعلى).
- وإذا كان الإسلام دين يدعو، والصواب: وإذا كان الإسلام دينًا يدعو.
- التقييم، والصواب: التقويم.

توبـــة النصـــوح

سمير عبد الحميد إبراهيم

الرياض - السعودية



توبة النصوح
نذير أحمد الدهلوي
الهند: ١٨٧٧.ط١

تعد رواية «توبة النصوح» للأديب الهندي نذير أحمد الدهلوي نموذجًا للأدب الهندي الكلاسيكي، وهي تقدم مادة علمية وأدبية تخدم الباحثين المتخصصين في الدراسات الأدبية المقارنة.

صدرت طبعتها الأولى في الهند عام ١٨٧٧م، وقد نالت منذ صدورها حتى اليوم شهرة لم تنلها رواية أخرى في الأدب الأردي، والدليل على ذلك أنها لا تزال تطبع بكثرة حتى يومنا هذا، وتجدر الإشارة إلى أنها ترجمت إلى اللغة الإنجليزية، وصدرت في لندن عام ١٨٨٤م، ثم صدرت لها طبعة ثانية عام ١٨٨٦م مع حواش ومعجم، وقد منحت الرواية الجائزة الأولى لفن الرواية آنذاك.

ولد نذير أحمد مؤلف رواية «توبة النصوح» في بجنور بشمال الهند سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م، درس على يد والده، كما درس مع أقرانه في الكتّاب على عادة أهل زمانه، ودرس على يد بعض العلماء أيضًا، التحق بكلية دهلي سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٦م.

في سنة ١٢٧١هـ/١٨٥٤م عمل مدرسًا في إحدى مدارس الكجرات، وبعد سنتين عمل مفتشًا للتعليم، لكنه ترك هذه الوظيفة ورحل إلى دهلي، ولم يكد يصل هناك حتى اندلعت الثورة ضد الإنجليز في عام ١٨٥٧م.

بعد أن أخمد الإنجليز الثورة، تقلد نذير أحمد وظيفة في إله آباد بواسطة بعض المسؤولين الإنجليز، وهناك سنحت له الفرصة لدراسة الإنجليزية والعمل في الترجمة، ثم انتقل إلى حيدر آباد عام ١٨٧٧م ليسهم في وضع مناهج التعليم هناك.

بدأ نذير أحمد الدهلوي حياته الأدبية في حدود سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٨م حين نال جائزة على روايته «مرآة العروس»، ثم جائزة أخرى على روايته «توبة النصوح»، كما نال لقب شمس العلماء، ونال درجات علمية من جامعة أدنبره، وجامعة البنجاب. وفي سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م ترك

وظيفته مفضلاً الانتقال إلى دهلي، قانعًا بمعاش شهري قدره ٦٠٠ روبية، ليبدأ حلقة ثانية من حياته الأدبية بكتابة عدد من الروايات، وعدد من المؤلفات الدينية التي بدأها بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية.

كتب نذير أحمد عددًا من الروايات هي على التوالي: «مرآة العروس»، و«بنات النعش» (وهي الجزء الثاني للرواية السابقة)، و«توبة النصوح»، و«المحصنات» أو «أفسانه مبتلاً»، و«ابن الوقت»، ورواية «رؤيا صادقة»، وأخيرًا رواية «الأيامى».

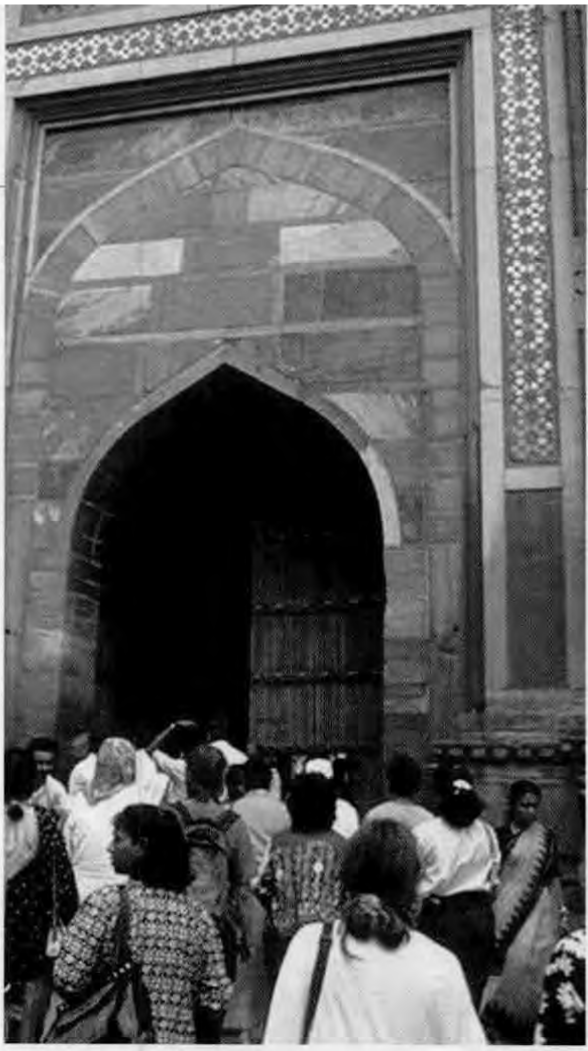
رواية توبة النصوح

اهتم نذير أحمد بتعليم المرأة، وجعلها هدفًا لكتاباته الروائية، وفي رواية توبة النصوح تناول مسألة تربية الأولاد، فبعد ثورة التحرير التي قامت في الهند ضد الإنجليز، تغيرت تركيبة المجتمع، وبدأ عصر الصناعة والتجارة، فصور نذير أحمد المساوي الاجتماعية التي ظهرت في أعقاب هذا التغير الاجتماعي انطلاقًا من فكرة الحفاظ على القيم الإسلامية. ويعدّ نذير أحمد أول من كتب في موضوع المرأة في الأدب الأردي، وهو من أولوياته، وظل هو الوحيد الذي يكتب عن المرأة في شبه القارة مدة نصف قرن تقريبًا، حتى جاء الأديب راشد الخيري فكتب عن المرأة في مؤلفاته.

كما يعدّ نذير أحمد أيضًا أول من كتب رواية أردية بصرف النظر عن الأمور الفنية النقدية، ويُذكر أن الروائي الثاني بعده هو بندت رتن ناته سرشار الذي طبع «أفسانه آزاد» في حلقات في ديسمبر /كانون الأول ١٨٧٨م في جريدة «أوده» ثم طبعها كاملة في كتاب سنة ١٨٨٠م، إلا أن مرآة العروس لنذير أحمد طبعت قبل «أفسانه آزاد» بعشر سنوات، كما أن روايته الثانية بنات النعش طبعت أيضًا قبل رواية سرشار المسماة «أفسانه آزاد».

أما رواية «توبة النصوح» فتعد من أحسن ما كتب نذير أحمد من روايات باعتراف جميع النقاد، ومن العجيب





أن أي رواية أردية بل أي كتاب بالأردية لم يلق مثل هذه الشهرة التي لقيتها هذه الرواية.

ترجمت الرواية إلى لغات الهند المختلفة بعد صدورها بسنوات قلائل، كما ترجمها المستر كيمبسن إلى اللغة الإنجليزية، ونشرت الترجمة في لندن سنة ١٨٨٤م، وفي عام ١٨٨٦م طبعت الترجمة الإنجليزية مرة أخرى مع حواش ومعجم.

نالت الرواية اهتمام أدباء كل عصر، ونقاد كل زمان، بإبراز محاسنها، وكتب الأدباء المعاصرون عن الرواية، كما درسها الباحثون في رسائلهم الخاصة بالدكتوراه. وأشار الشاعر الأديب فيض أحمد فيض إلى انفراد نذير أحمد بما كتبه في رواياته من واقعية، وإن كانت واقعية محدودة؛ لأنه كتب عن قضايا عامة المسلمين، ذلك لأن الصراع الاجتماعي الذي ظهر فيما بعد لم يكن موجوداً في زمانه، أما البروفيسور عبدالقادر سروري فذكر في كتابه «دنيائي أفسانه(ج٢)» أي عالم الرواية «أن أحداً من كتاب الرواية الأردية لم يصل إلى ما كان عليه نذير أحمد من حيث استقراؤه للفطرة الإنسانية، وهكذا كان أهم عنصر في رواياته هو رسم الشخصيات، وأوضح مثال على هذا يمكن مشاهدته في رسم صورة ناطقة لكل من نصوح، وابنه كليم وزوجته فهميدة.

وهناك قضية مهمة، يتعرض لها الأدباء في كل مكان، وهي قضية الاقتباس، أو التأثر، فمثلما حاول بعضهم في أدبنا العربي مثلاً إرجاع أصول قصة زينب لمحمد حسين هيكل إلى الأدب الفرنسي، قائلين: إن محمد حسين هيكل تأثر في أثناء إقامته في فرنسا ببعض الروايات الفرنسية، فصاغها بالعربية مع تغيير الخلفية إلى الريف المصري، ومن بين هؤلاء النقاد والباحثين ذكر الدكتور عبدالحميد إبراهيم في كتابه الرواية العربية والبحث عن جذور ما يأتي:

«رواية زينب، التي يعتبرها النقاد رواية في الأدب العربي الحديث.. توجهت نحو النموذج الغربي تستلهمه المضمون والشكل، وكانت النتيجة أن قرية زينب تحولت إلى قرية من قرى سويسرا أو فرنسا وأن زينب نفسها أصبحت نسخة شبيهة ببطلات الروايات الغربية.. وتنتهي الرواية في جو رومانسي حزين يقترب إلى جو الروايات الرومانتيكية التي كانت شائعة في فرنسا في ذلك الحين، ولاسيما رواية إسكندر ديماس (غادة الكاميليا)».

وقد حدث الشيء نفسه في الأدب الأردي، ففي معرض البحث والتساؤل: هل قلد نذير أحمد الروايات الإنجليزية الصادرة في القرن التاسع عشر؟ ذكر الدكتور محمد صادق الذي ظل يبحث عن مصادر نذير أحمد الإنجليزية في رواية (توبة النصوح) أن الرواية ربما تكون مستوحاة من حكاية الرواية الإنجليزية The Family Instructor للمؤلفة دانييل دي فو، وحجة الدكتور محمد صادق أن نذير أحمد كان على معرفة بأحد القساوسة الأوروبيين، الذي أهداه الرواية المذكورة، إلا أن السير وليم ميور



الحاكم السابق للمقاطعة الغربية في الهند (حالياً يو بي) يذكر في مقدمة الترجمة الإنجليزية لتوبة النصوح (يوليو/ تموز ١٨٨٤م) بالحرف الواحد ما يأتي:

«وهذه الرواية لا بد أنها نتيجة ضرورية للتأثر بالأفكار الإنجليزية، لكنها ليست أبداً مأخوذة من كتاب إنجليزي».

تقدم نذير أحمد عام ١٨٧٣م بهذا الكتاب ـ بناء على إعلان من الحكومة الإقليمية ـ للاشتراك في مسابقة عن التأليف، وبناء على ترشيح المستر كيمبسن مدير التعليم في المقاطعات الغربية والشمالية في الهند (تعرف اليوم باسم يو بي) اقترح منح الكتاب الجائزة الأولى وقدرها ألف روبية.

اعتراضات على ترشيح توبة النصوح للجائزة

تلخصت الاعتراضات على ترشيح توبة النصوح للجائزة الأولى في أن الكتاب لا تنطبق عليه شروط الجائزة، وكان هناك شرط فحواه ألا يتناول الكتاب موضوعات دينية، لكن المستر كيمبسن، بعد مطالعته للكتاب مطالعة دقيقة، اطمأن إلى أن المؤلف انتبه إلى هذا الشرط، فلم يدرج في كتابه ما من شأنه إثارة العصبيات الدينية، أو المساس بمشاعر من لا دين لهم، وما ذكره من أمور تتعلق بالدين يمكن أن يستفيد منها أيضًا من لا علاقة لهم بالدين.

وقد أوضح السير وليم ميور في مقدمته للترجمة الإنجليزية أنه يتفق مع رأي المستر كيمبسن فكتب الآتي:

«وأنا أتفق مع رأي المستر كيمبسن، فهذا الكتاب لا يفيد المسلمين فقط بل سيستفيد منه القراء الهندوس والنصارى أيضًا، ويمكن للقارئ أن يلاحظ الحوار بين فهميدة زوج نصوح والابنة الصغيرة حميدة، فهو حوار فطري طبيعي ومؤثر جداً، وأي رجل مهما كان دينه لا بد أن يتأثر إذا ما قرأ هذا الحوار.. وهذا الكتاب إضافة عظيمة إلى الأدب الأردي، وسوف يحقق شهرة وقبولاً ليس فقط بين الأمة المسلمة لكن أيضًا بين الأمم الأخرى في الهند.. وهذا الكتاب مهم؛ لأنه يعرفنا على القيم الطيبة في الدين الإسلامي، وعلى مبادئ الخير فيه، وهو ينشر مثل هذه القيم ويدعو إلى نبذ الشر..

وهذه الرواية لا مثيل لها فيما تناولته من أمور الدين، فالكتاب فريد من نوعه، ومختلف عن جميع مؤلفات المسلمين التي طالعتها، فالكتب الدينية المنتشرة بين المسلمين هي في عمومها من الكتب التقليدية، تدور حول أمور الفرائض، وموضوعاتها محدودة وقاصرة على العبادات، أما موضوع الإفادة من تعاليم الدين كعنصر فعال ومؤثر في الحياة الأسرية، فهو موضوع لم يطرقه المؤلفون المسلمون من قبل». انتهى.

ومن الجدير بالذكر أن رواية نذير أحمد هذه مثلها مثل جميع رواياته الأخرى، مرتبطة بالإصلاح الاجتماعي، تتضمن فكرًا منطقيّاً من نوع خاص، وطبيعة تميل إلى الإصلاح، فنذير أحمد استقرأ بعمق الحياة السياسية



والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية للمجتمع، وأظهر ارتباطًا عاطفيّاً عميقًا بهذه الحياة، ومن هنا رفع راية إصلاح هذا المجتمع، مستعملاً التأليف الروائي، ولهذا أوجد مكانة للرواية بين الناس، ولعل هذا كان هو السبب الرئيس في صدور عدد كبير من الطبعات لهذه الرواية.

تعد رواية توبه النصوح نموذجًا من الأدب الهندي الكلاسيكي، وتقدم مادة علمية وأدبية للباحثين المتخصصين في الدراسات الأدبية المقارنة، فبالإضافة إلى أن الرواية تعد أول رواية أردية، يلتزم فيها مؤلفها القواعد الفنية لكتابة الرواية باعتراف نقاد الأردية، فأسلوبها يصلح أن يكون مادة علمية تدرّس لطلاب اللغة الأردية وآدابها، سواء داخل الهند أو خارجها، وقد انتبه المسؤولون الإنجليز إلى هذه النقطة، في اختيارهم للكتب التي كانت تدرس للجنود الإنجليز القادمين إلى الهند، فنذير أحمد كتب روايته بأسلوب سهل، كما أن عباراته بسيطة، وهو يستعمل الألفاظ العربية والفارسية الرائجة دون تكلف، كما يستعمل الألفاظ الهندية في الحوار الداخلي، وهي ألفاظ شائعة بين المسلمين والهندوس على حد سواء، مما يجعل الرواية، كما ذكر مترجمها إلى الإنجليزية المستر كيمبسن، مفيدة لطلاب العلم.

والحقيقة أن أهم خصائص أسلوب نذير أحمد البارزة هو اختياره للألفاظ الموزونة، فهو حريص على التدقيق في اختيار الألفاظ، بل يستفيد من التأثير الصوتي لإيضاح المعنى، وقد يستخدم أحيانًا الألفاظ العامية المبتذلة للدلالة على مفهوم معين، لكنه في العموم يحرص على استخدام لغة أدبية شعرية.

ومن الناحية الفنية هناك بلا شك بعض المآخذ على رواية (توبة النصوح)، إلا أنها مع ذلك تمثل إبداعًا في المرحلة الأولى للرواية الأردية، وتعد - حسب رأي معظم النقاد - أساس فن الرواية في الأدب الأردي.

وإذا ما أردنا التعرف إلى مضمون الرواية وهدف المؤلف، فيمكن أن نقتبس بعض السطور التي وردت في مقدمة المؤلف إذ كتب ما يأتي:

«وهدفي من وراء هذا الكتاب هو أن أثبت للناس أهمية الأخلاق، وتعلم السلوك الحسن، وحسن المعاشرة، دون تخصيص ذلك على دين بعينه، مع أن فصل الخير عن الدين أشبه بفصل الروح عن الجسد، أو العبير عن الورد، أو النور عن الشمس، أو فصل الظفر عن اللحم، فالتزام تعاليم الدين أمر ضروري.

وفي بلدنا هذا (أي الهند) تتعدد الأديان وتكثر بحيث يمكن القول: إن كل إنسان له عقيدة خاصة، وكل شخص يرى الأمور بعينه هو، فبلاء التعصب قد حل بالناس، لدرجة أنهم أحيانًا قد لا ينظرون إلى ما قد يوجد في الأديان الأخرى من أمور طيبة ومن خير كثير، وإذا ما طلب منهم ذلك جعلوا أصابعهم في آذانهم.

والموضوع الذي كتبت عنه هذه القصة المفترضة «توبة النصوح» لا يخلو من روح الدين، وكذا طريقة الحوار التي

عرضتها لا تخلو من روح الدين، ولا يمكن أن تخلو من روح الدين، لكن لا يوجد داخل صفحات هذا الكتاب كله ما يسيء إلى أصحاب الديانات الأخرى.

وأسلوب الحياة الذي فرض على هذه الأسرة كان نموذجًا صادقًا ونموذجًا طبيعيًا، وهو نموذج فرض على كل أسرة في ذلك الوقت، كانت تدعي أنها تعيش بأسلوب (أرستقراطي) شريف، وبطريقة مهذبة.

ورئيس البيت أو رب البيت واسمه نصوح، ابتلي بوباء الكوليرا، وساءت حالته لدرجة أنه تأكد من أنه هالك لا محالة؛ ولأن الوباء كان قد أخذ بتلابيب ثلاثة من أهل البيت منذ أيام، ولأن الموت حمي وطيسه في المدينة، فإن ما ظنه نصوح عن حالته كان أمرًا عاديًا، بل كان ضروريًا.

والطبيب الذي كان يعالج نصوحًا أعطاه دواء منومًا، فنام نصوح وبعدها تحولت أفكاره السابقة وأفكاره المستقبلية إلى حلم عجيب، والحلم الذي رآه نصوح هو «روح» هذه الرواية: الحشر وصحيفة الأعمال، وعذاب حساب القبر، وعذاب جهنم، أي حالات يوم القيامة طبقًا لما جاء في تعاليم الإسلام.. وحين استيقظ تملكه الخوف والفزع، ونهض ليجد نفسه يرتعد ويرتعش.

وسوف يظهر لقراء هذه الرواية الأثر الذي تركه الخوف والفزع في نصوح، فقد رأى أن إصلاح نفسه بل إصلاح جميع أسرته فرض عليه وواجب، وهكذا عقد نصوح عزمه مع زوجه على أن يصلح جميع أفراد أسرته، وواجه عدة مصاعب، ومسائل كثيرة، لكن إرادته كانت قوية، وعزيمته كانت صادقة، ولأنه كان يمضي على طريق الحق لهذا انتصر، لكن بصعوبة بالغة، ونجح، لكن بشق الأنفس، فقد كان أولاده قد بلغوا عمرًا يجعل قيادتهم بل توجيههم أمرًا عسيرًا» انتهى.

وإذا وضعنا رواية توبة النصوح على محك النقد، فيمكن أن نلاحظ أن المؤلف اتبع أسلوب السرد الروائي، مستخدمًا في البداية ضمير المتكلم الذي يلغي المسافة بينه وبين القارئ، لكن صوت الراوي يتجدد ابتداء من الفصل الثالث حين يدير الحوار على لسان الزوجة مع العودة مباشرة إلى ضمير المتكلم، فالزوجة هنا هي التي تقوم بالسرد، وهذا يدل على أن المؤلف يفضل أن يكون صوت الراوي هو ضمير المتكلم، ونلاحظ أن الكاتب كان يلجأ أيضًا إلى الوصف، لكن هذا كان قليلاً، وكان بهدف إظهار الأشياء، ووضعها في إطار معين، لزيادة التأثير، أو تبادله، والحقيقة أن الوصف كان له أهمية خاصة في الرواية في القرن التاسع عشر الميلادي.

كما أشرنا كان للحوار دوره في رواية توبة النصوح، بل هي تقوم أساسًا على الحوار، ومن المعروف أن للمكون الحواري دوره الجوهري في إبداع الكلام، وهو ملتئم ببناء الرواية العام، وله قدرة متفردة على تشخيص الكلام المشحون بدلالات تنتهي إلى مجالات كثيرة.

والرواية تحاول تصوير الحياة، فنذير أحمد كان يعمل على تشغيل طاقته التخيلية، ليجعل من روايته فنًا إبداعيًا يجذب القراء، ومن هنا لجأ إلى تصوير الواقع من خلال البنية الحوارية المتعددة الأصوات، وإن أخذ عليه النقاد الإطالة أحيانًا، مما أثر في طبيعة الحوار من جهة، وفي تفكك الحبكة من جهة أخرى.

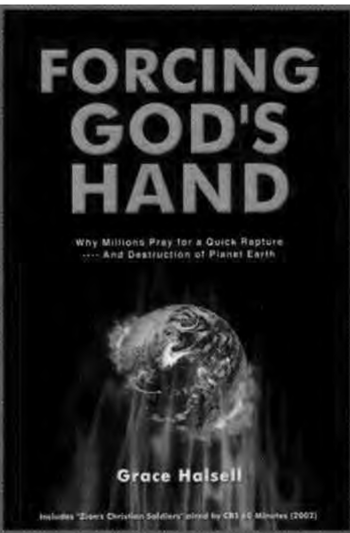
وعلى كل حال، حاول نذير أحمد أن يبدع رواية مشابهة للواقع، وكان هذا المفهوم نابعًا من طبيعة الوظيفة التي كانت تؤديها الرواية في أي أدب - عند نشأتها، وبالنسبة إلى نذير أحمد فقد كان يركز على عناصر التشويق اللازم في غياب وسائل التسلية، وروايته توبة النصوح قامت على تطور منطقي أو اطّرادي للأحداث المترتب بعضها على بعض، فحققت متعة متابعة القصة من نقطة إلى أخرى.

وتوبة النصوح رواية تسجل الواقع، وموضوعها الذي قدمه نذير أحمد هو الذي يحتل المكان الأول من الاهتمام، فالأحداث التي يصورها تشاهد كثيرًا في المجتمع الهندي إلى يومنا هذا.

يــد اللــه

محمد سيف حيدر

صنعاء - اليمن



يد الله
غريس هالسل
ترجمة: محمد السماك
القاهرة: دار الشروق ٢٠٠٠م، ١١١ص

السيدة غريس هالسل، كاتبة، وصحفية أمريكية، عملت في ستينيات القرن العشرين محررةً لخطابات الرئيس الأمريكي الأسبق ليندون جونسون. وقد ولدت السيدة هالسل وترعرعت في أسرة مسيحية محافظة، وتأثرت - من ثَمَّ - بالمفاهيم الدينية التي سيطرت على البيئة العائلية من حولها، وقد سبق لها أن أصدرت كتابًا في غاية الأهمية، هو «النبوءة والسياسة»، ألقت الضوء فيه على «الصهيونية المسيحية» كتيارٍ أصولي متطرف له نفوذه القوي في أوساط المجتمع الأمريكي.

والكتاب الذي بين أيدينا، يأتي متممًا - على نحو ما - لما تناولته المؤلفة في كتابها السابق، فإذا كان كتاب «النبوءة والسياسة» (١)، قد أوضح - بشكل لا لبس فيه - «أن الصهيونية صهيونيتان: الأولى والأساسية صهيونية مسيحية، والثانية يهودية»، فإن كتاب «يد الله» يبين «أن اللاسامية لا ساميتان: الأولى تكره اليهود وتريد التخلص منهم وإبعادهم بكل الوسائل الممكنة، والثانية تكره اليهود أيضًا غير أنها تريد تجميعهم - [لغرض عقائدي بحت] - في مكان محدد، هو فلسطين، ليكون هذا المكان مهبط المسيح في مجيئه الثاني المنتظر» (مقدمة المترجم، ص٨).

وكتاب «يد الله»، بكشفه لهذه الحقيقة، يجيب - كما يؤكد المترجم - عن علامة الاستفهام الكبيرة التي تلازم السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط منذ قيام الدولة العبرية، وهي لماذا تدوس الولايات المتحدة على بعض مصالحها الحيوية في المنطقة استرضاءً لإسرائيل؟، وكيف ولماذا تجعل أمريكا من الدولة العبرية، وليس من مصالحها ومبادئها العامة، الأساس الثابت لسياستها في المنطقة؟، ومن الذي يعمل على تعزيز هذا الثابت وتأكيده ورفعه إلى مستوى المقدسات؟

كانت إشكالية الكتاب الرئيسة - من وجهة نظر المؤلفة - تكمن في محاولته إعادة النظر في معنى أن تكون «مسيحية» ملتزمة (ص ١٢)، ومحاولته الإجابة عن بعض الأسئلة التي كثيرًا ما راودتها، ومنها: لماذا يصلي أصولي مسيحي مثل جيري فولويل - التلفزيوني الإنجيلي الأمريكي المعروف - من أجل نهاية العالم؟ وهل يجب على المسيحيين أن يدمروا هذا العالم تدميرًا كاملاً حتى يجدوا لهم مكانًا - خاليًا من سواهم - في «جنة جديدة وفي عالم جديد» ؟! (ص ١٢). وتكمن أهمية هذه الإشكالية في أنها قادتنا - من خلال محاولة المؤلفة

معالجة جزيئياتها - إلى دهاليز خفية يُدار في بعضها جزء من السياسة الخارجية الأمريكية - وهي السياسة التي تحكم مسار القوة العظمى الوحيدة في وقتنا الراهن وتوجهها - تجاه قضايا دولية شديدة الحساسية والخطورة، ومن أهمها قضية الصراع العربي - الإسرائيلي المستمر منذ زهاء نصف قرن، وفسَّرت بعض مدركات هذه السياسة، وكذا بعض الرؤى والانطباعات التي يتبناها بعض أهم السياسيين الأمريكيين تجاه هذه القضية. وفي هذا الإطار، قدم الكتاب الذي توزع في أربعة عشر فصلاً - كمّاً هائلاً من المعلومات المتعلقة بمدى تأثير حركات الأصولية المسيحية في الولايات المتحدة في المجتمع الأمريكي من ناحية، وفي النخب السياسية وصُنَّاع القرار في البيت الأبيض وفي الكونجرس من ناحية ثانية، ويمكن تنقيط أهم ما جاء في الكتاب أو «تفقيطه» - بلغة المحاسبين - كالآتي:

- الإيمان بعقيدة هرمجيدون (اسم الموضع الذي ستجري فيه المعركة الفاصلة بين قوى الخير بقيادة السيد المسيح وقوى الشر حسب الأدبيات المسيحية) يتزايد - بصورة لافتة - بين الأمريكيين (ص ١٤)، وشهرة عقيدة هرمجيدون تتجاوز ما يسمى «المعتوهين» لتصل إلى أرفع مستوى في السلطة الحكومية (ص١٨).
- عقيدة هرمجيدون بالغة الخطورة، وذلك لأنها «قاتلة ومُعدية» (ص ١٨- ٢٠).
- عدو المسيح، في اعتقاد الأصولية المسيحية، هو يهودي حتمًا (ص٣٤).
- روسيا - حسب التفسير الأصولي لعقيدة هرمجيدون - هي العدو الأول لإسرائيل (ص ٣١ -٣٢)، أما العالم العربي، فيُعد، إجمالاً، عالمًا معاديًا للمسيح (ص٩٢).
- إن الأصوليين المسيحيين، في الدرجة الأولى، مؤيدون لإسرائيل (ص٨٣)، وقد رأوا في قيام الدولة العبرية، تحقيقًا لنبوءة توراتية، كما أعلنوا أن ما حدث في عام ١٩٤٨م، كان بمنزلة إشارة تؤكد «أن ساعة النبوءات التوراتية تدق، وأن العالم يقترب بسرعة من الأحداث الأخيرة التي تقود إلى عودة المسيح» (ص٥٠ -٥١).
- يتعامل الأصوليون المسيحيون مع «التوراة» على أنها المرجع الوحيد للتاريخ، ولذلك فهم يحذفون ٢٠٠٠ سنة من تاريخ فلسطين، ويختصرونه بالوجود اليهودي فيها (ص ٦٢).
- آمن كل من الرؤساء الأمريكيين:جيمي كارتر ورونالد ريجان وجورج بوش (الأب) بنظرية «النشوة الدينية الكبرى»، وأشار كل واحد منهم إلى تجربته «كمولودة ثانية» (ص ٤٤)، وقد لوحظ أن معظم قرارات ريجان السياسية كانت مبنية على تفسيراته اللفظية للنبوءات التوراتية (ص ٩٨).
- اليمين المسيحي في أمريكا يقول: إن القانون الدولي يطبق على كل أمم العالم عدا إسرائيل (ص ٨٧)، و يُؤكد أن أمريكا إذا أدارت ظهرها لإسرائيل، فلن تبقى هذه الأخيرة كأمة (ص ٩٢).
- لا يزال الأصوليون المسيحيون لا ساميين بصورة عامة، من شدة «حب» معظمهم لإسرائيل، وهو الحب الذي يجعل اليهود مختلفين ومحكومين بالإبادة. مع ذلك لم يكن كل الأصوليين المسيحيين - وليسوا الآن - لا ساميين. فكما هو متوقع في كل جماعة، توجد اختلافات شخصية وسياسية بينهم، وهو ما يجعل التعميم خاطئًا وخطيرًا (ص٧٧).
- تشكل وزارة المال الأمريكية المصدر الأكبر لتمويل الحركات الأصولية اليهودية المتطرفة (أمثال: «جوش إيمونيم [كتلة المؤمنين]» وغيرها) والمستوطنات غير الشرعية في شرق القدس والضفة الغربية. ذلك أن مئات الملايين من دولارات الضرائب تُضخ إليها لبناء

مستوطنات غير شرعية، مع ما تتطلبه هذه المستوطنات من بنية تحتية مكلفة»(ص ٧٣).

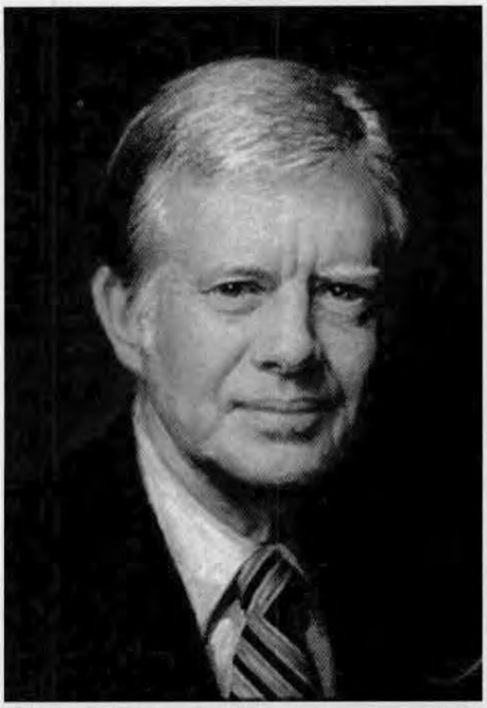
- يستطيع اليهود التعايش مع الأولويات المحلية لليمين المسيحي في أمريكا على الرغم من اختلاف وجهة نظر الليبراليين اليهود معهم اختلافًا جوهريًا؛ وذلك لأن هذه القضايا كلها ليست في مستوى أهمية إسرائيل (ص ٨٢).
- إسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تتمتع بامتياز يسمح لمواطنين أمريكيين أن يقاتلوا معها في حروبها (ص ٨٨).
- ينظر اليمين المسيحي في أمريكا إلى من يُصوِّت مع تحديد العضوية في الكونجرس، ومع تعديل الدستور بحيث يصبح من الصعب فرض ضرائب، ومع توفير النفقات الطبية ... إلخ، على أنه من «أهل العقيدة» (ص٩٩) .. وفي خاتمة الكتاب، ذكرت المؤلفة الصفات الأربع الأساسية للقدريين المسيحيين، وخلاصتها:
- هؤلاء الذين يبشرون بعقيدة هرمجيدون هم لا ساميون.
- النظرة الضيقة إلى الله وإلى غيرهم من البشر، فهم يعبدون إلهًا قبليًّا لا يهتم إلا بشعبين فقط هم اليهود والمسيحيون.
- الاعتقاد الجازم بأنهم يفهمون عقل الله.
- الإيمان التام بالجبريِّة، وعدم السعي لتغيير العالم نحو الأفضل (ص ١٠٩ ـ ١١٠) .. ثم خلصت المؤلفة إلى رفض العقيدة القتالية التي سَاعَدت الصفات الأربع المذكورة على تأصيلها في فكر اليمين المسيحي، ناصحةً، في الختام، الجميع بأنه «ومن أجل إيجاد «جنة جديدة و أرض جديدة» مع جيران يعيشون بسلام، نستطيع أن نجد في أي ديانة عظيمة وحقيقية كلمات تعلّمنا كيف نعامل الآخرين، كما نحب نحن أن نُعامل، أي: بعدالة ومساواة وتفهّم وعطف. إن كل واحد منا يستطيع أن يختار صفة خالقنا الإله الذي يريد أن يتبعه: إما إله الحرب، وإما إله الحب الكوني والسلام».

وبهذه الكلمات الأخيرة، توصلت المؤلفة إلى إجابة عن ذلك السؤال الذي شغلها طوال صفحات الكتاب، وهو: هل يجب على المسيحيين أن يدمروا العالم تدميرًا كاملاً حتى يجدوا لهم مكانًا في «جنة جديدة وفي عالم جديد»؟، وكان النفي هو الجواب الحاسم بالطبع!.

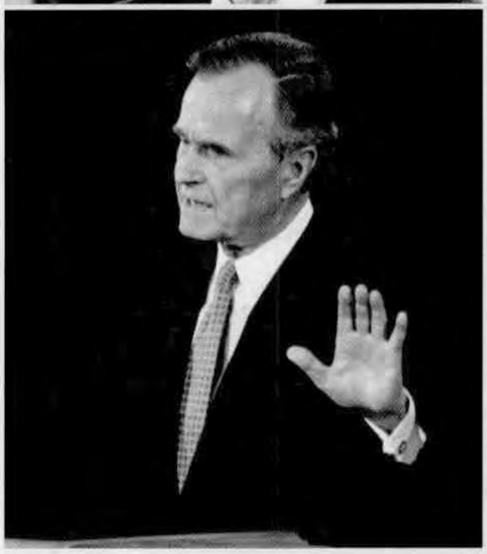
كلام في المنهج

لايستطيع القارئ المنصف أن يصف هذا الكتاب سوى أنه «كتاب جيد»، فقد استطاعت المؤلفة معالجة موضوعه بمهارة ودقة، فكانت أفكار الكتاب متسلسلة ومترابطة، وكانت مطروحة بموضوعية وحياد، فلم تظهر أي مقولة للمؤلفة ذات صبغة أيديولوجية جاهزة أو تضمين قيمي مسبق، ومع ذلك، لم يخل الأمر من بعض الملاحظات المنهجيه، سواء على صعيد المعالجة الموضوعية للكتاب، أو على صعيد عمل المترجم، ومن هذه الملاحظات:

- لم يُسَمِّ المترجم العنوان الأصلي للكتاب في طبعته الإنجليزية، بل نراه يقع في تناقض عجيب في مقدمته للكتاب، فهو، إذ يُقرر في مستهلها (ص ٧) أن عنوان الكتاب هو «يد الله»، ملازمًا العبارة بمقابلها الإنجليزي God's Hand، يرجع فيعترف (ص ٩) أنه على الرغم من التزامه «الأمين» بنقل الكتاب إلى العربية ـ تصرَّف في «ترجمة عنوان الكتاب فقط»، مسوغًا ذلك بـ «أن الترجمة الحرفية للعنوان قد لا تلقى ارتياحًا من الرقيب العربي»!!
- طغى الأسلوب الصحفي على معالجة إشكالية الكتاب. ويبدو أن ذلك يعود إلى طبيعة عمل المؤلفة


جيمي كارتر


رونالد ريجان


جورج بوش (الأب)

كـصـحـفـيـة. وعلى الرغم من ذلك، بدت المعـالجـة منظمـة وتراتبيـة وشـاملة، وإن خلت من التـأطيـر الأكاديمي الصارم لتفصيلاتها التي سادتها الذاتية والمباشرة، وإن لم تخل من الموضوعية والرصانة.

- أوردت المؤلفة الكثير من المفاهيم الدينية المسيحية، وقد كان بعضها غامضًا، لا يُفهم من الوهلة الأولى، وإن كان يتضح كلما أوغل القارئ في التفاصيل. وإذا كنا نعذر المؤلفة في ذلك - بسبب أن كتابها - في الأصل موجهٌ للقارئ المسيحي الغربي الذي يُدرك جيدًا طبيعة تلك المفاهيم ومعناها. فإننا لا نستطيع أن نعذر المترجم في ذلك، إذ كان عليه أن يحرص على إيضاح ماغمض في الكتاب، خصوصًا ما يتعلق بالناحية المفاهيمية.
- الكتاب مُوثَّقٌ، إجمالاً، إذ تعزو المؤلفة العبارات/ الآراء/ المعلومات التي تستشهد بها إلى مصادرها، سواء أكانت شفهية أم مكتوبة. بَيْد أن التوثيق/ الإسناد العلمي في الكتاب يُعاني خللاً ظاهرًا يتمثل في عدم التهميش، وذكر تفاصيل المصدر كاملاً، فالمؤلفة تكتفي بالقول: يقول (...) في كتابه (...). يضاف إلى ذلك، أن المؤلفة لم تشفع الكتاب بقائمة (الببليوغرافيا) التي يثبت فيها أسماء مراجع الكتاب كافة ببياناتها المتعارف على توثيقها.

وعلى الرغم من هذه الملاحظات، يبقى كتاب «يد الله» من المراجع القيمة والمهمة التي لابد منها لكل باحث في الشؤون السياسية أو الدينية، بل لعل الأستاذ محمد السمَّاك (مترجم الكتاب) لم يكن مبالغًا حين شدد على أن قراءته و «دراسته، واجبة على كل عربي مسلم أو مسيحي» يهتم بقضايا أمته المصيرية.

(١) جريس هالسل، «النبوءة والسياسة»، ترجمة محمد السَّماك، القاهرة: دار الشروق، ط ٤، ١٩٩٨م.

د. حسني محمود: شاعر المقاومة يجد في المدينة هويتـه

محـمـد رضوان سـليـمان
عمان - الأردن

رحل الدكتور حسني محمود عن دنيانا قبل أن يتسلم جائزة الملك فيصل العالمية التي فاز بها مناصفة مع الدكتور حسام الدين الخطيب عن موضوع «الدراسات التي تناولت الأدب العربي الفلسطيني الحديث في تاريخه أو كتبه أو رجاله أو قضاياه». وكان الراحل أستاذًا للأدب العربي في جامعة اليرموك الأردنية، وكان معروفًا بدقة مصطلحاته، وحرصه الشديد على أن يرتقي بذائقة طلابه النقدية والفنية إلى أرفع المستويات، وحين كان يزوره المرء في مكتبه أو بيته يجده متواضعًا، بل شديد التواضع، كما كان من أولئك الذين يعملون بصمت، فلا تجده يسابق أحدًا على الوقوف في دائرة الضوء. لقد كان مؤمنًا بأن العمل الجيد، سواء أكان إبداعيًا أم نقديًا سيجد سبيله إلى الظهور بشكل أو بآخر. بالإضافة إلى ذلك، فإن الدكتور محمود كان يحرص كل الحرص على الموضوعية والحياد في الدراسات والبحوث النقدية والأكاديمية، لذلك لم ينحز إلى شخص على حساب آخر، ولا إلى ظاهرة على حساب أخرى.

وهذا الحوار الذي أجري معه قبل رحيله بفترة قصيرة تكشف جوانب من رؤاه حول شعر المقاومة خاصة والأدب عامة.

❖❖ أنت أحد أبرز دارسي شعر المقاومة في الوطن العربي، الآن بعد أن رحنا نشاهد الشعراء ينكفئون إلى الذات ويتخلون عن قصيدة المقاومة بمعناها التقليدي، وربما غير التقليدي كيف ترون هذه المسألة؟

❖ من الطبيعي أن تخلق الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي وصلت إليها الأمة، وتعيشها في مرارة شديدة، حالةً من الإحباط النفسي الشديد. ربما ضعف الإحساس بتأثير الكلمة أمام الفواجع السياسية التي قلبت الموازين النفسية منذ صُلح السادات مع إسرائيل، مع ما تلا ذلك من انهيارات سياسية جُندت لدعمها قوى النظام العربي والعالمي بكاملها، مما فرض على المواطن والمواطنين مجابهة غير متكافئة، جعلت المواطن أمام المخططات الاقتصادية الجهنمية، يكاد ينصرف إلى مطاردة رغيف الخبز له ولأولاده، ويقوي مثل هذا الانصراف ضعف روح التعاون، وتفتت القوى الوطنية أمام توحّد كل القوى المعادية، محليًا وإقليميًا وعالميًا. ويعين على مثل ذلك الضّعف الخلل الفظيع المجحف والمخطط له، الذي يحكم النظام التربوي في بلادنا العربية عمومًا.

ذلك كله قد يُضعف الإحساس بتأثير الكلمة، وقد يُضعف الإيمان بجدواها، خصوصًا وقد وافق النظام العربي، ربما ضمن خطة موجهة ومتفق عليها، لتحميل الفلسطينيين مسؤولية قضيتهم بأنفسهم، منذ مؤتمر الرباط عام ١٩٧٣م ووضعهم، طائعين أو كارهين، أمام قوى عالمية عاتية، وربما يمكن القول إن فورة الانتفاضة الأولى لبضع سنوات وتجدد الانتفاضة الثانية، انتفاضة الأقصى، حدّ الكفاح المسلح، بدا كله، كأنه إحدى ثمار أدب المقاومة بعامة، وشعر المقاومة بخاصة، ومن هنا أصبح طبيعيًا أن يخمد دور شعر المقاومة بعض الخمود في هذه الظروف كلها، وهو هنا لا يمكن له أن يرتقي إلى مستوى العمل الكفاحي المسلح، وقد تفرع عنه، ونما على أغصانه ما يمكن تسميته أدب الانتفاضة أو شعر الانتفاضة في الحقيقة، وهو من ثم أدبٌ أو شعرٌ مقاوم.

وكلّ ما تم في هذه الظروف لا يعني في الحقيقة، تخليًا عن قصيدة المقاومة، وإنما يمكن وصف هذه الحالة بأنها عملية استجابة لظروف متطورة تكمن فيها روح المقاومة وتستكين، استشفافًا للمستقبل وانتظارًا لآفاق قادمة.

❖❖ هناك من يرى الالتزام - أيّ التزام، ما تعلق بالقضية الوطنية أو غيرها - تهمة كيف تنظر إلى هذه المسألة؟

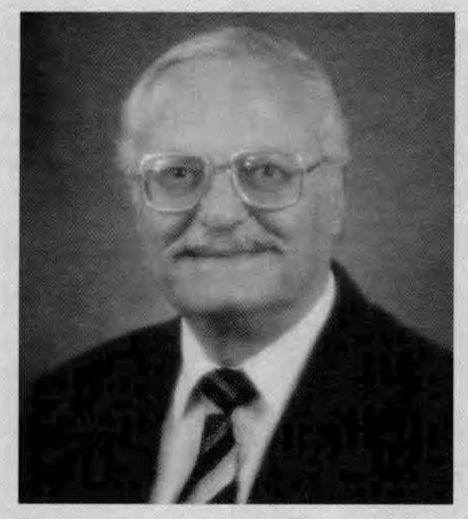
❖ بالنسبة إلى فكرة الالتزام، يمكن النظر إليها من منطلق المفهوم اللغوي، ومن هذا المنطلق، فإن الشاعر عمر بن أبي ربيعة، مثلاً، كان ملتزمًا موضوع الغزل الذي أُثر عنه واشتهر به، ومن منطلق المفهوم الاصطلاحي الذي ينسحب في العصر الحديث على التزام الشاعر قضايا شعبه ومجتمعه الوطنية والاجتماعية، ومن هذه الناحية، فإن النظر إلى مثل هذا الالتزام تهمة يعدّ موقفًا سياسيًا أكثر منه موقفًا

فنيًا في الأساس. وأهمية التزام الشاعر، في الحقيقة، لا تكمن فقط في معالجة موضوعات مجتمعه فحسب، وإنما تكمن أيضًا في معالجة موضوعات الحقيقة في توافر الخصائص والمزايا الفنية في هذا الشعر، فالموضوعات لا تصنع شعرًا جيدًا بالضرورة، وإنما يتحقق الشعر الجيد بمقدار ما يتوافر من الخصائص والسمات الفنية.

لقد كان مسؤولو الأحزاب السياسية وأعضاؤها مع شعراء أحزابهم بمقدار ما كان هؤلاء الشعراء يعالجون قضايا الحزب، بغضّ النظر عن المستوى الفني لشعرهم، حتى لو استحال الشعر لديهم إلى أعمال إعلامية ودعائية للحزب، كما حصل، مثلاً، في عهد ستالين في الاتحاد السوفييتي، ولكن ماوتسي تونغ كان يطلب من شعراء الحزب في الصين أن يخرجوا عن هذا الإطار إلى العناية الفنية بشعرهم، حتى يكتب له البقاء، وبهذا المفهوم لم يكن جان بول سارتر يُطالب الشعرَ بالالتزام إلى حدّ حمل السلاح في مجابهة الظلم، وفي سبيل إصلاح الأوضاع في المجتمع، والسبب في ذلك، كما يرى، أن الشاعر حين يدخل في عالم الشعر عند عملية النظم، يدخل هذا العالم عاريًا من كل شيء، ومن كل ثقافة ... فهو يعيش في عالم الشعر ولفنه فقط، هذا هو رأيه وتفسيره له، بغضّ النظر عن مدى اتفاقنا أو اختلافنا معه، والحقيقة أن الشاعر الذي يستطيع الجمع بين موضوع قضايا المجتمع وتناولها بأساليب فنية راقية، - وهذا ممكن - يكون شاعرًا مقتدرًا وناجحًا، مقدار ما يوفق في الجمع بين الناحيتين، وبدرجة ما يُحقق تواؤمًا بينهما ... وعمل الشاعر في الأصل أن يصنع الشعر.

❖❖ كيف تنظرون إلى الإبداع العربي اليوم؟ وبالمقابل هل ثمة حركة نقدية توازي المنجز الإبداعي العربي؟

❖ لا بد من الاعتراف أولاً أن الأمة تعيش حالة من الضعف واختلال الشخصية، واهتزازها، وأسباب ذلك كثيرة لا حاجة هنا إلى سردها أو الحديث عنها، وإذا كنا نستطيع أن نتلمّس في حياة الأمة في القديم، عندما كانت تتمتع بقدرٍ من الغلبة واستقلال الشخصية بتجاربها الحياتية، كثيرًا من عناصر النظريات الحياتية وأعراضها في التربية والاقتصاد والفلسفة، والاجتماع، والعسكرية، والنقد، فإننا مع الحزن الشديد، لا نكاد نلمس قدرًا من ذلك في أي جانب من هذه الجوانب في الوقت الحاضر، فنحن نجد من يشتغلون في هذه الناحية أو تلك، ولكننا لا نجد أصحاب نظرية في هذا العالم أو ذاك، بينما نستطيع أن نعرف من كتب الأخبار التراثية وكيف أن الشيخ البدوي والعجوز البدوية كان لهما موقف وحكمة في الحياة والكون يظهران بجلاء في كثير من المقولات والأخبار، وعلى الرغم من ذلك فقد كررت في بعض بحوثي أن الإبداع العربي يمثل أبهى ملامح شخصية الأمة في هذا الزمان، مهما كانت طبيعة الحكم من خلال نماذجه الجيدة الناجحة، وليس من خلال النماذج الرديئة، ولا بأس أن تكون هي الأكثر غالبًا. وهذا الإبداع الأدبي مهما خضع لتأثير الآخر، هو في حقيقة الأمر، وبالأكثر، نتاجُ اللغة بكل تراثها .. كالشعر مثلاً، والنقد في الأصل يأتي تاليًا للنص والإبداع. وقد خضع نقدنا الحديث بالأكثر لتأثير الآخر، إذ لم تتح الفرصة للنقاد والمهتمين بالنقد أن يتعرفوا، أصلا، إلى ما توافر لأسلافهم من نظرية أو ملامح نظرية في النقد، فأسسوا نقدهم بناءً على ما تأثروا به من مظاهر النقد، مثلاً، بمقدار إتقان لغة أجنبية وبمقدار الاطلاع على نظريات النقد في هذه اللغة الأجنبية أو في تلك، وتأتي كتاباتهم النقدية بهذه المنزلة، نوعًا من تطبيق نظريات الآخر على ابداعاتنا العربية، ومن هنا، فإنه مهما بلغ المنجز النقدي فإنه لا يوازي المنجز الإبداعي الأدبي، إذ يؤسس ولا يؤصل في استقلال، على أساس إبداعات اللغة الأم وآثارها الأدبية.



❖❖ أَلَّفتَ كتابين منفصلين عن شاعرين فلسطينيين، هما «راشد حسين، وحسن البحيري» ولك في راشد حسين رأي واضح، فهو من وجهة نظرك يمثل الجيل الوسيط في الشعر الفلسطيني. هل لك أن تحدثنا عن هذا الشاعر؟

❖ تعرفت إلى راشد حسين في القاهرة عام١٩٧٢م، حين كنت أعمل على رسالة الدكتوراه، وقد جاءها زائرًا في ذلك الوقت حيث كان يقيم الشاعر محمود درويش، صديقه القديم، وبالمصادفة كان مع «درويش» نسخة مصورة عن ديوانيّ راشد «مع الفجرية» عام ١٩٥٧م، و«صواريخ» عام ١٩٥٨م، وقد استعرتهما منه يومئذٍ ونسختهما بخط اليد في كرّاس خاص.

وشخصية راشد حسين فلاحية بوهيمية إلى حد الغرابة، وكان يتمتع بموهبة شعرية ضخمة، وبقدرة على الكتابة تلفت النظر، وتثير الإعجاب، وقد جسّد في منتصف الخمسينيات، ولم يكد يُطلّ على شرفة العقد الثاني من عمره، الجيل الوسيط بين شعراء فلسطين المحتلة بعد جيل الرواد «حنا أبو حنا، توفيق زياد، عصام عباسي، حبيب قهوجي»، ولُقب في ذلك الوقت الذي اضطلع فيه الشعر والشعراء بدور كبير في حياة مجتمعهم: فارس المنابر في الناصرة، حتى ليعترف محمود درويش بأستاذيته، وبتلمذته له.

وقد فضح بشعره كثيرًا من سياسات إسرائيل من خلال قوانين مصادرة أراضي العرب، حتى أراضي الوقف الإسلامي، كما فضح كثيرًا من جرائمها العنصرية ضد العرب وضد أطفالهم.

وشعرُ راشد في ديوانيه الآنفي الذكر شعرٌ تقليدي، ولكنه يشفّ عن قدرة شاعرية عالية، وقد تمكن بعدها من تطوير شعره ومجاراة الشعر الحديث في شكله وفي مضامينه وأساليبه في التعبير والتصوير.

❖❖ كان لك رأي حول رؤية الشاعر للمدينة المحتلة، فالشعراء في المدن غير المحتلة يستطيعون أن ينتقدوا مدنهم ويشتمونها، بينما لا يستطيع الشاعر الفلسطيني أن يفعل ذلك، هل لك أن تعلق على هذه المسألة؟

❖ تمثلُ المدينةُ، حقًا، ظاهرةً موضوعيةً فنيةً في الشعر الحديث، من خلال ما عكسته حياتها الحديثة على البشرية من شعور بالغربة، ومن عمق الإحساس بالحياة المادية والسرعة وبقصر الزمن، وكان الشعراء الرومانسيون من أبناء الريف قد عاشوا حياتهم في المدينة بينما ظلت قلوبهم معلقة بالريف وبالطبيعة فيه، أما جيل الشعراء التالي للرومانسيين فقد آثروا قدرًا من الواقعية في مواقفهم، فراحوا يجابهون حياة المدينة بكل جوانبها المستجدة، فصوروُّها في كثير من الواقعية والشعور بالمرارة، وإن كانوا في غالبيتهم من أبناء الريف أيضًا، لقد هال هؤلاء الشعراء ما جدّ عليهم من حياة المدينة، بما جسدته لديهم من قسوة وشعور بالاغتراب، ولذا فقد هانت عليهم حياتها وكرهوها فراحوا يلعنونها ويعلنون قرفهم منها، كما نرى في شعر كل من «بدر شاكر السياب وأحمد عبد المعطي حجازي وصلاح عبدالصبور وخليل حاوي»، وهم في ذلك إنما يعلنون احتجاجهم على حياتها دون أن يحسوا بأن هذا الاحتجاج يهدد مدينتهم أو يعرضها للخطر، بل على العكس، فقد كانوا يرغبون في التوجيه إلى اصلاح حياتها المشتركة مع الآخرين وتقويمها، للوصول بها إلى الأفضل.

أما شعراء فلسطين المحتلة فإن حالهم كانت مغايرة ومن ثم جاء شعرهم مختلفًا عن شعر أقرانهم من الشعراء العرب في مدنهم، فالمدينة الفلسطينية أولاً أدنى إلى المحافظة وأكثر قربًا من القرية جغرافيًا، وربما في طبيعة الحياة وفي التقاليد التي لا تختلف كثيرًا عنها في الريف، والأهم من ذلك أن المدينة الفلسطينية بعد الاحتلال تكاد تكون خلت من أهلها العرب إلا من نسب ضئيلة ، إذ إن غالبية العرب الذين ظلوا تحت الاحتلال بعد نكبة ١٩٤٨م، كانوا من أهل الريف، لارتباطهم الشديد بالأرض، ثم إن هذه المدن كانت وظلت عرضة للتهويد أكثر من القرى التي نسف المئات منها، لتقام مكانها مستوطنات يهودية. ومن هنا وجد شاعرُ المقاومة نفسه

الشعر عند العرب وسواهم من الأمم والشعوب أسبق بطبيعته من النثر والكتابة السردية فهو أشد عراقة وأكثر نضجًا. والشعراء أكثر من كتّاب السرديات وطبيعة فنهم الشعري أقرب وألصق بروح المقاومة

مطالبًا بحماية مدينته وبالدفاع عنها، في محاولة للحفاظ على هويتها الوطنية وروحها القومية، ولذلك شكلت هذه العلاقة الإنسانية الحميمة بين الشاعر وبين المدينة مظهرًا من مظاهر المقاومة الباسلة، وشكلاً من أشكال تحدي العدو ومخططاته الجهنمية، خصوصًا وقد أحس الشاعر في هذه المدن الفلسطينية أمجاد التاريخ وعبق العتاقة: القدس، يافا، عكا، حيفا .. وهي تتعرض للسبي، وجرّها من شعرها. فلم يكن أمامه إلا العمل على حمايتها من نحو، ومحاولة الاحتماء بها من نحو آخر. ومن هنا جاء هذا الشعر يعلي من شأن المدينة، ويذكّر بأمجادها في كثير من الشعور بالعظمة والإشفاق.

❖❖ وهل كانت الكتابات النثرية من قصة ورواية - في الأدب الفلسطيني - بدرجة مساوية للقصيدة من حيث المستوى الفني؟

❖ الشعر عند العرب وسواهم من الأمم والشعوب أسبق بطبيعته من النثر والكتابة السردية فهو أشد عراقة وأكثر نضجًا، والشعراء أكثر من كتّاب السرديات وطبيعة فنهم الشعري أقرب وألصق بروح المقاومة المتصلة بحركة الحياة والأحداث والعواطف.

وفي رأيي أن الطبيعة الفنية للشعر تختلف عنها في كتابات السرد، ومن هنا، قد لا يكون سهلاً إقامة ما تريده من الموازنة بين فنين مختلفين في خصائصهما الفنية أصلاً، ودون هذه الموازنة يمكننا أن نجد نماذج نثرية ممتازة وناجحة، كما تجسد ذلك لدى إميل حبيبي بخاصة. وعلى العموم، كما قلت سابقًا فإن العمل أو الأعمال الفنية التي تجدد بها المأساة الفلسطينية، على الرغم من جودة كثير مما كُتب متعلّقًا بها، لم تكتب بعد .. ولن يُقيض ذلك إلا بتخمُّر التجارب الإنسانية بعد التحرير والعودة، وبحضور الأديب الفنان المؤهّل لمثل هذا العمل الإنساني العظيم، بكل ما فيه من مجد الإنسان وعدالة التاريخ.

الإبداع العربي يمثل أبهى ملامح شخصية الأمة في هذا الزمان. مهما كانت طبيعة الحكم من خلال نماذجه الجيدة الناجحة.

الأستاذ الدكتور حسني محمود حسين في سطور

ولد في سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، في عراق بورين، بمدينة نابلس الفلسطينية.

الموهلات العلمية:

نال ليسانس الآداب، من جامعة القاهرة في سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، والماجستير في الأدب الحديث ، من الجامعة نفسها في ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ثم دبلوم في اللغة العربية وآدابها، من معهد الدراسات العربية بالقاهرة في السنة نفسها، ونال الدكتوراه في الأدب الحديث، من جامعة القاهرة في سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

سيرته العلمية:

عمل في التعليم نحو ٤٠ عامًا. فكان معلمًا في مدارس وكالة غوث للاجئين الفلسطينيين، ثم في معهد المعلمين بوزارة التربية والتعليم في حوارة بقضاء نابلس، وبعد ذلك درَّس في جامعة الجزائر، ثم درَّس في جامعة الملك سعود، كما درَّس في جامعة اليرموك في مدينة إربد، ثم عمل أستاذًا زائرًا في جامعة العين، وأستاذًا في الجامعة الهاشمية في الزرقاء، وأستاذًا للأدب والنقد الحديث في جامعة اليرموك.

احتل مكانة رفيعة بين الدارسين للأدب الفلسطيني الحديث والمؤرخين له، وكان مع تعدد اهتماماته، وغزارة إنتاجه في مختلف المجالات الأدبية والفكرية موقفًا جانبًا مهمًا من حياته لدراسة الأدب الفلسطيني. وله ثمانية كتب وبحوث كثيرة في هذا المجال، من أبرزها كتابه شعر المقاومة الفلسطينية المكون من أربعة أجزاء، وهو مرجع مهم رصد فيه تاريخ شعر المقاومة وتطوره منذ فترة الانتداب البريطاني، ودور شعراء المهجر والشعر الشعبي في دعم النضال الفلسطيني من أجل التحرير وقد تناول دراسته النقدية، أيضًا، عددًا من الشعراء والكتاب الفلسطينيين؛ مثل راشد حسين، وحسن البحيري، وإميل حبيبي، وله كتابات أخرى كثيرة باللغتين العربية والإنجليزية.

مسابقة الفيصل

أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٢١) ربيع الأول ١٤٢٤هـ مايو ٢٠٠٣م .

الفائز الأول: أمين مصطفى محمود - عمان - الأردن.
الفائز الثاني: أحمد مختار الشريف - الرياض - السعودية .
الفائز الثالث: نبيل جلال الدين حمودة - بورسعيد - مصر.
الفائز الرابع: كناز أحمد الزحيلي - دمشق - سورية.
الفائز الخامس: نورهان عادل قائد العريقي - صنعاء - اليمن.
الفائز السادس: أحمد محمد السوادحة - الزرقاء - الأردن.
الفائز السابع: محمد عبدالله داود - جدة - السعودية.
الفائز الثامن: المتولي كمال الدسوقي - كفر الشيخ - مصر .

حل مسابقة العدد (٣٢١)

١- والنفس راغبة إذا رغبتها   وإذا تردّ إلى قليل تقنعُ
قائل البيت هو: أبو ذؤيب الهذلي.

٢- المنصور بن أبي عامر : وزير عربي أندلسي شجع العلم والعلماء.

٣- البلاتيوس: حيوان مائي من حيوانات أستراليا منقاره كمنقار البطة.

٤- الروكوكو: أسلوب في التزيين وفن العمارة يتميز بالزخرفة الشديدة.

٥- الشياتسو: طريقة يابانية لمعالجة الأمراض بالتدليك.

أسئلة مسابقة العدد (٣٢٤)

ضع علامة ✓ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: وليس قولك «من هذا؟» بضائره   العرب تعرف من أنكرت والعجم

☐ أبو دَهبل الجُمَحيّ

☐ الفرزدق.

(٢) الرَّق:

☐ نوع فاخر من الورق يُتَّخذ من جلود الغزلان أو الخراف

☐ نوع من الطبول الشعبية.

(٣) وادي الملكات:

☐ جبانة تضم مقابر الملكات زوجات الفراعنة

☐ واد في بلاد اليونان كان متنزهًا لملكاتها.

(٤) كابوكي:

☐ نوع شهير من المصارعة في آسيا

☐ نمط من المسرح الياباني التقليدي.

(٥) سيريناده:

☐ جزيرة في المحيط الأطلنطي تشتهر بطبيعتها الخلابة

☐ مقطوعة موسيقية تعزف ليلاً في الهواء الطلق.

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) . الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي

- مركز دائم للحوار الوطني
- توزيع جائزة أبها ١٤٢٤هـ
- صدور العدد الأول من مجلة «الفيصل العلمية»
- منتدى الإعلام والحرب في دبي
- •• خاتمة المطاف: المدارس السعودية في موسكو ودور ريادي



بيكاسو «بورتريه»

إنشاء مركز دائم للحوار الوطني



الأمير عبد الله بن عبد العزيز

وافق خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز على إنشاء مركز دائم للحوار الوطني وفق ما اقترحه اللقاء الوطني للحوار الفكري الذي عقد في الرياض في ربيع الآخر الماضي، ونظمته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

جاء ذلك في كلمة وجهها صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، في يوم الاثنين ٦ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ الموافق ٤ أغسطس ٢٠٠٣م، إلى المواطنين عبر إذاعة وتلفاز الرياض قال فيه: إن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وافق على قيام «مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني» ليكون وسيلة عملية لاستمرار الحوار ويتسع نطاقه ليدخل المزيد من المتحاورين وليبحث فيه المزيد من القضايا بهدف أن يتطور الحوار ليكون أسلوبًا بناءً من أساليب الحياة في المملكة العربية السعودية.

وأشار الأمير عبدالله إلى: «أن الرياض سوف تكون مقرًا لهذا المركز، ويجري العمل الآن على تجهيز مقره، وسوف يستعين بمرافق وخدمات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة لتسهيل أعماله».

وأضاف سموه: «لا يراودني أدنى شك في أن إنشاء المركز وتواصل الحوار تحت رعايته سوف يكون بإذن الله إنجازًا تاريخيًا يسهم في إيجاد قناة للتعبير المسؤول سيكون لها أثر في محاربة التعصب والغلو والتطرف، ويوجد مناخًا نقيًا تنطلق فيه المواقف الحكيمة والآراء المستنيرة التي ترفض الإرهاب والفكر الإرهابي».

وشدد ولي العهد على ضرورة أن يرتكز الحوار على العقيدة الإسلامية، ثم التمسك بوحدة الوطن، والإيمان بالمساواة بين أبنائه قائلاً: «إن أي حوار مثمر لا بد أن ينطلق من هاتين الركيزتين ويعمل على تقوية التمسك بهما، فلا حياة لنا إلا بالإسلام ولا عز لنا إلا بوحدة الوطن، ولن نقبل من أحد كائنًا من كان أن يمس مبادئ العقيدة كما أننا نرفض أن يسعى أحد كائنًا من كان للعبث بالوحدة الوطنية».

توزيع جائزة أبها ١٤٢٤هـ

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام في مساء الأربعاء ١٦ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ الموافق ١٦ يوليو ٢٠٠٣م حفل توزيع جائزة أبها لهذا العام ١٤٢٤هـ، التي تبلغ قيمتها مليون ريال مقدمة من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير، رئيس لجنة الجائزة، التي تضم أربعة فروع هي: الخدمة الوطنية، والتعليم العالي، والتعليم العام، والثقافة.

وتهدف الجائزة إلى توجيه المبدعين والمفكرين والمثقفين والمتخصصين إلى استلهام مكانة بلادنا الدينية والتاريخية والسياسية والفكرية والعلمية والاقتصادية وتعزيز الانتماء الوطني في مختلف مراحل التعليم والأوساط الثقافية والاجتماعية كافة، وحفز مختلف مراحل التعليم والأوساط الثقافية والاجتماعية،

والقطاعين الخاص والعام، والأفراد إلى مزيد من العمل الجاد وتحقيق التنافس الشريف.

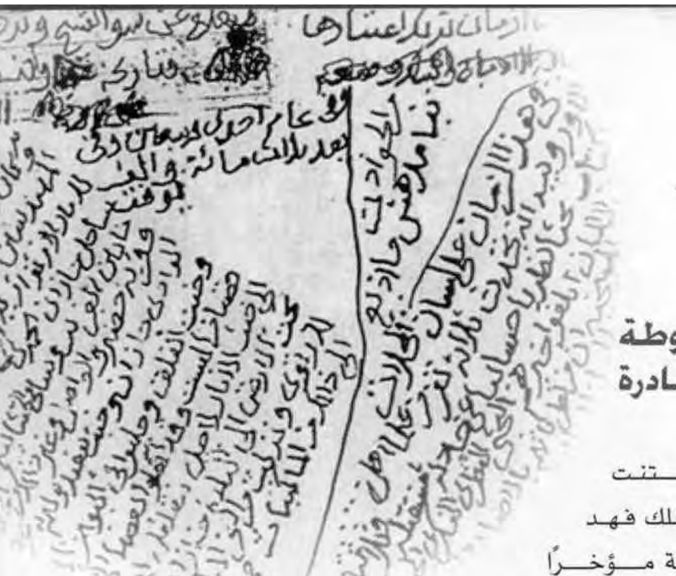
وبلغ عدد المرشحين للجائزة لهذا العام (٤٨٧) مرشحًا ومرشحة فاز منهم (١١٢)، جاءوا على النحو الآتي: في مجال الخدمة الوطنية بلغ عدد المرشحين (٧٠) مرشحًا، والفائزين (١٣) فائزًا. أما في مجال الثقافة فقد بلغ عدد المرشحين (١٧٣) مرشحًا، وعدد الفائزين (٩).

وفي مجال التعليم العالي كان المرشحون (٢٣٠) مرشحًا، والفائزون (١٩) فائزًا وفائزة، بينما بلغ عدد المرشحين في مجال التعليم العام (٢٧٤) مرشحًا، وعدد الفائزين (٧١) فائزًا وفائزة.

والفائزون بجائزة الثقافة لعام ١٤٢٤هـ هم: حسن أحمد الصلهبي (الشعر الفصيح)، وإبراهيم مضواح الألمعي (القصة القصيرة)، وإبراهيم محمد شحبي (الرواية)، وفي التصوير الضوئي فاز بالمركز الأول عبدالعزيز سعيد الغامدي، والمركز الثاني علي عبدالله مرزوق، والمركز الثالث مصلح جميل، وفي الفن التشكيلي فاز بالمركز الأول عبدالعزيز بخيت العواجي، وبالمركز الثاني بدرية الناصر، وبالمركز الثالث عبده محمد العريشي، وحجبت جائزة البحوث لعدم رقي الأعمال المقدمة إلى مستوى الجائزة.

الأمير خالد الفيصل





مخطوطة نادرة

اقتنت مكتبة الملك فهد الوطنية مؤخرًا مخطوطة من كتاب «اللامع اليماني في تاريخ اليمن والمخلاف السليماني» لمؤلفها القاضي عبدالله بن علي العمودي. ويعد هذا الكتاب غاية في الأهمية التاريخية، وهو نسخة المؤلف التي كتبها بخطه، ولعلها النسخة الوحيدة المعروفة الآن للكتاب، لأنه كان في عداد الكتب المفقودة.

والكتاب يؤرخ لمنطقة مهمة في المملكة العربية السعودية، وهي المنطقة الجنوبية، فقد ذكر المؤلف في تاريخه الحقب التاريخية المختلفة التي مرّت بها المنطقة، بما فيها الحقبة الأخيرة بعد أن وحّد الملك عبدالعزيز أرجاء الجزيرة العربية. وقد أشار المؤلف في كتابه إلى أنه اعتمد في تأليف الكتاب على ثلاثة مصادر هي: الكتب والمراجع، والرواية الشفهية عن الثقات، والمشاهد الشخصية؛ ذلك أن المؤلف قد مدّ الله في عمره وعاش ما يزيد على مئة عام.

ومن الطريف أن نذكر أن المؤلف بعد أن بيّض الكتاب في المرة الأولى وذلك سنة ١٣٥٨هـ، عرضه على الوجيه محمد نصيف في مكة، لينظر في أمر طباعته، ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية وما تبعها من ارتفاع أسعار الورق حالت دون طبع الكتاب، وفي سنة ١٣٧١هـ، أعاد المؤلف تبييض الكتاب، وزاد فيه زيادات حفلت بها النسخة التي اقتنتها المكتبة حاليًا. وتقع في مجلدين من الحجم الكبير، على أن المؤلف استمر في كتابة الحواشي والزيادات على هوامش النسخة إلى ما بعد وفاة الملك عبدالعزيز.

وتهيب المكتبة الوطنية بالمواطنين أن يتعاونوا معها على تحقيق رسالتها الداعية إلى المحافظة على الإرث الثقافي الذي خلّفه لنا أسلافنا؛ خصوصًا ما يتعلق بالمخطوطات التي سرعان ما تتلف. إذا لم تتوافر لها أسباب العناية من حفظ وصيانة التي لا تتحقق إلا في المكتبة الوطنية.

علم النفس وتاريخ الأندلس

صدر حديثًا عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية كتاب بعنوان «مصالح الأبدان والأنفس» لأبي زيد البلخي (٢٣٥ - ٣٢٢هـ)، تحقيق كل من الدكتور مالك بدري، والدكتور مصطفى عشوي، وتعدّ هذه الدراسة من الدراسات التي جادت بها قريحة عباقرة المسلمين في القرن الثالث الهجري، إذ لم يسبق لدراسة أن تناولت هذا الموضوع الذي ركز في تشابك الصحة النفسية بالصحة الجسمية على أساس تشابك البدن بالنفس. ويقول المحقق لهذه الدراسة: «إن أبا زيد البلخي عالم نفساني سبق عصره بأكثر من عشرة قرون، وإن النفسانيين المسلمين لو قرؤوا مخطوطة البلخي بتدبر لكانوا هم الرواد للعلاج السلوكي، وللثورة المعرفية الحديثة في ميدان العلاج النفسي، ولما أضاعوا عشرات السنين في التقليد الأعمى لنظريات، وممارسات غربية غير ناجحة أو قليلة الجدوى قامت على الفكر الإلحادي الرافض لروحانية الإنسان والتصورات المادية الآلية لطبيعته من مثل السلوكية المتطرفة والتحليل النفسي الفرويدي الذي سيطر على نظريات العلاج النفسي وتطبيقاته في الغرب لأكثر من سبعين سنة».

ويضيف المحقق «أول ما يدهش القارئ لهذه المخطوطة استطاعة البلخي التفريق بين المرض النفسي أو العصاب، والمرض العقلي أو ما تعارف الناس على تسميته بالجنون، ثم تركيزه الشديد في دور العوامل النفسية في الصحة والمرض النفسي والجسمي وكأنه متخصص في الطب السيكوسوماتي والشمولي الحديث».

ويتضمن هذا الكتاب ثمانية أبواب رئيسة: «في الإخبار عن مبلغ الحاجة إلى تدبير مصالح الأنفس» و«في تدبير حفظ صحة الأنفس عليها» و«في تدبير إعادة صحة النفس إذا فقدت إليها» و«في ذكر الأعراض النفسانية وتعديدها» و«في تدبير صرف الغضب وقمعه» و«في تسكين الخوف والفزع» و«في تدبير دفع الحزن والجزع» و«في الاحتيال لدفع وساوس الصدر وأحاديث النفس».



محمود علي مكي

وفي مجال تحقيق التراث صدر السفر الثاني من كتاب «المقتبس» لابن حيان القرطبي (٣٧٧ - ٤٦٩هـ/٩٨٧هـ - ١٠٧٦م)، تحقيق: الدكتور محمود علي مكي عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، ويقع الكتاب في ٦٩٠ صفحة من القطع الكبير.

ويعد هذا الكتاب أشمل كتاب يؤرخ للأندلس، خلال القرون الثلاثة من حياتها الإسلامية، ويتناول القسم الأول منه إمارة الحكم بن هشام المعروف بالربضي (١٨٠ - ٢٠٦هـ)، وجاء القسم الثاني عن إمارة عبدالرحمن بن الحكم الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٢هـ).

القرآن الكريم باللغة الصينية

أجاز مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الصينية أعدّها مجموعة من علماء الإسلام في الصين.

وقال تقرير لمجمع البحوث الإسلامية إن هذه الترجمة جاءت خالية من أي أخطاء، مؤكدًا أن هذه الترجمة سوف تعمل على نشر الثقافة الإسلامية وتفسير القرآن بين المسلمين في الصين.

وكان مجمع البحوث الإسلامية قد شكّل لجنة من كليات اللغات والترجمة برئاسة الدكتور عبد العزيز حمدي رئيس قسم اللغة الصينية بالكلية لفحص الترجمة، واستمر العمل فيها فترة وجيزة حتى انتهت اللجنة من الفحص وكتابة تقريرها الذي أشاد بالترجمة. وقد أكد الشيخ سيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية من جانبه أنه أول مرة في تاريخ المجمع يتم فحص ترجمة باللغة الصينية، وهذه الترجمة هي الأولى من نوعها، وأنجزها المجمع في فترة وجيزة، ونأمل أن تراجع جميع الترجمات الموجودة في العالم.

رحيل الناقد إحسان عباس

توفي في الثاني والعشرين من يوليو/تموز الماضي الناقد الفلسطيني المعروف إحسان عباس عن عمر يناهز ثلاثة وثمانين عامًا بعد معاناة شديدة مع المرض.

ولد الناقد الراحل في قرية عين غزال في فلسطين، وتخرج في الكلية العربية في القدس عام ١٩٤١م، ثم نال درجة الدكتوراه من كلية الآداب في جامعة القاهرة عام ١٩٥٤م.

وقام بالتدريس في كلية غردون التذكارية في السودان، ثم جامعة الخرطوم، فالجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٦١م، التي شغل فيها منصب رئيس دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى، وهو عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع العلمي الهندي «عن فلسطين»، وقد شارك عباس في ضروب شتى من النشاط الأكاديمي والتربوي في الجامعات والمحافل العلمية، وله إنتاج علمي فريد يقرب من الستين كتابًا، تأليفًا وتحقيقًا وترجمة، إضافة إلى ما يزيد على سبعين بحثًا ومقالة ومراجعة لكتب.

ومما ألفه من الكتب عن الشعر العربي المعاصر: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، وبدر شاكر السياب، وعبدالوهاب البياتي والشعر العربي الحديث.

ومما حققه: خريدة القصر للعماد الأصفهاني، ورسائل ابن حزم الأندلسي، وديوان لبيد بن ربيعة العامري. ومما ترجمه: كتاب الشعر، لأرسطو، وأرنست همنغواي لكارلوس بيكر.

وقد حقق الناقد الراحل عبر حياته العلمية والأدبية الحافلة، قدرًا عاليًا من الإبداع الفكري المقترن بالأصالة وبراعة العرض، وأغنى الدراسات الأدبية العربية بأعماله الرائدة التي مزج فيها بين خصائص التراث العربي وآداب اللغات الأخرى وأتاح المجال لتحديث دراسة الأدب والشعر العربي المعاصر والتفاعل بينه وبين الآداب العالمية الأخرى.



إحسان عباس

وقد نال عباس عددًا كبيرًا من الجوائز، من بينها جائزة الملك فيصل التي نالها سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، وكان موضوعها «الدراسات التي تناولت الشعر العربي المعاصر.

الفيصل العلمية

ضمن الجهود الثقافية التي يضطلع بها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، صدر حديثًا عن دار الفيصل الثقافية التابعة للمركز مجلة «الفيصل العلمية»، وهي دورية تصدر فصليًا كل ثلاثة أشهر، وتعنى بنشر المقالات المختلفة في حقول العلوم البحثية والتطبيقية المعاصرة، مع العناية بالتراث العلمي العربي.

وتأتي هذه الدورية لتنضم إلى منظومة الدوريات التي تصدر عن المركز، الأولى: «الفيصل» بتوجهها الثقافي العام، والثانية: «المركز» وهي نشرة تعنى بأخبار المؤسسة وفروعها، والأنشطة التي تقوم بها، والثالثة: «مجلة الدراسات اللغوية» المختصة في النحو والصرف والعروض.



غلاف العدد الأول

واحتوى هذا العدد الأول من «مجلة الفيصل العلمية» على عدد من البحوث والدراسات العلمية أولها: بحث بعنوان «الوحوش في الجزيرة العربية تطارد الموت ويطاردها الشعر» لأحمد إبراهيم البوق، وكتب م. سليمان قيس القرطاس عن إطلاق أكبر قمر صناعي أوربي، وناقش أمجد ناجي قاسم موضوع التلوث الجوي، وتناول عبدالله سعد الرواف موضوع الوقت، ومحمود زين العابدين «الفضاء الداخلي في بيوت المدن العربية» (حلب الشهباء نموذجًا)، وتطرق إبراهيم بن عبدالرحمن الهدلق لموضوع عبقرية الهندسة في الأفلاج العمانية، وعدد د.مسعد شتيوي بعض الوسائل الطبيعية والغذائية لتحسين عمل المخ والذاكرة.

وفي باب التراث العلمي العربي كتب لطف الله قاري عن الفلك العربي بعد القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي، وختم العدد بجديد العلوم من الشبكة العنكبوتية.

مكتبة الغازي خسرو رمز للتسامح

قام الرئيس البوسني سليمان تيهيتش والدكتور مصطفى تسيريتش رئيس العلماء في البوسنة والهرسك، وسيف بن مقدم البوعينين مساعد وزير الخارجية القطري مؤخرًا بوضع حجر الأساس لمكتبة الغازي خسرو بك في الحي القديم في سراييفو (باش تشارشيا)، ضمن مجمع موّحد يضم مباني المشيخة الإسلامية الثقافية والتعليمية، وقد تكفلت دولة قطر بدفع جزء من تكاليف إنشاء هذه المكتبة التي تبلغ نحو ٧٢ مليون مارك بوسني (نحو ٣٦ مليون يورو تقريبًا).

ويتكون المبنى الجديد للمكتبة الذي تبلغ مساحته نحو ٦٢٠٠ متر مربع، من عدة طوابق، منها طابقان يقعان تحت الأرض سيخصصان لحفظ رصيد المكتبة من الكتب، بالإضافة إلى ثلاثة طوابق فوق الأرض تتسع لنحو نصف مليون كتاب، والمكتبة مكونة من عدة أقسام: قسم خاص بالباحثين والمطلعين والمستفيدين من الزوار والطلاب والأساتذة، وقسم إداري مستقل لخدمة المستفيدين، بالإضافة إلى توفير وسائل التقنية الحديثة كافة في الحصول على المعلومات، وتوجد بالمكتبة أيضًا قاعة رئيسة تتسع لمئتي شخص، وسوف يكون المبنى مؤمنًا من الرطوبة والزلازل والاقتحام والسرقة وأي حوادث أخرى.

وقال الرئيس البوسني سليمان تيهيتش بهذه المناسبة: «لا يسعني سوى التعبير عن سعادتي البالغة بهذا المشروع الثقافي الرائد الذي سيكون له أبلغ الأثر في الأجيال القادمة في البوسنة». وأضاف: «هذا المشروع ليس لصالح المسلمين فقط بل لكل مواطني البوسنة والهرسك»، وأكد أن المكتبة ستدعم الهوية الثقافية للمسلمين البوشناق وتربطهم بتقاليدهم ودينهم.

وتحدث كذلك مساعد وزير الخارجية القطري سيف بن مقدم البوعينين فقال: «لا شك أن وضع حجر الأساس اليوم لهذه المكتبة، وفي هذا المكان يمثل رمزًا ذا مغزى كبير لكم ولنا، وللإنسانية جمعاء، ففي هذا التراث الثقافي الثري، انتصار لقيم التسامح والحوار». وأضاف: «إنني على ثقة كبيرة بأن هذه المكتبة سيكون لها دور مهم في تشجيع الأعمال الإبداعية الجديدة، وبوجه خاص تلك التي تبتكر



مكتبة الغازي خسرو القديمة

أشكالاً جديدة من المبادلات بين الثقافات المتعددة كما فعلت هذه المدينة في السابق».

وجاءت كلمة رئيس العلماء في البوسنة والهرسك الدكتور مصطفى تسيريتش بثلاث لغات هي: العربية، والإنجليزية، والبوسنية، وتحدث بإسهاب عن قضية الثقافة والمكتبات فقال: «في الكتاب الذي صدر عام ٢٠٠٢م وعنوانه (زخرفة العالم) تتحدث المؤلفة ماريا روزا مينوكال عن ثقافة التسامح التي صنعها المسلمون في إسبانيا، وفي الصفحة ٢٧٨ قالت: إن الجيش الصربي بدأ في أغسطس /آب ١٩٩٢م، بقصف متعمد للمكتبة الوطنية بسراييفو. وأدى ذلك القصف إلى إتلاف أكثر من مليون كتاب ومئة ألف مخطوطة، وقبل ثلاثة أشهر من ذلك قصف الجيش نفسه معهد الدراسات الشرقية في سراييفو بثروته العظيمة من المخطوطات الإسلامية، مما أدى إلى حرق أكثر من خمسة آلاف مخطوطة. فَلِم حدث هذا؟ ومتى كانت المكتبات أهدافًا عسكرية؟». وأضاف الدكتور تسيريتش: «أن الحروب على قصور الذاكرة في سراييفو كانت لها الأسباب نفسها التي دفعت إلى إحراق ذلك الكم الهائل من الكتب في إسبانيا في القرن السادس عشر، وهي محو وتشويه لكل قصور الذاكرة الأندلسية». وأوضح «أن الكتب والمباني والفنون والأشعار وحتى لغة الصلاة جميعها تتحدث عن البنية المركبة للتسامح والهوية الثقافية، تلك البنية التي ينكر المتطرفون حقيقتها وواقعيتها وإمكانياتها المستقبلية». وأضاف: «من المعتاد أن الكتب وغيرها من ثمار الفكر البشري تكشف أنه وراء واجهات أعتى الأنظمة الاستبدادية الحاكمة يوجد تعايش اجتماعي وثقافي، وأنه من المؤكد أن هذا التعايش الاجتماعي والثقافي سيستمر بالنمو».

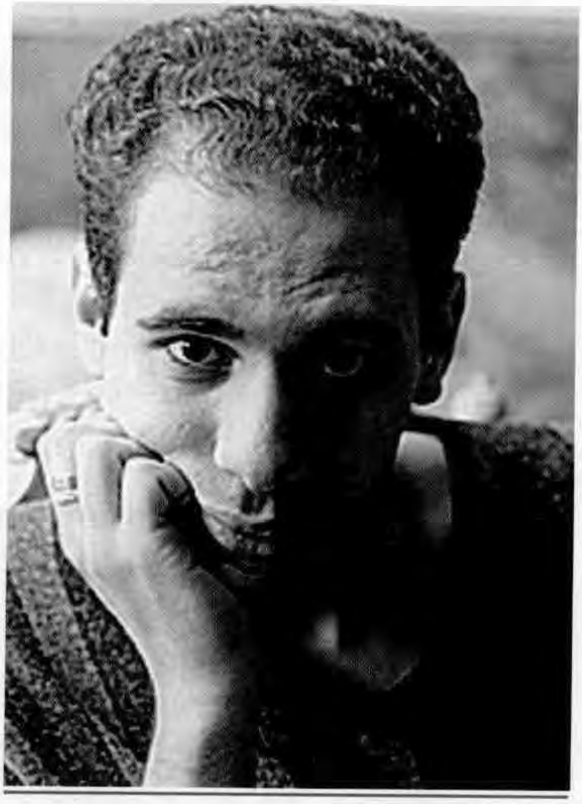
وأوضح باكر علي عزت بيجوفيتش (ابن الزعيم البوسني) أن «الفضل في بقاء مكتبة الغازي خسرو بك يعود للمشيخة الإسلامية التي حافظت على أصولها من التلف والحرق في أثناء الحرب لتواصل مسيرة إشعاعها الثقافي ودورها التربوي والحفاظ على هوية المسلمين في البوسنة».

أعلام العرب والمسلمين في موسوعة

تقوم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، «الإلسكو» حاليًا بالإعداد لإصدار موسوعة بعنوان «موسوعة أعلام العلماء العرب والمسلمين» تؤرخ لعلماء المسلمين منذ فجر الحضارة الإسلامية حتى نهاية القرن الماضي، وذلك تنفيذًا لقرارات مؤتمر وزراء التربية العرب، والوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي.

وسوف تتناول الموسوعة المزمع إصدارها جميع مجالات المعرفة بمختلف فروعها وتخصصاتها، وقد قامت اللجنة العلمية، التي تضم في تكوينها كبار العلماء، بضبط قوائم هؤلاء العلماء مستعينة بخبراء آخرين من أساتذة الجامعات ومعاهد البحث العلمي، وذلك إمعانًا في التدقيق وتلافيًا لكل أوجه القصور. وكانت المنظمة قد كلفت عددًا من الخبراء العرب منذ عام ٢٠٠١م بإنجاز مداخل الموسوعة التي تم ضبط أهدافها وقواعدها الفنية في كتيبين يوزعان على من توجه له الدعوة لإعداد مداخل هذه الموسوعة، وقد قطع العمل في الموسوعة شوطًا كبيرًا، إذ أنجزت ترجمة أكثر من ٢٥٠٠ عالم، وقد قررت المراجع الدستورية للمنظمة إضافة أعلام الإبداع من شعراء وروائيين حتى تكون الموسوعة شاملة لكل الأعلام، وقد فتح الباب لتغطية هذه المجالات.

الطفل المنتظر يفوز بجائزة


عبد القادر بنعلي

فاز الروائي والكاتب المسرحي المنحدر من أصول مغربية عبدالقادر بنعلي بجائزة لايبرس الهولندية لهذا العام عن روايته «الطفل المنتظر» وجاء في حيثيات قرار لجنة التحكيم «إنه كتاب لكاتب حقيقي لا يعتمد على الكليشيهات والصور السلبية الجاهزة في التعبير عن واقعه».

وتعد جائزة لايبرس من أرفع الجوائز الأدبية في هولندا، وتبلغ قيمتها نحو خمسين ألف يورو، وقد نقل هذا الفوز بنعلي إلى مصاف كُتّاب الدرجة الأولى التي تسجل مبيعات كتبهم أرقامًا كبيرة، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يفوز فيها أحد أعمال بنعلي بجائزة، فقد سبق أن فازت روايته الأولى «حفل زفاف على شاطئ البحر» التي صدرت عام ١٩٩٦م، وقد ترجمت هذه الرواية إلى ثماني لغات أوربية، وفازت بجائزة أفضل عمل روائي أجنبي في فرنسا عام ١٩٩٩م. كما نالت مسرحيته «ياسر» شهرة كبيرة.

وولد بنعلي عام ١٩٧٥م في قرية بني شيكر الأمازيغية، وهي القرية نفسها التي ولد فيها الروائي المغربي الشهير محمد شكري، وهاجرت أسرة بنعلي عام ١٩٧٩م إلى هولندا حيث أقاموا في مدينة امستردام، وهناك تشكلت موهبته الأدبية، وظهر نبوغه في مجالي الرواية والمسرحية.

متحف الريحاني

أصدر مكتب الدراسات والأبحاث التابع لمتحف أمين الريحاني نشرة إعلامية بمناسبة مرور خمسين عامًا على تأسيس المتحف (يوليو/تموز ١٩٥٣م - يوليو /تموز ٢٠٠٣م)، وجاء في النشرة: في الذكرى الخمسين لتأسيس متحف أمين الريحاني، أول متحف لأديب لبناني يقام في لبنان، وأول متحف لأديب عربي يقام في ديار العرب والعالم،



الريحاني

يعلن مكتب الدراسات والأبحاث التابع للمتحف، بالتعاون مع مؤسسة أمين الريحاني في الولايات المتحدة الأمريكية، عن رصد أنشطة المتحف خلال الخمسين عامًا الماضية وفق الآتي: بلغ عدد الزوار ٤٦٣٥١ زائرًا يتوزعون بنسبة ٦٣٪ من اللبنانيين و ٣٧٪ من غير اللبنانيين، وهؤلاء هم من ٣٤ جنسية مختلفة من دول العالم.

وبلغت نسبة الطلاب الجامعيين ٣١٪، ونسبة التلاميذ الثانويين ٤٦٪، أما النسبة المتبقية أي ٢٣٪ فقد توزعت على الأساتذة الجامعيين، وأهل القلم من الكُتّاب والصحافيين.

وأبرز المؤسسات الدولية التي أنشأت إدارة المتحف علاقات ثقافية معها هي: مكتبة الكونغرس، ومكتبة نيويورك الوطنية في الولايات المتحدة، ومركز الأبحاث العلمية في مدينة بيترسبرغ في روسيا، ومعهد دراسات العالم العربي في مدريد، إسبانيا، وجامعة سندرلاند في بريطانيا، وجامعة سيدني في أستراليا.

وقد بلغ أرشيف المتحف واحدًا وعشرين مجلدًا تقع في نيف وستة آلاف صفحة تضم وثائق ومقالات عن الريحاني في ٣٢ لغة من ٤٦ دولة حول العالم.

كتابك المفضل على الإنترنت

قالت صحيفة نيويورك تايمز: إن المديرين التنفيذيين في موقع «أمازون دوت كوم»، لبيع الكتب عبر الإنترنت يعملون مع عدد كبير من الناشرين لإتاحة عشرات الآلاف من الكتب على الشبكة الدولية، كما أوردت وكالة رويتر للأنباء.

وذكرت الصحيفة نقلاً عن المديرين أن الخطة التي تتفاوض عليها أمازون والناشرون ستصمم برنامجًا باسم «انظر داخل الكتاب الثاني»، الذي يسمح لمتفقدي صفحات الإنترنت بالحصول على قائمة بالكتب باستخدام خاصية البحث عن كلمة أو مصطلح.

ويمكن للمستخدمين المسجلين تصفح عدد كبير من الصفحات المتعلقة بنتائج البحث، ولكن العدد الإجمالي للصفحات التي يمكن للمستخدم تصفّحها من كتاب واحد سيكون محدودًا.

وقالت «نيويورك تايمز» إن الخطة قد تساعد أمازون على المنافسة مع محركي البحث (غوغل) و(ياهو) اللذين يصرفان المشترين المحتملين للكتب عن موقعها.

ورفضت متحدثة باسم أمازون التعليق على المقال. وقال المديرون التنفيذيون لشركات النشر لنيويورك تايمز: إن أمازون طلبت منهم الاحتفاظ بالأمر سرًا حتى تبدأ الخدمة على الأرجح في الخريف المقبل.



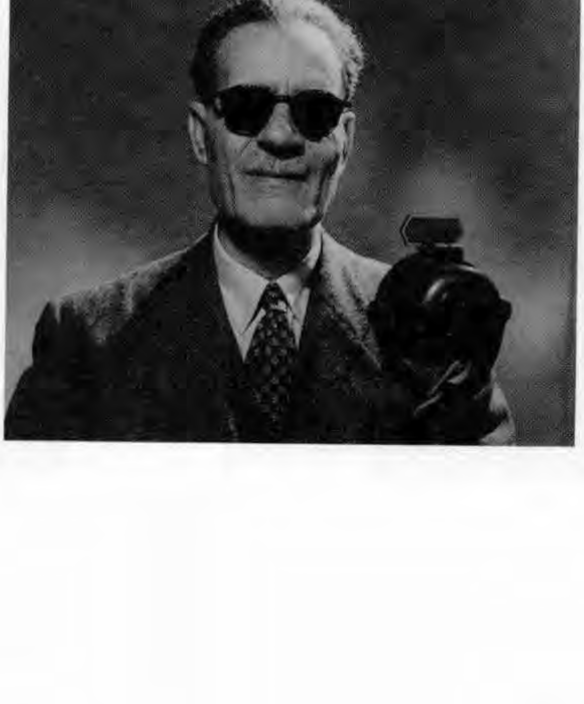
الإسلاميات والنقد الأدبي

«الإسلاميات والنقد الأدبي» هو عنوان الجزء الثاني من مشروع «تراث طه حسين» الذي صدر حديثًا عن دار الكتب والوثائق القومية المصرية، ويضم هذا الجزء، الذي يقع في ٧٧٨ صفحة من القطع الكبير، مجموعتين من المقالات الصحافية لطه حسين، تضم المجموعة الأولى مقالات نادرة يتناول فيها طه حسين موضوعات إسلامية تلقي أضواء جديدة على موقفه الفكري منها: منصب الرسالة، والمروق، والإصلاح والعمران، والألقاب والثياب، وتكذيب، وحق الخطأ، والإسلام والغرب، وعلى ذكرى الشهداء، والفاروق.. الشديد اللين، وثقل الفن، وسواها.

وتضم المجموعة الثانية مقالات في الأدب والنقد الأدبي لم تنشر من قبل، ومن هذه المقالات: ذكريات، وأشعار طه حسين، وقضايا شعرية، وشعراء من العرب، وشعراء من الغرب، ومصادفة (مجموعة قصصية)، وأحوالنا في النصف الأول من القرن العشرين، وأدب الثورة، وعرب أم فراعنة، والأدب المستور، والأدب المكشوف، وحياتنا الأدبية، وأخلاق الأدباء، وحياتنا العقلية، ومجمعنا ومجمعهم، وفي السخرية، والفلسفة، والسعادة، وشخصيات، والصديق.

وكان الكاتب المصري إبراهيم عبدالعزيز قد كتب دراسة عن هذا الجزء، كما تولى ترتيب المجموعتين، وقد جاء في مقدمته: «كان مصطفى صادق الرافعي أول من كشف عن الشعر المجهول لطه حسين حين اشتدت الخصومة بينهما حول الشعر الجاهلي الذي كان طه حسين يقوم بتدريسه في الجامعة، ثم جعله كتابًا أثار عليه ضجة كبرى».

طه حسين



منتدى الإعلام والحرب في دبي

يستعد نادي دبي للصحافة لانعقاد «منتدى الإعلام العربي» في دورته الثالثة في ٧ و ٨ أكتوبر/ تشرين الأول تحت شعار «الإعلام والحرب»، وسيرعى لقاءات المنتدى ولي عهد دبي ووزير الدفاع الإماراتي سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، ويتوقع حضور شخصيات مهمة من وسائل إعلام عربية ودولية.

وقالت منى المري المديرة التنفيذية لنادي دبي للصحافة: إن المنتدى «رسخ مكانته في أكبر تجمع إعلامي يقام في المنطقة العربية»، وتوقعت منى المري أن تكون الدورة الثالثة للمنتدى ذات حيوية نابعة من سخونة الحوار حول «الإعلام والحرب» الموضوع السجالي النابع من التباين الواضح في أساليب وسائل الإعلام العربية والأجنبية في تناول عدد من الحروب شهدتها وستشهدها المنطقة العربية والعالم.

وأوضحت المري أن المنظمين حريصون على استقطاب نخبة من المتحدثين لبحث الاتجاهات الجديدة في عالم الإعلام ومناقشتها ضمن أجواء تتسم بالواقعية بعيدًا عن المجاملات السياسية والدبلوماسية، ويتوقع أن يشارك في المنتدى نحو ٥٠٠ شخصية تتضمن رؤساء تحرير أبرز المؤسسات الإعلامية العربية والدولية، ونخبة من الصحافيين وكتّاب الأعمدة والأكاديميين والمحللين السياسيين إلى جانب عدد من المسؤولين الحكوميين.

وأكدت المري أنه منذ انعقاد الدورة الأولى للمنتدى في دبي أصبح حدثًا إعلاميًا سنويًا يحرص رواد الصحافة وأبرز الوجوه الإعلامية من مختلف أنحاء العالم على حضوره والمشاركة في فعاليته، وتنبع أهمية المنتدى من كونه المنتدى الإعلامي الدولي الوحيد الذي يركز في قضايا العالم العربي، كما يمثل فرصة مهمة لتبادل الأفكار والآراء.

فنون المدن الأولى

يقام حاليًا في متحف المتروبوليتان في مدينة نيويورك معرض بعنوان (فنون المدن الأولى)، ويضم المعرض أعمالاً فنية من الألفية الثالثة قبل الميلاد، تغطي مناطق شاسعة تمتد من شرق البحر الأبيض المتوسط حتى وادي السند شرقًا، ومن الجزيرة العربية حتى بلاد القوقاز شمالاً، وتمثل مدن سومر التي تقع في وسط العراق وجنوبه العمود الفقري لهذا المعرض والدراسات المصاحبة له، وقد



متحف المتروبوليتان

جمعت هذه الدراسات في كتاب يحمل اسم المعرض نفسه.

من ناحية أخرى أكّدت بعثة تابعة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (يونسكو) تضم في عضويتها تسعة أشخاص بينهم ممثل للشرطة الدولية (أنتربول) زارت العراق في الآونة الأخيرة أن وضع المواقع الأثرية والمتاحف والمكتبات في العراق (كارثي).

ودعا الأستاذ منير بوشناقي المدير العام المساعد للثقافة في اليونسكو في مؤتمر صحافي إلى تحرك عاجل؛ لأن التراث مجمله في خطر، وقال بوشناقي: «إن هناك عشرات اللصوص، واكتشفنا بأنفسنا في موقعين عمليات حفر غير شرعية واسعة»، وأضاف: «لقد فوجئنا وحزنا لمستوى تدهور المباني التاريخية والمواقع الأثرية في وسط البصرة وفي الموصل وأربيل».

ففي البصرة تقيم إحدى العائلات في المتحف، في حين تم نهب المكتبات وحرقها. وفي المقابل استعادت مكتبة الموصل كل كتبها تقريبًا ولا ينقص منها عدا نحو ١٠٪ فقط.

رحيل الشاعر محمد القيسي

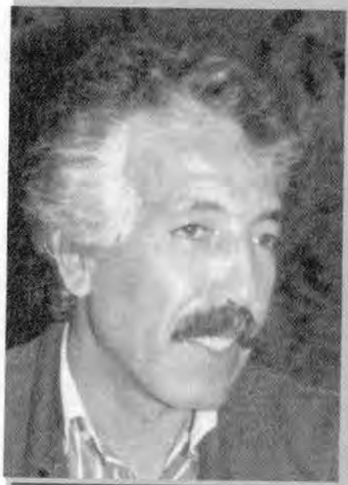
غيب الموت في مدينة عمان الأردنية في ٣جمادى الآخرة (الموافق اليوم الأول من شهر أغسطس/آب ٢٠٠٣م) الشاعر الفلسطيني محمد القيسي بعد غيبوبة دامت سبعة أيام أثر تعرضه لجلطة في المخ، وقد أقيمت عليه صلاة الميت في مدينة عمان قبل نقل جثمانه إلى مقبرة ياجوز التابعة لمدينة الرصيفة.

وقد أقيم له حفل تأبين ألقي فيه عدد من الكلمات كان من بينها كلمة للرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ألقاها نيابة عنه أحد موظفي السفارة الفلسطينية بعمان، وكلمة للشاعر الأردني موسى حوامدة، وأخرى للناقد المعروف فخري صالح، والكاتب رشاد أبوشادر، وختم حفل التأبين بكلمة أهل الفقيد التي ألقاها ابن شقيقه الشاعر بسام القيسي.

وقد حضر الصلاة على الفقيد ومراسم الدفن عدد كبير من الكُتّاب والمثقفين والأدباء من بينهم: الدكتور خالد الكركي وزير الثقافة ورئيس الديوان الملكي الأردني الأسبق، والكاتب محمود الريماوي، والشاعر إبراهيم نصرالله، والدكتور إبراهيم الخطيب.

ولد محمد القيسي في قرية كفرعانة بالقرب من مدينة يافا الفلسطينية في عام ١٩٤٤م، وتنقل مع أسرته في كثير من مخيمات اللاجئين الفلسطينيين بعد هجرة عام ١٩٤٨م. وحصل على شهادة البكالوريوس في الأدب العربي، وعمل سنوات في سلك التعليم في مدينة الدمام في السعودية ، ثم أمضى أربع سنوات متنقلاً بين بغداد ودمشق وبيروت والكويت وبنغازي قبل أن يستقر في مدينة عمان في الأردن عام ١٩٧٧م.

ويعد الشاعر الراحل من الشعراء المكثرين في جيله، إذ بلغ إنتاجه الأدبي نحو ٢٥ مجموعة شعرية منها: «راية في الريح» ١٩٦٨م، و«خماسية الموت والحياة» ١٩٧١م، و«رياح عزالدين القسام» ١٩٧٤م، و«الحداد يليق بحيفا» ١٩٧٥م، و«إناء لأزهار سارا، زعتر لأيتامها» ١٩٧٩م، و«اشتعالات عبدالله وأيامه» ١٩٨١م، و«وكم يلزم من موت لنكون معًا» ١٩٨٣م، و«الوقوف في جرش» ١٩٨٣م، و«منازل



محمد القيسي

في الأفق» ١٩٨٥م، و«كل مـــا هنالك» ١٩٨٦م، و«كتاب حمدة»، و«عائلة المشاة» ١٩٩٠م، وغير ذلك من الدواوين.

وقد أصدر الشاعر الراحل أعماله الشعرية في ثلاثة مجلدات عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام ١٩٩٩م، وله رواية بعنوان «الحديقة السرية» صدرت هذا العام، بالإضافة إلى رواية أخرى غير منشورة بعنوان «شرفة في قفص» كان قد أرسلها إلى الدار نفسها قبل إصابته بالجلطة بيوم واحد.

مؤتمر دولي للترجمة

من المقرر أن تستضيف العاصمة الماليزية كوالالمبور في الفترة من الرابع إلى التاسع من سبتمبر/أيلول المقبل مؤتمرًا حول ترجمة الكتب العلمية من اللغة الصينية والروسية والألمانية والإنجليزية إلى اللغة الماليزية تنظمه غرفة اللغة وشؤون المكتبة الماليزية.

وقد صرح السيد عبدالعزيز درامان المدير العام للغرفة أن المؤتمر سينظم من أجل تعزيز اللغة الماليزية الوطنية والاستفادة من الترجمة لتتم الاستفادة منها على أوسع نطاق.

ويهدف هذا المؤتمر، الذي يجيء بعنوان «الترجمة في مجال التعليم»، إلى جمع المترجمين المتخصصين في كل اللغات في المنتدى الدولي، وسوف تستخدم في المؤتمر اللغتان الماليزية والإنجليزية.

الفائزون بجائزة ابن بطوطة

أعلنت دار السويدي الثقافية مؤخرًا عن منح جائزة ابن بطوطة المخصصة لأفضل الأعمال في أدب الرحلات، التي أعلن عن إطلاقها مطلع السنة الجارية إلى ثلاثة من المحققين الأدبيين المغاربة وشاعر ورحالة عماني.

وقال الشاعر نوري الجراح المشرف على مشروع «ارتياد الآفاق» لأدب الرحلات في دار السويدي: «إن لجنة تحكيم الجائزة تشكلت من خمسة أعضاء هم: شعيب حليفي، وعبدالنبي ذاكر من المغرب، ومحمد لطفي اليوسفي من تونس، والشاعر علي كنعان من سورية، وشاكر لعيبي من العراق».

ومنحت اللجنة جائزة المخطوطة التي لا تقل صفحاتها الأصلية عن ٢٠٠ صفحة وقيمتها ٢٥٠٠ دولار إلى محمد بوكبوط من المغرب عن تحقيقه مخطوط رحلة «إحراز المعلى في حج بيت الله الحرام» لعام ١٧٨٥م لمحمد بن عبدالوهاب ابن عثمان المكناسي.



رسم متخيل لابن بطوط

وحصل سعيد فاضلي من المغرب على جائزة المخطوطة التي لا تقل صفحاتها الأصلية عن ١٥٠ وقيمتها ٢٠٠٠ دولار عن تحقيقه مخطوط «رحلة أوروبة» لعام ١٩١٩م، لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي.

وفاز المغربي عبدالرحيم مؤذنه بجائزة المخطوطة التي لا تزيد صفحاتها الأصلية على ١٠٠ وقيمتها ١٥٠٠ دولار عن تحقيقه مخطوط «الرحلة التتويجية لعاصمة البلاد الإنجليزية» لعام ١٩٠٢م، للحسن بن محمد الغسال.

وحصل الشاعر العماني محمد الحارثي على جائزة أفضل كتاب يضعه مؤلف عربي معاصر عن رحلة أو رحلات قام بها، وقيمتها ألف دولار عن كتابه «عين وجناح.. رحلات في الجزر العذراء.. زنجبار تايلاند.. فيتنام الأندلس والربع الخالي».



العبود، فهد بن ناصر بن دهام/ الحكومة الإلكترونية بين التخطيط والتنفيذ.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ١٧٢ص، (السلسلة الثانية؛ ٤١).

يعرض هذا الكتاب ما أحدثته تقنيات المعلومات من قفزة نوعية هائلة في مجال تطوير العمل وكفاءته ودقته وزيادة إنتاجيته، وما تم من تسخير الحاسوب والإنترنت للقيام بالكثير من الأعمال التي كانت تؤدى بشكل تقليدي، حتى أصبحت الدول تتنافس في إنجاز الأعمال التي تهم الناس في حياتهم اليومية عن طريق شبكة المعلومات العالمية «الإنترنت». ونتيجة لاستخدام التقنية في تأدية الأعمال وتقديم الخدمات المختلفة، ظهرت الحكومات الإلكترونية في بعض الدول التي جعلت من استخدام التقنية شعارًا لخدمة مواطنيها بغض النظر عن مواقعهم الجغرافية أو مستواهم المعيشي، أو أي أمور أخرى، وإتاحة فرص وصول كل مواطن إلى الشبكة العالمية «الإنترنت»، والعمل على إزالة مايسمى خط التقسيم الرقمي، وجعل الفرص متساوية وعادلة بين المواطنين في كل مكان من الدولة.

اشتمل الكتاب على أربعة فصول رئيسة: يتناول الأول نشأة الحكومة الإلكترونية، ويتناول الفصل الثاني الخدمات التي تقدمها الحكومة الإلكترونية، ويستعرض الفصل الثالث تجارب بعض دول أوربا في هذا المجال، ونموذج الحكومة الإلكترونية في أوربا تخطيطًا وتنفيذًا، كما تطرق هذا الفصل إلى تجربة الولايات المتحدة الأمريكية في هذا المجال.

ويتناول الفصل الرابع عناصر الحكومة الإلكترونية، ومكوناتها، وبنيتها مع الشرح بالتفصيل، كما تطرق إلى مراحل تطبيق الحكومة الإلكترنية ومتطلبات كل مرحلة من المراحل.



حوات، محمد علي/ مفهوم الشرق أوسطية وتأثيرها على الأمن القومي العربي.- القاهرة : مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢م، ٤٣٥ص.

يشير الكتاب إلى أن منطقة الشرق الأوسط تعد من أهم المناطق المؤثرة في توازن القوى والمصالح في العالم، فموقعها الإستراتيجي الفريد جعلها محكومة بقانون التداخل والتعارض بين الأضداد، كما أن توسط موقعها بين قارات العالم القديم أوربا وآسيا وإفريقية، وتماسكها جغرافيًا، وتحكمها في أهم الممرات الدولية مثل قناة السويس ومضيق باب المندب ومضيق هرمز، ومضيق جبل طارق والبوسفور والدردنيل، واحتضانها حوض البحر الأحمر وإشرافها على جنوب البحر المتوسط وشرقه والبحر العربي، وإطلالها على المحيطين الهندي والأطلنطي، كل ذلك قد جعل منها منطقة ذات أهمية قصوى في العلاقات الدولية وذات تأثير كبير في تضارب المصالح العالمية، ويشكل الوطن العربي الجزء الأكبر والأهم من الناحية

الجيوستراتيجية والجيوبوليتيكية المتمثلة في مساحة الوطن العربي، وموقعه المهم، وامتلاكه أكبر مخزون عالمي من النفط والغاز.

ويوضح المؤلف أن تاريخ استخدام مصطلح الشرق الأوسط يرجع إلى منتصف القرن التاسع عشر عندما استخدمه المكتب البريطاني في الهند، وتبنّاه المؤرخ الإستراتيجي الفريد ماهان صاحب نظرية القوى البحرية في التاريخ عام ١٩٠٢م.

ويضيف المؤلف أنه انطلاقًا من معطيات هذه الإستراتيجية ظهر مفهوم السوق الشرق أوسطية الجديدة بعد مؤتمر مدريد، والمفاوضات المتعددة الأطراف، ثم جاء اتفاق أوسلو، ومعاهدة وادي عربة لتنهي ما تبقى من الثوابت والمحرمات العربية، فاندفعت بعض الأنظمة العربية من دون وعي ومن دون تخطيط إلى مؤتمر الدار البيضاء الأول للشرق أوسطية لتحقق بذلك أحلام التحالف الصهيوني الأمريكي في دمج إسرائيل في نسيج المنطقة لتكون لها السيادة والقيادة بحكم تفوقها العسكري والتكنولوجي والاقتصادي.



السحيباني، حمد بن صالح/ الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم: عصر ملوك الطوائف في الأندلس أنموذجًا ـ الرياض: مجلة البيان، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ٢٧٢ص، (كتاب المنتدى؛ ٣٩).

تسعى هذه الدراسة إلى تحديد العوامل والأسباب التي أدت إلى تفكك الأندلس وسقوط ملوك الطوائف من خلال الفصل الأول: عوامل الضعف المعنوي عند المسلمين في عصر ملوك الطوائف، أما الفصل الثاني: فيرصد أهم مظاهر الضعف المعنوي، وفي الفصل الثالث جاء الحديث عن آثار الضعف المعنوي ونتائجه، وانتهت الدراسة بخاتمة توصل فيها المؤلف إلى أن ذلك الضعف وما صاحبه من مظاهر مرضية قد خلّف عدداً من الآثار والنتائج، وفي مقدمتها الضعف العسكري وما صاحبه من امتداد المد النصراني، وضعف الثغور في تلك الديار، إضافة إلى تردي الحالة الأمنية، وضعف الاقتصاد، وانتشار الفقر، وكثرة القلق النفسي بين الناس.

ويعطي المؤلف صورة واضحة عن موضوع كتابه فيقول: «ممالا شك فيه أن القوة المعنوية ماهي إلا نوع مهم من أنواع القوة التي دعا الإسلام إليها وأمر بها، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده يسعون دائمًا إلى تأصيلها في نفوس المسلمين، في كل شؤون حياتهم الاجتماعية والسياسية والحربية، ولما دخل المسلمون الفاتحون بلاد الأندلس، كان الجيش الفاتح يتمتع بروح معنوية قوية، لأن أفراده التزموا تعاليم الإسلام الشاملة التزامًا حقيقيًا، كما فهم قادته الأوائل الجهاد في سبيل الله على حقيقته، وبعد أن انهارت الخلافة الأموية في الأندلس، قام على أنقاضها عدد من الدويلات الإسلامية، فتحولت الوحدة إلى فرقة، والاجتماع إلى تشتت، ومما لا شك فيه أن هذا التحول الذي مني به مجتمع ملوك الطوائف بكل فئاته لم ينشأ من فراغ، كما لم يكن وليد يوم أو ليلة، وإنما تمخض نتيجة لعدد من العوامل والأسباب».

تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢م/ مجموعة باحثين - عمان: المكتب الإقليمي للدول العربية، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ٢٠٠٢م، ١٣٤ص.



هذا هو تقرير التنمية الإنسانية الإقليمي الأول للبلدان العربية الذي يغطي ٢٢ بلدًا عربيًا، تمتد من المغرب إلى الخليج، ويلاحظ التقرير بصورة عامة أن الدول العربية حققت تقدمًا كبيرًا في التنمية البشرية على مدى العقود الثلاثة الماضية، فقد زاد العمر المتوقع عند الميلاد ١٥ عامًا؛ وانخفضت معدلات وفيات الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ٥ سنوات بنحو الثلثين، وتضاعفت تقريبًا نسبة البالغين الملمين بالقراءة والكتابة ثلاث مرات، مما يعكس زيادة كبيرة جدًا في إجمالي الالتحاق بالمؤسسات التعليمية، بما في ذلك التحاق البنات، وارتفع نصيب الفرد من السعرات الحرارية فيما يتناوله من غذاء، كما ارتفع نصيبه من الماء الصالح للشرب، وأصبحت حالات الفقر المدقع أقل مما هي عليه في أي منطقة نامية أخرى، لكن التقرير يوضح بجلاء أيضًا أن هناك الكثير مما لا يزال ينبغي عمله لإعلاء صوت الناس في الشأن العام، وتوفير خيارات اجتماعية، وفرص اقتصادية للأجيال الحاضرة وأجيال المستقبل. ويلخص التقرير إلى ضرورة أن تتوافر في البلدان العربية إعادة تأسيس المجتمعات العربية على:

- الاحترام القاطع للحقوق والحريات الإنسانية بوصفه حجر الزاوية في بناء الحكم الصالح المحقق للتنمية الإنسانية.
- تمكين المرأة العربية، عبر إتاحة جميع الفرص، خاصة تلك الممكنة في بناء القدرات البشرية للبنات والنساء.
- ترسيخ اكتساب المعرفة، وتوظيفها بفعالية وكفاءة في بناء القدرات البشرية.

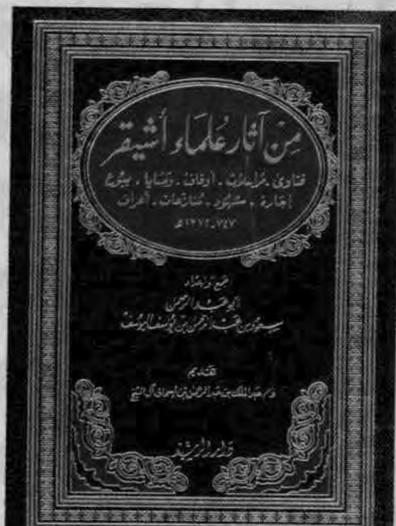
الدقاق، شكري ومحمود سمير عبدالفتاح/ الأحكام الأساسية للشريعة الإسلامية - الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٢م، ٣٥٧ص.



يتضمن هذا الكتاب خمسة أبواب رئيسة: يتناول الباب الأول مصادر التشريع الإسلامي وهي: القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والإجماع، والقياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وسد الذرائع، ويناقش الباب الثاني «التنظيم الاجتماعي للأسرة»، ويتطرق من خلاله إلى الزواج وآثاره، والطلاق وأركانه، وحقوق الأولاد، والولاية على النفس والمال.

أما الباب الثالث: فيتطرق إلى موضوع «الميراث والوصية في الإسلام»، ويوضّح التركة والحقوق المتعلقة بها، وأسباب الإرث وشروطه، والمستحقين للميراث ومراتبهم، والوصية الواجبة.

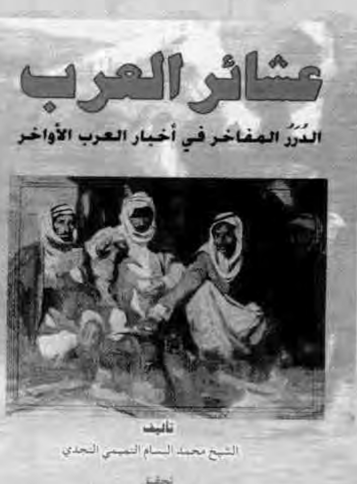
بينما يتحدث الباب الرابع عن «التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية»، وجاء الباب الأخير عن «الشريعة الإسلامية وقضايا العصر»، وتضمن أربعة فصول: «الشريعة الإسلامية والخدمة الاجتماعية»، و«هدى الإسلام وأهميته في بناء المجتمع الصالح»، و«الإسلام والأسرة»، و«الشريعة الإسلامية والإخصائي الاجتماعي».



اليوسف، سعود بن عبدالرحمن بن يوسف/ من آثار علماء أشيقر، تقديم: عبدالملك ابن عبدالرحمن بن إسحاق آل الشيخ - الرياض: المؤلف،١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ٦٩٧ص.

يشتمل هذا الكتاب على مجموعة كبيرة من الوصايا الشرعية والفتاوى العلمية ووثائق الصُّوام ووثائق بعض الأسر، التي بلغت أكثر من مئتين وسبعين وثيقة كتبت بخطوط مختلفة، ويضم الكتاب بين دفتيه ثمانية أبواب رئيسة: يتناول الأول المكانة العلمية لأشيقر، والمتمثلة في الحركة العلمية والمدارس، ونماذج من الرسائل الشخصية والعلمية، وتراجم لبعض علماء أشيقر، وخصص الباب الثاني للفتاوى، بينما استعرض الباب الثالث المراسلات الشرعية والشخصية بين العلماء، وناقش الباب الرابع الفوائد الشرعية، وجاء الباب الخامس عن الأوقاف والوصايا قدّم فيه المؤلف تعريفًا للوقوف، وذكر أسماءها الموجودة في أشيقر، والوثائق التي استعرضها، وأورد في الباب السادس نماذج للبيوع والإجارة بأسماء أهالي أشيقر.

وبين الباب السابع أمثلة الشهود والمنازعات في أشيقر. وجاء الباب الأخير عن الأعراف في أشيقر مثل: عرف البلد في الوقف، وفي سعة الطريق، وفي المغارسة وفي السيل، وفي حفر الآبار. واحتوى الكتاب على صور الوثائق، إضافة إلى خاتمة البحث، التي أوضح فيها المؤلف أنه أبقى المتون على أصولها كما جاءت رسمًا وأسلوبًا وإملاءً ولغة على ما فيها من أخطاء تخالف القواعد الخاصة في ذلك، كما تقتضي الأمانة العلمية، ولم يصوب منها إلا ما يحتاج إليه القارئ، وقد تم ذلك في الهامش.



النجدي، محمد البسام التميمي/ عشائرالعرب: الدُرَرُ المفاخر في أخبار العرب الأواخر، تحقيق : رمزية محمد الأطرقجي - بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ١٣٤ص.

يعد مؤلف هذا الكتاب محمد بن أحمد البسام التميمي - المتوفى سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣١م، من المهتمين بالأنساب في القرن الثالث عشر، وهو من بيوت تميم المعروفة في العراق والجزيرة، وبغداد والبصرة ونجد والقصيم. وتميم من القبائل المشهورة التي تنتمي إليها أشراف البيوت في مضر - وقد كان الشرف من نزار في مضر وتميم.

وقد ذكر «البسام» مؤلف «الدرر المفاخر» عباس العزاوي في كتاب «عشائر العراق»، وترجم له الزركلي في الأعلام، وعمر رضا كحالة في (معجم المؤلفين) ، كما ترجم له السيد عبدالرزاق كمونة في «منية الراغبين».

ويعد هذا الكتاب حلقة مهمة في سلاسل كتب الأنساب العربية، فقد ذكر المؤلف قبائل اليمن، وتهامة، والحجاز، ونجد، وعمان، والأحساء، والعراق.

الحمداني، طارق/ الملاحة العربية في عصور ازدهارها ـ أبوظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٢م، ١٨٢ص.



يلقي هذا الكتاب الضوء على عصور ازدهار الملاحة العربية، ويكشف للتاريخ الجغرافي أن العرب من خلال ما أبدعه فكرهم أثبتوا كروية الأرض قبل غيرهم حين قالوا إنها مدورة كتدوير الكرة، موضوعة في جوف الفلك، كالمحَّة في جوف البيضة، والنسيم حول الأرض، وهو جاذب لها في جميع جوانبها إلى الفلك، فمهدوا بذلك الطريق إلى العالم من خلال البر والبحر، وبرز منهم العلماء في مجال ركوب البحر، وأرسوا قواعد الإبحار فيه حتى فتحوا لربابنة سفن أوربا طريق الوصول إلى الهند، بعد أن رافقوا أو استطلعوا ما جادت به أفكار أسد البحر «ابن ماجد». ولربمًا تكون قرائح أفكار البحارة العرب قد أسهمت في وصول «كولومبس» إلى الأمريكيتين على الرغم من غشاوة التاريخ التي أخفت جهودهم.

وقد أيّد المؤلف قول القائل بإرشاد الملاح أحمد بن ماجد لفاسكو دو جاما الذي دحضته عدة دراسات وأبحاث ، منها كتاب «بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد» للشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي.

يضم الكتاب فصولاً عن: محاولات العرب المسلمين البحرية في الوصول إلى القارة الأمريكية، وابن ماجد وإرشاد البرتغاليين إلى الهند، والسفن التجارية العربية والهندية بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر، والقوى البحرية ودورها في مواجهة البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي في بداية القرن العاشر الهجري.

ندوة مستقبل الثقافة في العالم العربي (مجموعة باحثين) ـ الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ١١٩٠ص، (سلسلة الأعمال المحكمة؛ ٤١).

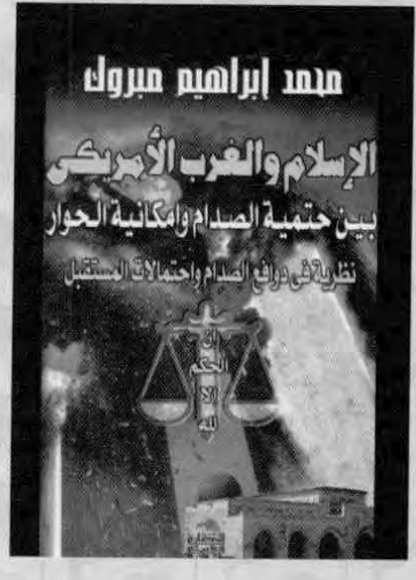


هذا الكتاب هو ندوة نظمتها مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الفترة من ٢٥إلى ٢٧ شعبان ١٤٢١هـ الموافق من ٢١ إلى ٢٣ نوفمبر عام ٢٠٠٠م، وشارك فيها نحو ٦٤ من المفكرين والمثقفين العرب، وتهدف الندوة إلى تحقيق وعي أفضل بواقع الثقافة في العالم العربي، وتعميق الإحساس بأهمية الثقافة في المجتمعات العربية، وتشجيع الجميع على تنميتها، والوقوف على أهم المشكلات التي يعيشها الواقع الثقافي والبحث عن الحلول المناسبة، وتكوين تصور معمق وشمولي لمستقبل الثقافة في العالم العربي.

وتتضمن الندوة ثلاثة محاور: الأول عن «واقع الثقافة في العالم العربي» ويشتمل على السياسات والخطط الثقافية العربية: تحليل وتقويم، ودور المنظمات العالمية والعربية والإسلامية في تطوير الثقافة، ودراسة واقع المستوى الثقافي للإنسان العربي، والثقافة والطفولة في المجتمعات العربية، والبنية الثقافية في الدول العربية.

أما المحور الثاني فيتناول «آفاق المستقبل»، وينقسم إلى : آفاق إسلامية، ومسائل فكرية ونظرية، والثقافة والتعليم، والثقافة والتطور العلمي والتقني، والثقافة والفنون، والثقافة وأنظمة الاتصال المعاصر،والثقافة، والاقتصاد، ومستقبل المثقف العربي، والتراث الشعبي، ومشكلات وعوائق عامة تواجه المستقبل الثقافي للوطن العربي.

ويتناول المحور الثالث «الأبعاد الثقافية العالمية»، ويشمل: الثقافة في الوطن العربي من منظور عالمي، والثقافة في العالم العربي، والثقافة في العالم غير العربي.



مبروك، محمد إبراهيم/ الإسلام والغرب الإمريكي بين حتمية الصدام وإمكانية الحوار: نظرية في دوافع الصدام واحتمالات المستقبل ـ القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٢م، ٢٤٩ص.

يتناول الجزء الأول من هذا الكتاب دوافع الصدام بين الغرب والإسلام من خلال المنظورين الغربي والإسلامي، وتتمثل دوافع الصدام من المنظور الغربي في: الإرث التاريخي، وموقف الغرب من إسرائيل، والاقتصاد وصندوق النقد ومساندة الأنظمة، وانتهاء الحرب الباردة والإيديولوجية، والاستشراق والإعلام والدراسات الغربية.

أما دوافع الصدام من المنظور الإسلامي فتتمثل في: رؤية الإخوان للغرب، ورؤية السلفيين للغرب، ورؤية الجهاديين، ورؤية الثورة الإيرانية.

وفي الجزء الثاني يحاول المؤلف بلورة نظرية في دوافع الصدام واحتمالات المستقبل من خلال الغوص في تاريخ الأديان، والمذاهب والفلسفات، والتيارات الإسلامية المختلفة، وأصولها، وتطوراتها التاريخية، وصراعاتها الأيديولوجية وتفاعلاتها الواقعية ليخلص من كل ذلك إلى نظرية كونية تكشف الحقائق الكامنة وراء الصراعات العالمية القائمة، وتعمل في الوقت نفسه على تحقيق الغايات الإسلامية الرسالية التي تتلاقى مع الطموحات الإنسانية الأصيلة.

وجاءت عناوين الجزء الثاني كالآتي: المقومات البنيوية للحضارة الغربية، والإسلام وموقفه من العقل والديانات السماوية السابقة له، ونظرة كل من الغرب والإسلام إلى الحملات الصليبية، والثورة على المسيحية الثالوثية البابوية في العصور الوسطى، والثورة على المسيحية البابوية في عصري النهضة والتنوير، وسيطرة البراجماتية الأمريكية على العالم، ولماذا يكره العالم أمريكا؟ (شهود على الجرائم الأمريكية)، ولماذا الإسلام هو الأيديولوجية الوحيدة القادرة على الوقوف في مواجهة الغرب؟، وتطور الحركة الإسلامية من الأفغاني إلى الواقع المعاصر، دوافع الصدام، والملا عمر رمز براءة الحلم الذبيح، والمشروع الحضاري الإسلامي والطريق الثالث بين الجهاد والإخوان، والفكر الأمريكي ما بعد أحداث سبتمبر(مناقشة فوكوياما وهنتنجتون فيما كتباه بعد هذه الأحداث).

المنار الجديد (ع٢٢، س٦، ربيع ١٤٢٤هـ، إبريل ٢٠٠٣م)



مجلة فصلية تعنى بالمقالات والبحوث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران، تصدر عن دار المنار الجديد للنشر والتوزيع بالقاهرة بالتعاون مع التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية.

احتوى هذا العدد على مقالات ودراسات متنوعة، بالإضافة إلى مراجعات الكتب وملف الحياة الثقافية، وجاءت افتتاحية العدد بعنوان «ورقة في هموم العمل الدعوي» لسلمان بن فهد العودة، وركز باب الدراسات في مفهوم السلفية إذ كتب الأستاذ محمد بن المختار الشنقيطي عن مخاض الفكر السلفي، وبيّن الدكتور محمد العبدة أن السلفية منهج وليست حزبًا، وناقش عبدالسلام البسيوني مفهوم السلفية بين تفرق الأبناء .. وخطل الأدعياء .. وكلب الأعداء، وسأل حسام تمام عن لماذا لا يكتب الإخوان تاريخهم ؟.

وفي باب المقالات: قدم معتز الخطيب مقالاً بعنوان «مقاربة أزمة الحضارة .. من خلال مفهوم الحرب»، وناقش علاء النادي إشكالية الغرب في الخطاب الحركي الإسلامي، وكتب الدكتور أحمد شوقي إبراهيم عن المنهج العلمي في بيان الإعجاز في القرآن والسنة.

وتضمن العدد مراجعة لكتاب المخرج مايكل مور «أمريكا في قبضة رجال بيض أغبياء» قدمها الدكتور طارق عبدالحليم، وقدم الدكتور بهاء الأمير الرأي الآخر لكتاب «بروتوكولات حكماء صهيون»، وفي منتدى المنار عقب الدكتور طارق عبدالحليم على مقال سابق للدكتور جابر قميحة بعنوان «أين التيار التجديدي؟ وأين الموضوعية ؟»

وفي باب الحياة الثقافية كتب الشيخ زهير الشاويش مقالاً بعنوان «شكيب أرسلان إخاء الفكر والجهاد»، ومن الأبواب الثابتة باب «إصدارات» أعده مصطفى الأزهري.

العنوان: ص. ب (٢٨) ـ البانورما ـ الرمز البريدي ١١٨١١ ـ القاهرة
العنوان: هاتف : ٤٨٥٢٨٢١
ناسوخ: ٦٨٤٤١٨١
بريد إلكتروني: gsultan@tedata.net.eg

حولية كلية المعلمين في أبها (ع٤، ١٤٢٤هـ)



مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز البحوث التربوية بكلية المعلمين في أبها.

اشتمل هذا العدد على بحوث ودراسات متنوعة، بدأت بقضية العدد وهي مناقشة توصيات اللقاء الأول لرؤساء مراكز البحوث والدراسات التربوية في كليات المعلمين، وفي باب البحوث المحكمة كتب الدكتور يحيى بن عبدالله البكري عن الجهاد ومعالمه التربوية في ضوء السنة النبوية، وقدم الدكتور عدنان بن حسن باحارث رؤية معاصرة عن المنطلقات الأساسية للتربية الاقتصادية في نظام الإسلام التربوي، وتناول

عبدالقادر بن محمد عطا صوفي موضوع المضامين التربوية لأسماء الله الحسنى.

وتناول العدد بحوثاً غير محكمة جاءت كالآتي: «الأسلحة الكيمائية والبيولوجية» للدكتور عبدالله بن غدران السهيمي والدكتور عبدالمنعم محمد سعدابي، و«الأنشطة الطلابية ودورها في العملية التربوية» للدكتور السعيد محمود السعيد عثمان، و«التنوير البيئي لطلاب كليات المعلمين بالمملكة ضرورة ملحة» للدكتور عبدالسلام مصطفى عبدالسلام، و«العلاقة بين علم التربية وعلم النفس». للدكتور صالح بن علي أبو عرّاد، و«في ظلال الأحرف السبعة» للأستاذ قسيم طالب قسيم الكفارنة، و«نظرات لغوية في ضوء القرآن وقراءاته» للدكتور عبدالناصر إسماعيل عساف.

أما باب المقالات والموضوعات فقد اشتمل على خمس مشاركات متنوعة، وختم العدد بباب ملخصات الرسائل الجامعية الذي تضمن عشر رسائل تقدم بها أصحابها لنيل درجات علمية في تخصصات مختلفة.

العنوان: المملكة العربية السعودية ـ أبها

كلية المعلمين ـ مركز البحوث التربوية ـ ص.ب (٢٤٩)

الدارة (س٢٩، ع٢، ١٤٢٤هـ)



مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز، وتعنى بنشر البحوث العلمية ذات العلاقة بتاريخ المملكة العربية السعودية، وجغرافيتها، وآدابها، وآثارها الفكرية والعمرانية خاصة، والجزيرة العربية والعالم العربي والإسلامي عامة، تضمن هذا العدد من الفصلية عدة موضوعات، ففي بباب البحوث نقرأ الآتي: «الغطاء النباتي لشمال المملكة العربية السعودية في أوائل القرن العشرين الميلادي من خلال كتاب «شمال نجد» لإلويس موزل للدكتور عبداللطيف بن حمود النافع، و«التأليف في شبه جزيرة العرب كما ظهر في هدية العارفين» للدكتور عبدالرحمن بن حمد العكرش، و«الاتجاهات العلمية في المصنفات الجغرافية الإسلامية» للدكتور مساعد بن عبدالرحمن الجخيدب.

وفي باب الوثائق قدم الدكتور سهيل صابان معلومات عن تقارير أحمد مختار باشا العثمانية عن الجزيرة العربية.

وتضمن العدد بحثاً بعنوان «سياسة بريطانيا في الجزيرة العربية ١٩١٩ ـ ١٩٢٦م، (١٣٣٧ـ ١٣٤٤هـ)» لهاري سنت جون فيلبي، ترجمه جمال محمود حجر، وقدم الدكتور محمد سليمان الخضيري مراجعة لكتاب «تاريخ الدولة السعودية الثانية» للدكتور عبدالفتاح حسن أبو علية، وختم العدد بملخصات الكتب، والتعقيبات، والتعليقات.

العنوان: ص. ب: ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٠١١٩٩٩ ـ ناسوخ: ٤٠١٣٥٩٧

بريد إلكتروني: magazine@darah.org.sa

المدارس السعودية في موسكو ودور ريادي

موسكو: خاص ـ الفيصل

أصبحت موسكو ومنذ مطلع التسعينيات مسرحًا لنشاط عدد من المؤسسات الثقافية الأوربية والأمريكية، وكذلك بعض الدول الآسيوية كاليابان والصين وغيرهما، والتي أخذت تحاول الدخول إلى الحياة الثقافية الروسية والتأثير فيها لأنها كانت تعاني نقصًا وضعفًا كبيرين في ذلك الوقت . أما النشاط الثقافي العربي فقد كان محدودًا جدًا، ومقتصرًا على بعض المسائل السياسية التي أغفلت بشكل واضح الجوانب الثقافية في هذا البلد الكبير. ثم جاءت المدارس السعودية في موسكو لتقوم بتعويض الغياب العربي والإسلامي في روسيا، ولتكون جسرًا موصلاً بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الروسية.

والمدارس السعودية في موسكو هي صرح علمي عربي يقوم بتقديم خدماته الكبيرة لأبناء الجالية العربية والإسلامية، وأصبح بفضل الدعم والرعاية اللذين توليهما له المملكة والجهود الكبيرة المتفانية التي يبذلها القائمون عليه من أهم المراكز التعليمية والثقافية العربية الإسلامية في روسيا كلها. وتقوم المدارس السعودية في موسكو بتعليم أبناء العرب والمسلمين على مختلف مستوياتهم تعليمًا كاملاً، وتحظى بإقبال كبير ورغبة ملحة تفوق الوصف حتى أصبح المبنى الكبير للمدارس لا يكاد يسع الأعداد الغفيرة من الطلاب في القسم الصباحي وفي مختلف مراحل الدراسة (الابتدائية، المتوسطة، الثانوية).

يقول الأستاذ ماجد بن عبيد الحربي مدير عام المدارس السعودية في موسكو: إن المدارس السعودية في موسكو هي واحدة من جملة مدارس وأكاديميات قامت المملكة العربية السعودية بإنشائها في الخارج لتقديم الرعاية التعليمية لأبناء الجالية العربية والإسلامية، وكذلك لأبناء العاملين السعوديين في السلك الدبلوماسي في الخارج. وقد أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (حفظه الله) بتاريخ ٤ربيع الأول١٤١٣هـ، بإنشاء هذه المدارس لتكون المؤسسة التعليمية الثقافية العربية المتميزة في موسكو عاصمة الثقافة الروسية العريقة والثرية بتاريخها وحاضرها. وقد لقي افتتاح هذه المدارس صدى واسعًا من قبل كل عربي ومسلم يعيش في روسيا لأنها أصبحت توفر لهم ما يحتاجون إليه من طاقات تعليمية رفيعة المستوى، ومستلزمات عصرية تساير تقدم العلوم وتطورها. كما أن المدارس السعودية في موسكو أصبحت من المؤسسات العلمية العربية القليلة المؤثرة في الساحة الروسية، لما تملكه من إمكانات جعلت برامجها تشكل تظاهرة ثقافية عربية.

القسم الصباحي

وصل عدد طلاب الفترة الصباحية للعام الدراسي ١٤٢٤هـ، إلى ما يقرب من ٥٠٠ طالب وطالبة ينتمون إلى أكثر من ٣٥ جنسية وقومية مختلفة، ويتلقون تعليمهم حسب منهج وزارة التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية. ويضم القسم الصباحي في المدارس السعودية برنامجًا لتعليم الصغار اللغة العربية قبل التحاقهم في المرحلة الأولى. ومدة هذا البرنامج سنة واحدة، يلتحق بعده المتخرج في السلم التعليمي السعودي. والمراحل الدراسية في المدارس السعودية في موسكو متطابقة مع المراحل الدراسية في المملكة.

وتوجد في المدارس السعودية مختبرات الحاسب الآلي ومعامله، وكذلك مختبرات لمواد الكيمياء، والفيزياء، قامت المدارس بتجهيزها بأحدث الأدوات والمعدات العلمية للقيام بالتجارب التطبيقية مما يمنح الفرصة الكاملة للطالب للتفوق والإبداع. وتحتوي المدارس السعودية على مكتبة ضخمة تضم أكثر من ٢٠ ألف كتاب تحتل قاعة كبيرة مهيأة.



القسم المسائي

تم افتتاح هذا القسم قبل تسع سنوات يختص ببرامج مستقلة وخاصة بتعليم اللغة العربية لأبناء الجالية الإسلامية في روسيا وللمواطنين الروس. ومنذ سبع سنوات يقوم صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بتمويل هذه البرامج شخصيًا وبمبلغ قدره ٢٥ ألف دولار سنويًا. يلتحق في هذا البرنامج ٨٠٠ طالب وطالبة من مختلف الأعمار والمستويات ويمثلون ٣٦ جنسية وقومية منهم نسبة كبيرة تنتظم في المدارس السعودية، وقسم آخر موزع على معهد بوشكين، وأكاديمية موسكو للعلوم الإنسانية والاجتماعية وبعض المدارس الروسية في أحياء موسكو، وكذلك في أكاديمية العلوم الروسية في مدينة سان بطرسبورغ. كما توجد أيضًا مجموعات تتعلم اللغة العربية في مدينة كيروف من خلال مدرسة استشراقية موجودة في تلك المدينة. وقد أصبحت البرامج المسائية تشكل تظاهرة ثقافية عربية كبيرة، وجسرًا للحوار والتعاون بين العرب والمجتمع الروسي من خلال استقطابه كثيرًا من الشخصيات العلمية والثقافية الروسية وغيرهم من رموز التدريس من المستعربين الروس في المعاهد والجامعات الروسية، وأصبح الشعب الروسي من خلالها مقبلاً على الثقافة العربية الإسلامية، ومتفهمًا عن قرب للقضايا العربية والإسلامية. وهذه هي هدية مقدمة من المملكة العربية السعودية دليل صداقة وتعاون ومحبة للمسلمين وللمجتمع الثقافي الروسي بشكل عام.

وعدد سنوات الدراسة في القسم المسائي ست سنوات، مدة الدراسة لكل سنة ٨ أشهر، يدرس الطالب خلالها ٨ ساعات في الأسبوع من خلال برنامج علمي مكثف لتعليم اللغة العربية، وتحفيظ القرآن الكريم وللمستويات كافة وللجنسين ولمختلف الأعمار.

النمو والتطور

لقد استمر نمو المدارس السعودية حتى أصبحت في عامها الثاني عشر تضم في قسمها الصباحي ٢٢ فصلاً يعمل فيها ٤١ معلمًا ومعلمة في مختلف التخصصات العلمية والتربوية منهم ٩ موفدين من المملكة بينما تم التعاقد مع المعلمين الآخرين من موسكو، وهم يمثلون مختلف الأقطار العربية الشقيقة.

وبلغ عدد الاداريين ١٥ إداريًا، وعدد العاملين ٣٥ عاملاً. وقد امتدت خدمات المدرسة لتصل إلى الكثير من جمهوريات روسيا الاتحادية وأقاليمها والجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق من خلال الإشراف على تعليم أبناء الدبلوماسيين السعوديين، وتزويد المراكز الإسلامية والعلمية بالبرامج والخطط والأدوات والوسائل التعليمية في مختلف مناطق روسيا والجمهوريات المستقلة.

الدور الثقافي للمدارس السعودية في موسكو

لقد أصبح للمدارس السعودية في موسكو دور ثقافي يتمثل بتنظيم الندوات واللقاءات والأيام الثقافية في مختلف الجامعات والمعاهد الروسية كجامعة الصداقة، وجامعة موسكو للعلوم الانسانية، ومعهد بلدان آسيا وإفريقية، وأكاديمية العلوم الروسية في سان بطرسبورغ، وجامعة قازان وغيرها. والهدف من هذه اللقاءات هو تعزيز الصلات الثقافية والعلمية بين المملكة العربية السعودية وهذا البلد الأورو- آسيوي الكبير.

وبمناسبة مرور عشرين عامًا على تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم في المملكة العربية السعودية أقامت المدارس السعودية في موسكو وبالتعاون مع جامعة الصداقة الروسية الحكومية احتفالا كبيرًا في العاصمة موسكو تم تنظيمه في القاعة الرئيسة في الجامعة حضره عدد كبير من الدبلوماسيين والمثقفين وأساتذة الجامعات والطلبة العرب الدارسين في موسكو. وقد عكس الاحتفال، الذي حظي بإعجاب الحاضرين، ملامح المملكة العربية السعودية بطبيعتها وعمرانها وتاريخها وثقافتها ونهضتها المعاصرة المزدهرة في ظل قيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود.

ومن الأنشطة التي تحرص المدارس السعودية على المشاركة فيها في موسكو معارض الكتب، فقد شاركت المدارس في معرض الكتاب الدولي السنوي الذي أقيم في موسكو في الفترة من ٢سبتمبر/ أيلول حتى ٩سبتمبر/ أيلول٢٠٠٢م، وقد نال الجناح السعودي اعجاب الزوار.

الطلبة الشيشان

يحظى طلبة المدارس السعودية من جمهورية الشيشان المسلمة برعاية خاصة وذلك للظروف الاقتصادية الصعبة التي يمرون بها بسبب الحرب الدائرة هناك. فقد تكفلت جمعية الهلال الأحمر السعودية منذ سنتين بدفع الرسوم الدراسية لأكثر من ٤٦ طالبًا شيشانيًا بمبادرة كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز المشرف العام على لجنة إغاثة الشيشان، ومعالي الدكتور عبدالرحمن السويلم رئيس جمعية الهلال الأحمر السعودية. كما تكفلت مؤسسة الإبراهيمي الخيرية مجموعات أخرى من الطلبة المسلمين منذ سنوات كثيرة.

